67 to 77 AlMulk to AlMursalat Kashafalasrar Meybodi

تفسير كشف الاسرار و عدة الابرار معروف بتفسير خواجه عبدالله انصاري

تاليف رشيدالدين الميبدوي (520 هجري)

Tafsir Kashafal asraar wa Uddatulabrar by Rasheeduddin Almeybodi

Rasheedudin Al-Meybodi (520 Hijri)

هو

121

كشف الأسرار و عُدَّةُ الأبرار
ابوالفضل رشيدالدين الميبدوى
مشهور به تفسير
خواجه عبدالله انصارى
به كوشش: زهرا خالوئى

67- سورة الملك- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان.
«تَبارَكَ» بزرگست و بزرگوار و با بركت خداوند در كردگارى و كارسازى الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ او كه بدست اوست پادشاهى.
وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) و او بر همه چيز تواناست.
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ او كه بيافريد مرگى و زندگانى.
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا تا بيازمايد شما را كه كيست از شما نكوكارتر وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) و اوست كه تواند و تاود امّا مى‌پوشد و ميآمرزد.
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً او كه بيافريد هفت آسمان طبق طبق زبر يكديگر ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ نبينى در آفرينش رحمن چيزى فروشده تا چيزى درمى‌بايد فَارْجِعِ الْبَصَرَ چشم خويش و نگرستن خويش بآن باز گردان. هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ (3) تا خود هيچ شكافى بينى در آسمان يا گشادى؟.
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ باز چشم خويش و نگريستن خويش باز آر ديگر باره. يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ با پس آيد با تو چشم از نگريستن و عيب جستن «خاسِئاً» كم آمده و با پس مانده وَ هُوَ حَسِيرٌ (4) و او مانده و باز ايستاده.
وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ بياراستيم آسمان پيشين بچراغها وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ آن را چنان كرديم تا بآن شياطين رانند از در آسمان وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ (5) و ساختيم ايشان را عذاب آتش.

وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ و ايشان راست كه بنگرويدند بخداوند خويش عذاب دوزخ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (6) و بد جايگاه كه دوزخ است.
إِذا أُلْقُوا فِيها چون ايشان را درافكنند در آتش سَمِعُوا لَها شَهِيقاً آتش را آوازى شنوند زشت صعب وَ هِيَ تَفُورُ (7) و آن ميجوشد.
تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ خواهد كه پاره پاره گردد از خشم. كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ هر گه كه گروهى را در آن افكنند سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها بپرسد ايشان را عذاب سازان دوزخ. أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) نيامد بشما هيچ آگاه كننده؟ و ترساننده
قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ گويند: آرى آمد بما آگاه كنندهاى. فَكَذَّبْنا دروغ زن گرفتيم او را وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ و گفتيم اللّه هيچ چيز فرو نفرستاد إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ (9) نيستيد شما مگر در گمراهى بزرگ.
وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ و گويند: اگر ما مى‌شنيديم چنانك زيركان شنوند. أَوْ نَعْقِلُ يا ما در مى‌يافتيم چنان كه مؤمنان دريابند ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ (10) ما در دوزخيان نمى‌بوديم.
فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ بگناه خويش اقرار كنند. فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ (11) دورى باد دوزخيان را.
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ايشان كه مى‌ترسند از خداوند خويش ناديده لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (12) ايشان را آمرزش است و مزد بزرگوار.
وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ نهان داريد سخن خويش يا آشكارا ببانگ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (13) كه خداى داناست بهر چه در دلهاست.
أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ نداند او كه دل آفريد كه در دل چيست يا رهى آفريد كه حال او چيست؟ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) و اوست باريك دان دوربين آگاه و دانا.
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا اوست كه شما را زمين بيافريد فرو دست و فرمانبردار فَامْشُوا فِي مَناكِبِها ميرويد در كنارهاى آن وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ و ميخوريد از روزى او وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (15) و برخاست از گور رفتن راست بسوى او.
أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ ايمن مى‌باشيد ازو كه در آسمان أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ كه در زمين فرو برد شما را فَإِذا هِيَ تَمُورُ (16) آن گه زمين شما را گرداند.
أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ يا ايمن باشيد ازو كه در آسمان أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً كه فرو گشايد بر شما سنگباران فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17) آرى بدانيد كه چون بود آنچه ميترسانيدم از آن.
وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دروغزن گرفتند ايشان كه پيش از ايشان بودند پيغمبران مرا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (18) چون بود و چون ديدى نشان ناخشنودى من.
أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ نمى‌بينند و نمى‌نگرند مرغ زبر ايشان صافَّاتٍ پروا كرده و گسترانيده وَ يَقْبِضْنَ و باز پر فراهم آرند پريدن را ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمنُ نگه نميدارد آن را چنان مگر رحمن إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (19) كه او بهمه چيز بيناست و دانا.
أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يا آن كيست كه شما را سپاهست يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ كه شما را يارى دهد اگر اللّه يارى ندهد إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (20) نيستند ناگرويدگان مگر در فريب.
أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ يا آن كيست كه شما را روزى دهد إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ اگر اللّه روزى خود باز گيرد بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (21) نيست جز آنكه مى‌ستيهند در شوخى و در رميدن.
أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ او كه نگونسار ميرود بر روى خويش «اهدى» راه راست‌تر است و راستر و تر أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا يا او كه رود راست و بچم عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (22) بر راه راست.
قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ پيغامبر من گوى او آنست كه بيافريد شما را پس آنكه نبوديد وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ و شما را گوش آفريد و شنوايى و چشم و بينايى و دل قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ (23) چون اندك بآزادى و سپاسدارى مى‌باشيد.
قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ بگو او آنست كه بيافريد شما را در زمين وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) و شما را پيش او خواهند برد.

وَ يَقُولُونَ مَتى‏ هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (25)
و ميگويند كى اين هنگام رستاخيز كه اگر راست مى‏گوييد؟
قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ بگو دانش آنچه مى‏پرسيد نزديك خدايست.
وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (26) و من درين ميان آگاه كننده‏اى آشكارا‏ام.
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً چون آن را بينند از نزديك سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بد اندوه و بيم پيدا شود در رويهاى ناگرويدگان «و قيل» و گويند ايشان را. هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (27) اين آن روز است و آن كار كه آن را در آن گيتى از ما مى‏باز خواستيد و مى‏جستيد.
قُلْ أَ رَأَيْتُمْ بگو چه بينيد إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ اگر اللَّه مرا بميراند و هر كه با من أَوْ رَحِمَنا يا ببخشايد بر ما فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ؟ آن كيست كه بزينهار دارد كافران را از عذاب درد نماى؟
قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بگو اوست آن رحمن كه بگرويديم باو وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا و پشت باو باز كرديم فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (29) آرى آگاه شويد كه آن كيست كه در گمراهى آشكار است.
قُلْ أَ رَأَيْتُمْ بگو چه بينيد. إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً اگر اين آب شما هنگامى در زمين فرو شود فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ (30) آن كيست كه شما را آب آرد آشكارا بر روى زمين روان و پيدا.
النوبة الثانية
اين سورة الملك هزار و سيصد حرف است، سيصد و سى كلمه، سى آيت، و جمله به مكه فرود آمد، باجماع مفسّران در مكّيات شمرند. و درين سوره هيچ ناسخ و منسوخ نيست.
روى ابو هريرة انّ النّبي (ص) قال: «انّ سورة من كتاب اللَّه ما هى الّا ثلاثون آية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النّار و ادخلته الجنّة و هي سورة تبارك».
و قال صلّى اللَّه عليه و سلّم: «وددت ان تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ في قلب كلّ مؤمن».
و روى عن ابن عباس: انّ رجلا من اصحاب النّبي (ص) ذهب يضرب خباء له على قبر و هو لا يحسب انّه قبر، فسمع انسانا يقرأ تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ فاتى النّبي (ص) فقال: يا رسول اللَّه انّى ضربت خباء لى على قبر و انا لا اعلم انّه قبر، فاذا انسان يقرأ سورة الملك. فقال رسول اللَّه (ص): «هى المانعة، هى المخبية تنجيه من عذاب القبر».
في خبر آخر: «هى الواقية من عذاب القبر».
و روى: من قرأها في ليلة فقد اكثر و اطيب.
قوله: «تَبارَكَ» معناه: تعالى و تعظم و تمجد. و قيل: تفاعل من البركة.
و قيل: معناه انّه الثّابت الدّائم الّذى لم يزل و لا يزال. و قيل: تعالى من جميع البركات منه الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ يؤتيه من يشاء و ينزعه ممّن يشاء. و قيل: يريد به النبوّة يعزّ بها من اتّبع النّبي و يذلّ بها من خالفه. وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ من الانعام و الانتقام «قَدِيرٌ».
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ قال ابن عباس: يريد الموت في الدّنيا و الحياة في الآخرة. قال قتادة: اذلّ اللَّه ابن آدم بالموت و جعل الدّنيا دار حياة و دار فناء، و جعل الآخرة دار جزاء و بقاء و انّما قدم الموت لانّه الى القهر اقرب.
و قيل: قدّمه لانّه اقدم، لانّ الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموات كالنطفة و التّراب و نحوهما ثمّ اعترضت عليها الحياة. و قال ابن عباس: خلق الموت على صورة كبش املح لا يمرّ بشي‏ء و لا يجد ريحه شي‏ء و لا يطأ على شي‏ء الّا و مات و خلق الحياة على صورة فرس انثى و هي الّتى كان جبرئيل و الانبياء يركبونها «تمرّ بشي‏ء و لا يجد ريحها شي‏ء الّا حيى و هي الّتى اخذ السّامرى قبضة من اثرها فالقى على العجل فحيي.
قوله «لِيَبْلُوَكُمْ» يعنى: ليختبركم فيها بين الحياة الى الموت. أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا اى اسرع في طاعة اللَّه و اورع عن محارم اللَّه و قيل: ليبلوكم ايّكم احسن اخذا من حياته لموته و احسن اهبة في دنياه لآخرته.
قال النّبي (ص) لعبد اللَّه بن عمر «خذ من صحتك لسقمك، و من شبابك لهرمك، و من فراغك لشغلك، و من حياتك لمماتك، فانّك لا تدرى ما اسمك غدا.
و سئل النّبي (ص) اىّ المؤمنين اكيس؟ قال: «اكثرهم للموت ذكرا و احسنهم له استعدادا

و قيل: يختبرهم اعلاما للملائكة حالهم ليظهر لهم شكرانهم و كفرانهم كيف يكونان عند المحنة في الصّبر و عند النعمة في الشّكر وَ هُوَ الْعَزِيزُ المنتقم من اعدائه «الْغَفُورُ» لاوليائه.
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً بعضها فوق بعض بين كلّ سماء مسيرة خمس مائة عام و غلظ كلّ سماء خمس مائة عام. و قوله: «طِباقاً» جمع طبق، كجبل و جبال و قيل: جمع طبقة، كرحبة و رحاب. و قيل: «طِباقاً» مصدر من طابق تقول: طابق بين ثوبيه اذا لبس احدهما فوق الآخر. و هو نصب على المصدر. و قيل: صفة، و قيل: نصب لانّه مفعول ثان ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ قرا حمزة و الكسائى من تفوّت بتشديد الواو بلا الف و هما لغتان كالتّحمّل و التّحامل، و التّظهر و التظاهر، و التّفاوت و التفوّت، بعد ما بين الشّيئين في الصّحة و في معناه قولان: احدهما «ما تَرى» يا ابن آدم. فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ يعنى السّماء مِنْ تَفاوُتٍ اى خلل و اضطراب و تفرّق بل هى مستقيمة مستوية لا يفوت بعضها بعضا لقلّة استوائها. و القول الثّاني انّه عامّ في جميع خلق الرّحمن اى لم يفته شيء اراده و لم يخرج شيء عن موجب الحكمة. و قيل: «الخلق» في الآية مصدر و المعنى يخلق كلّ شيء صغيرا و كبيرا بامر واحد لا تفاوت في ذلك و هو قوله: «كن» و قيل: الرّؤية في الآية بمعنى العلم لبعد السّماء عن الادراك بحاسّة البصر قوله: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ اى شقوق و صدوع.
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ اى اعد النّظر ثانيا كَرَّتَيْنِ اى مرّتين يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ اى يرجع اليك البصر ايّها المخاطب خاسِئاً اى خاشعا صاغرا ذليلا كذلّة من طلب شيئا فاخطاه وَ هُوَ حَسِيرٌ اى معى كليل لم يدرك ما طلب اى اعيا من قبل ان يرى في السّماء خللا. روى عن كعب قال السّماء الدّنيا موج مكفوف و الثّانية مرمرة بيضاء و الثّالثة حديد، و الرّابعة صفراء و قال نحاس: و الخامسة فضّة، و السّادسة ذهب، و السّابعة ياقوتة حمراء و بين السّابعة الى الحجب بحار من نور.
وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ اى بكواكب، و هى كبار النّجوم سمّيت مصابيح لاضاءتها. و المصباح، السّراج لاضاءته. وَ جَعَلْناها اى بعضها.
رُجُوماً لِلشَّياطِينِ اى رميا لهم اذا استمعوا الى السماء. قال قتاده خلق اللَّه النّجوم لثلاثة اشياء زينة للسّماء و رُجُوماً لِلشَّياطِينِ و ليهتدى بها في ظلمات البرّ و البحر فمن اوّلها على غير ذلك فقد قال رايه و اخطا حظّه. قال الضّحاك: الكواكب الّتى ترى لا يرجم بها و الّتى ترجم بها الشّياطين لا تريها النّاس و قال ابو على الكواكب انفسها لا ترجم لانّ الكواكب ثوابتة لا تزول عن السماء و لا تفقد انّما ينفصل عنها شهاب يحرق. وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ اى هيّأنا لهم في الآخرة. عَذابَ السَّعِيرِ و هى النّار الموقدة المشعلة، و يقال: سعرت النّار فتسعّرت اذا قويتها و قيل السّعير بيت للشّياطين في جهنّم هو اسمه.
وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ اى و اعتدنا للّذين كفروا بربّهم. عَذابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ.
إِذا أُلْقُوا فِيها اى القى الكفّار في النّار سَمِعُوا لَها شَهِيقاً و هو صوت فظيع منكر كشهيق الحمار و هو اوّل صوته و قد يسمع للنّار صوت منكر اذا اشتدّ لهبها كانّها تطلب الوقود. وَ هِيَ تَفُورُ اى ترتفع بالغليان لشدّه توقّدها اى تغلى بهم كغلى المرجل.
تَكادُ تَمَيَّزُ اى تنقطع ينفصل بعضها من بعض من شدّة غيظها على الكفّار كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها و هم الملائكة الموكّلون بها، أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ الم يأتكم رسول من قبل اللَّه في الدّنيا يندركم.
قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا
روى ابو هريرة عن النّبي (ص): انّه قال: انا «النّذير و الموت المغير و السّاعة الموعد».
قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ اى من نبوّة و كتاب و حكم فيقول الخزنة لهم.
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ اى ما انتم اليوم الّا في ضلال كبير، كنتم عليه في الدّنيا و يجوز ان يكون هذا من كلام القوم، اى و قلنا للرّسل: ما أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ و بعد من الصّواب.
وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ اى قالوا و هم في النّار، لو كنّا نسمع سمع من يعى و يتفكّر أَوْ نَعْقِلُ عقل من يميّز و ينظر، و قيل: لو كنّا نسمع الهدى في الدّنيا او نعقل معانى كلام اللَّه و ما كان يدعونا اليه الرّسل ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ اى في جملة اهل النّار.
فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ اقرّوا بكفرهم. فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ اى بعدا لهم. قرأ ابو جعفر و الكسائى «فَسُحُقاً» بضمّ الحاء و الباقون بسكونها و هما لغتان، مثل الرّعب و الرّعب و السّحت و السّحت. سحقا نصب على المصدر اى اسحقهم اللَّه سحقا، اى باعدهم من رحمته مباعدة و قيل: السّحق واد في جهنّم.

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ اى يخافونه و لم يروه و قيل: يخافون اللّه و يتركون معصيته حيث لا يراهم احد من النّاس لانّ ذلك اذلّ على الاخلاص و ابعد من النّفاق. و قيل: يخشون ربّهم قبل المصير اليه. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ ثواب جزيل لطاعاتهم.
وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ اى. أخفوا كلامكم او اعلنوه فهما سواء عند اللّه إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول اللّه (ص) فيخبره جبرئيل بما قالوا و نالوا منه فقال بعضهم لبعض.
اسرّوا قولكم كى لا يسمع اله محمد فقال تعالى: قل لهم: أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ فانّ اللّه لا يخفى عليه خافية. و هذا امر تهديد كما قال: «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ».
ثمّ قال: أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ اى الا يعلم السّرّ من خلق السّرّ. الا يعلم ما في الصّدور، من خلق الصّدور؟ الا يعلم من خلق الاشياء ما في صدور عباده؟ ففى هذه الوجوه من في موضع الرّفع و هو اسم للخالق و يجوز ان يكون من اسما للمخلوق و يكون في موضع النّصب و المعنى الا يعلم اللّه من خلقه. وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ العالم بدقائق الاشياء و بواطنها و يجوز ان يكون العلم من صفة المخلوق، و المعنى: الا يعلم هذا الكافرين من الّذى خلقه، الا يعلم اللّه الّذى هو خالقه. وَ هُوَ اللَّطِيفُ الّذى الطف لهم في تدبيره و احسن اليهم في انعامه. «الْخَبِيرُ» بهم و باعمالهم.
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ليّنة سهلة يسهل لكم السّلوك فيها.
و قيل: ليّنها بالجبال حتّى تستقرّ و لا تزول باهلها، و قيل: جعلها ذلولا، اى سهلا سعيكم عليها بحيث لا يمتنع المشى فيها بالحزونة. فَامْشُوا فِي مَناكِبِها اى في جوانبها. و قيل: في فجاجها و اطرافها و قيل: في جبالها. قال الزّجاج: و هذا اشبه لانّ معناه سهل لكم السّبيل في جبالها فهو ابلغ في الذلل هذا امر اباحه، ذكره على سبيل الامتنان بتسهيله عليهم. وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ اى ممّا هيّاه لقوتكم و غذائكم ما اذن لكم في تناوله و احلّه لكم دون ما نهاكم عنه و حرّمه عليكم.
وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ اى البعث من قبوركم ثمّ خوّف الكفّار. فقال: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ قال ابن عباس اى عذاب من السّماء ان عصيتموه أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ يعنى: ان يغور بكم في الارض فَإِذا هِيَ اى الارض.
«تمور» اى تتحرّك و تدور. و ذلك انّ اللّه يحرّك الارض عند الخسف بهم حتّى يلقيهم الى اسفل و الارض تعلو عليهم و تمور فوقهم، تقول: مار يمور اذا جاء و ذهب.
أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً اى ريحا ذات حجارة. و قيل الحاصب: مطر فيه حصباء كما فعل باصحاب لوط و قيل: سحاب فيه حجارة، و الحاصب و الحصباء واحد. «فَسَتَعْلَمُونَ» فى الآخرة و عند الموت «كَيْفَ نَذِيرِ» ى، اى أ نداري اذا عاينتم العذاب. و قيل: فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ى اى رسولى. قال ابن عباس: ستعلمون انّ محمدا كان لكم نذيرا.
وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى: كفّار الامم الماضيه. فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ ى، اى انكاري. اذا اهلكتهم اثبت بعض القرّاء الياء في هذا الحروف و اخواتها على الاصل و حذفها بعضهم على الخطّ.
أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ يصففن اجنحتهنّ اذا طرن في الهواء، اى يبسطن كالحداء و النّسر. «وَ يَقْبِضْنَ» يعنى اجنحتهنّ يضربن بها جنوبهنّ كالحمام.
و قيل: يصففن احيانا و يقبضن احيانا. و قيل في الهواء طيور لا يقعن بالارض ابدا طعامها النّمل و البعوض اذا طرن في الهواء بضن على اذنابهنّ و اجنحتهنّ. حكاه ابن هيصم «ما يُمْسِكُهُنَّ» في الجوّ «إِلَّا الرَّحْمنُ» بقدرته انّه جلّ جلاله عمّت رحمته الخليقة كلّها إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ عالم بمصلحة كلّ شيء. بيّن لهم في هذه الآية ما يدلّهم على توحيده من تسخير الطّير في جو السّماء.
أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ اعوان لكم يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ و يدفعون عنكم عذاب اللّه فامنتم عذابه بسببه، و قيل: معناه هل شيء من اصنامكم يدفع عنكم عذاب اللّه. إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ اى ما الكافرون الا مغترّون بغرور الشّيطان غير متمسّكين بحجّة و برهان.
أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ يطعمكم و يسقيكم و يعطيكم منافع الدّنيا.
إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ يعنى: ان امسك اللّه المطر او مسك جميع اسباب الرّزق، و قيل معناه: من الّذى يوسّع عليكم نعمكم ان ضيّق عليكم فيعاقبكم بالجدب و القحط «بَلْ لَجُّوا» اى تمادّوا. «فِي عُتُوٍّ» اى استكبار

عن الحقّ و عن الدّاعى اليه «وَ نُفُورٍ» عن قبول الحقّ فيفرّون منه ثمّ ضرب مثلا فقال: أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ معناه: أ فمن يمشى مطرقا لا يلتفت الى الطّريق و اختلافها ارشد ام الّذى يرفع رأسه ينظر الى الجادّة و هذا مثل ضربه اللّٰه للكافر و المؤمن، فالكافر يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ راكبا رأسه في الضّلالة و الجهالة اعمى العين و القلب لا يبصر يمينا و شمالا.

قال قتادة اكبّ على المعاصى في الدّنيا فحشره اللّٰه على وجهه يوم القيامة و ذلك قوله تعالى وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ و المؤمن يمشى سويّا معتدلا يبصر الطّريق و هو عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دين قيّم و هو الاسلام، قيل: نزلت في عمّار بن ياسر و ابى جهل و قوله: مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ فعل غريب لانّ اكثر اللّغة في التّعدّي و اللّزوم ان يكون افعلته نفعل و هذا على ضدّه يقال: كببت فلانا على وجهه فاكبّ.

قال اللّٰه تعالى: فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ و قال النّبي (ص): «و هل يكبّ النّاس على مناخرهم في النّار الّا حصايد السنتهم»

و نظيره في الكلام قولهم قشعت الرّيح السّحاب فاقشع.

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ اى خلقكم. ابتداء وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ خصّ هذه الثّلاثة بالذّكر لانّ العلوم و المعارف بها تحصل قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ اى تشكرون شكرا قليلا و ما زيادة، و قيل: اقلّكم الّذى يشكر للّٰه سبحانه.

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ خلقكم فيها صغارا. وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ اى الى اللّٰه تجمعون و تساقون يوم البعث فيجزيكم باعمالكم بيّن لهم الآيات الّتى تدلّهم عليه و توصلهم الى معرفته.

وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ اى ما وعد و امن الخسف و الحاصب و قيل: البعث و النّشور. إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في هذا الوعد.

قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ علم القيامة و علم نزول العذاب عند اللّٰه، لم يطلع عليه بشر. وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ، اى رسول مخوّف ابين لكم وحى اللّٰه الىّ و لا اعلم وقت الحشر.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً اى عاينوا عذاب اللّٰه قريبا كقوله: وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ. و الزّلفة: القربة و كذلك الزّلفى. سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا اى ساء اصحاب الوجوه ما عاينوا من العذاب فذكر الوجوه و اراد اصحابها يقال: سؤته فسىء اى حزنته فحزن، كما تقول: سررته فسرّ، و قيل: معناه اسودّت و علتها الكابة و القترة و المعنى: قبحت وجوههم بالسّواد و هذا في القيامة، و قيل: كان يوم بدن نظيره قوله: تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وجوه عليها غبرة ترهقها قترة. «و قيل» اى قال الخزنة لهم: «هذا» العذاب الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ اى هذا الّذى كنتم من اجله تدّعون الأباطيل و تقولون: «لا بعث و لا نشر» و قرأ يعقوب: «تدعون» بالتّخفيف، و المعنى: هذا الّذى كنتم به تستعجلون و تدعون اللّٰه بقولكم: اللّهم ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السّماء، و قيل: تدّعون تفتعلون من الدّعاء، يقال: دعا و ادّعا بمعنى واحد، و قيل: معنى الآية: فلمّا راوا الوعد بالحشر و النّشر و سوء العذاب حقّا.

و راوا النّبي (ص) شافعا لامّته مخلصا لهم من التّبعات على ما ذكره اللّٰه و وعد به سيئت وجوههم.

قوله: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ اى قل يا محمد لمشركى مكة الّذين يتمنّون هلاكك أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ من المؤمنين «أَوْ رَحِمَنا» فابقينا و اخّر آجالنا «فَمَنْ يُجِيرُ» كم مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ من يمنعكم من بأسه و اىّ نفع لكم في هلاكنا، و هذا جواب لقولهم نتربّص به ريب المنون و ان امر محمد لا يتمّ و لا يبقى، و قيل: معناه لا تتمنّوا موتى فانّه لا ينفعكم و تمنّوا ما يجيركم من عذاب اللّٰه فانّ ذلك انفع لكم، و قيل: معناه نحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا لانّ حكمه نافذ فينا فمن يمنعكم من عذابه و انتم كافرون.

قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ الذي نعبده آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فوّضنا اليه امورنا فَسَتَعْلَمُونَ غدا مَنْ هُوَ اليوم فِي ضَلالٍ مُبِينٍ حين لا ينفعكم العلم شيئا.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً اى غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الا يدى و الدّلاء. قال: الكلبى و مقاتل يعنى. ماء زمزم. فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ ظاهر جار تراه العين و تناله الدّلاء ذكرهم عظيم نعمته عليهم باظهار المياه لهم على وجه الارض و انّه لو جعلها غائرة لم يمكنهم التّوصّل اليها و لكان فيه هلاكهم و اللّٰه اعلم.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ سماع اسم اللّه يوجب الهيبة، و الهيبة تتضمّن الفناء و الغيبة. سلطانيست اين كلمه، چون نقاب ملكى بگشايد و جلال كبرياء او پيدا گردد، بر هر چه افتد دمار از وى برآرد و رقم نيستى برو كشند. شنونده اين كلمت از هيبت اين كلمت چنان از خود فانى شود كه مرورا هيچ خيال نماند و از هر نشان كه دهند از آن نشان نهان شود.

محوت اسمى و رسم جسمى و غبت عنّى و دمت انتا
و في فنايى فنى فنايى و في ورائى وجدت انتا

باز بسماع نام رحمن و رحيم از مضيق دهشت بصحراء انس افتد، و فناء وى بصفت بقا بدل گردد. اينست سنّت خداوند عزّ كبرياؤه و تقدّست اسماؤه. هيبت الهيّت بنمايد كه موجب دهشت است، و حيرت باز مرهم نهد بصفت لطف و رحمت. اللّه اشارت است بجلال و عزّت الوهيت، رحمن رحيم اشارتست بكمال لطف و رحمت. هر كرا تاج دولت دين بر فرق نهادند منشور عزّ او از حضرت اين نام نويسند، و هر كرا داغ شقاوت بر جان نهادند، رقم خذلان او از حضرت اين نام كشند. دار و گير گشاد و بند نواخت و سياست عزّ و مذلّت همه نتيجه قهر و لطف اوست، كونين و عالمين همه ملك و ملك اوست. اينست كه ربّ العالمين گفت: تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ملك هژده هزار عالم بيد اوست، سر همه سروران در قبضه تقدير اوست، گردن همه گردن افرازان در ربقه تسخير اوست، ناصيه همه جبّاران منقاد قهر جبروت اوست. در خبر ميآيد كه: انا الملك قلوب الملوك، و نواصيهم بيدى اقلبها كيف اشاء

ملك منم، پادشاه بر پادشاهان منم، اعزاز و اذلال بندگان در يد منست، دلهاى عالميان در قبضه منست چنان كه خواهم ميگردانم و اسرار ايشان بر حسب مراد خود ميرانم.

خواهم بخوانم و بخندانم، خواهم برانم و بگريانم. اى شما كه عالميان‌ايد، سينه بسبب ملوك مشغول مداريد و دل درويشان مبنديد، دل در دين ما بنديد توكّل بر كرم ما كنيد، روى بدرگاه طاعت ما آريد، دين پرست باشيد تا دنيا شما را تبع شود.

خدمت ملك الملوك كنيد، تا ملوك جهان شما را خدمت كنند.

خدمت او كن مگر شاهان ترا خدمت كنند چاكر اوباش تا سلطان ترا گردد غلام.

ملك انسانيّت جداست، و ملك دلها جدا، و ملك جانها جدا. انسانيّت ملك در دنيا راند و دل ملك در آخرت راند، و جان ملك در عالم حقيقت راند. ملك انسانيّت اينست كه: أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ و ملك دل اينست كه: يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ و ملك جان اينست كه: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ آن عزيز راه گويد: فردا كه علم كبرياى او بقيامت برآيد كه: لِمَنِ الْمُلْكُ؟ من از گوشه دل خويش بدستورى او درى برگشايم و دردى از دردهاى او بيرون دهم، تا گرد قيامت برآيد و گويد: لِمَنِ الْمُلْكُ؟ اگر معترضى براه برآيد، گويم: او كه چون ما ضعفا و مساكين دارد، ميگويد: «لِمَنِ الْمُلْكُ»؟ ما كه چون او ملكى جبّارى داريم چرا نگوئيم: «لِمَنِ الْمُلْكُ»؟ اگر او را چون ما بندگانست، ما را چون او خداوند است، كسى را كه در حرم قرآن بار داده باشند، تا زمانى اين خلعت پوشد كه: «إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ» و زمانى اين تشريف يابد كه: «يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ» و زمانى اين شربت كشد كه «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ» اين چنين كسى را چرا نرسد كه بر حدثان خواجگى كند و بامداد و شبانگاه گويد: «لِمَنِ الْمُلْكُ»؟

جز خداوند مفرماى كه خوانند مرا سزد اين نام كسى را كه غلام تو بود
بگسلانم كمر گردون از قوّت خويش چون بطرف كمرم نقش ز نام تو بود.

68- سورة القلم- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند جهاندار دشمن پرور ببخشایندگی، دوست بخشای بمهربانی.

ن وَ الْقَلَمِ بدوات و قلم وَ ما يَسْطُرُونَ (1) و بآنچه آسمانیان و زمینیان نویسند.

ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) تو با آن نیکویی که از خداوند تو است با تو، دیوانه نیستی.

وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) و تراست مزدی ناكاست هرگز.

وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) و تو بر خويى بزرگوارى.

فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ (5) آرى تو بينى و ايشان بينند.

بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (6) كه ديوانه و فتنه رسيده از شما كيست.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ خداوند تو است كه او داناست. بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ بهر كه گمشده از راه او. وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (7) و او داناست بايشان كه راه يافتگان‌اند بحقّ.

فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) نگر دروغ زن گران را فرمان نبرى.

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) دوست ميدارند كه تو فرا ايشان گرايى بچيزى، تا فرا تو گرايند.

وَ لا تُطِعْ فرمان مبر كُلَّ حَلَّافٍ ازين هر سوگند دروغ خواره مَهِينٍ (10) خوار فرا داشته‌اى.

هَمَّازٍ مردم نكوهى مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) سخن چينى.

مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ از نيكى باز دارى. مُعْتَدٍ گزاف‌كارى، گزاف گويى، ناسازگارى أَثِيمٍ (12) پليدگارى.

عُتُلٍّ درشت خويى. بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ (13) با آن همه نادرست اصلى بدنامى.

أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ (14) از بهر آنكه كسى با مال بود و پسران.

إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا چون سخن ما برو خوانند قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) گويد: كه اين افسانه پيشينيان است.

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16) آرى فردا او را نشانى كنيم بر روى.

إِنَّا بَلَوْناهُمْ بيازموديم ما ايشان را كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ چنان كه بيازموديم خداوندان آن بستان را إِذْ أَقْسَمُوا آن گه كه سوگند خوردند همگان لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ (17) كه آن ميوه خرما و انگور ببرند و با زرع بهم كنند سحرگاهان نزديك بام.

وَ لا يَسْتَثْنُونَ (18) و نگفتند كه: اگر خداى خواهد!

فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ گرد آن بستان ايشان گشت بشب گردنده‌اى و بآن رسيد رسنده‌اى از عذاب خداوند تو، وَ هُمْ نائِمُونَ (19) و ايشان در خواب.

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) آن بستان زمينى گشت چون شب سياه درو نه نبات نه آب.

فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ (21) يكديگر را آواز دادند نزديك بام.

أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ خيزيد از خواب، بامداد كنيد بر حرث خويش، إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ (22) اگر مى‌چيدن خواهيد.

فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ (23) با هم راز ميكردند در راه و ميگفتند: أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) ميكوشيد كه هيچ درويش امروز بر شما در آن بستان در نيايد.

وَ غَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِينَ (25) بامداد كردند بر آهنگ بد، چون نزديك بستان آمدند و درويش نديدند گفتند: كه: دست يافتيم!

فَلَمَّا رَأَوْها چون آن بستان را ديدند. قالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26) گفتند: ما راه گم كرديم.

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27)، بلكه از نعمت بى بهره مانديم.

قالَ أَوْسَطُهُمْ. بهينه برادران ايشان گفت: أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ نمى‌گفتم شما را لَوْ لا تُسَبِّحُونَ (28) چرا خداى را پاك نشناسيد، ؟

قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا گفتند: خداوند ما پاكست از ستمكارى إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (29) ما ستمكارانيم.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (30) روى فرا يكديگر كردند بسرزنش كردن.
قالُوا يا وَيْلَنا گفتند: اى ويل و درد زدى بر ما إِنَّا كُنَّا طاغِينَ (31) ما فرمانبردارى بگذاشتيم و از اندازه خود در گذشتيم.
عَسى‏ رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها اميد داريم كه مگر اللَّه ما را بدل دهد به از آن إِنَّا إِلى‏ رَبِّنا راغِبُونَ (32) ما بنياز و حاجت خواست با خداوند خود ميگرديم.
كَذلِكَ الْعَذابُ چنين بود عذاب. وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ و عذاب آخرت مه است او را كه در رستاخيز عذاب كنند لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (33) اگر مردمان دانندى.
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ پرهيزگاران را از شرك عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) بنزديك خداوند ايشان بهشتهاى با ناز و زيدست.
أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) ما مسلمانان را چون كافران كنيم؟.
ما لَكُمْ چه رسيد شما را؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) اين چيست كه مى‌گوييد و چه حكم است كه ميكنيد؟
أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) يا شما را نامه‌اى است از آسمان كه اندرو همى خوانيد.
إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ (38) كه هست شما را در آن نامه آنچه حكم كنيد.
أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ يا شما را سوگند انست و پيمان بر ما بوجوب رسيده إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ تا روز قيامت إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ (39) كه شما راست آنچه شما حكم كنيد.
سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ پرس ايشان را تا كيست ازيشان كه بدرست كردن آن سوگند ميانجى است؟
أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ يا ايشان انبازان دارند با من، يا انبازان ميدانند مرا فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ گوى ايشان را تا انبازان خود بيارند و باز نمايند. إِنْ كانُوا صادِقِينَ (41) اگر مى‌راست گويند.
يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ آن روز كه پرده بركشند از ساق. وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ و خلق را با سجود خوانند فَلا يَسْتَطِيعُونَ (42) ناگرويدگان نتوانند كه سجود كنند.
خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ فروشده چشمهاى ايشان از بيم تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ بر رويهاى ايشان نشسته خوارى بيم و نوميدى وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ و چون ايشان را با سجود خواند و ايشان با سلامت بودند و پشتها نرم اجابت نكردند.
فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ با من گذار او را كه دروغ مى‌شمرد اين سخن سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (44) آرى فرا گيريم ايشان را پاره پاره از آنجا كه ندانند.
وَ أُمْلِي لَهُمْ و درنگ دهم ايشان را إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45) كه ساز من در واخ است و كار بردبارى بر من فراخ و از فردا بيم نه.
أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً يا بر رسانيدن اين پيغام ازيشان مزد ميخواهى فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (46) تا ايشان را اوام افتاد از بهر تو كه گران بار گشتند أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (47) يا بنزديك ايشان است علم غيب تا ايشان مى‌نويسند.
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ شكيبا باش حكم خداوند خويش را وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ و چون مرد ماهى مباش. إِذْ نادى‏ وَ هُوَ مَكْظُومٌ آن گه كه ما را خواند و او پر غم و اندهگن.
لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ اگر نه آن بودى كه دريافت او را نعمت نيك خدايى از خداوند او لَنُبِذَ بِالْعَراءِ خداوند او و او را از شكم ماهى بهامون رستاخيز افكندى روز رستاخيز وَ هُوَ مَذْمُومٌ (49) و ملامت برو بود.
فَاجْتَباهُ رَبُّهُ بركشيد او را خداوند او و گزين او تازه كرد فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50) و او را از شايستگان شايسته‌اى كرد.
وَ إِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا نزديك باشيد و كام يابيد كه ناگرويدگان لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ترا بچشم بزمين آرندى كه قرآن شنوند از تو وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) و مى‌گويند رسول را كه او ديوانه است.
وَ ما هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (52) و نيست او مگر آواى جهانيان و شرف دو گيتى.
النوبة الثانية

اين سوره هزار و دويست و پنجاه و شش حرف و سيصد كلمت، پنجاه و دو آيت جمله به مكه فرو آمد، بقول بيشترين مفسّران. ابن عباس و قتاده گفتند: از اول سوره تا سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ به مكّه فرو آمد و ازينجا تا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ به مدينه فرو آمد. و ازينجا تا فَهُمْ يَكْتُبُونَ به مكّه فرو آمد، و از اينجا تا فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ به مدينه فرو آمد و ازينجا تا بآخر سوره به مكّه فرو آمد. در اين سوره دو آيت منسوخ است: فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ اين قدر از آيت منسوخ است بآيت سيف. و باقى آيت محكم. و و آيت ديگر فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ معنى صبر اندرين آيت منسوخ است بآيت سيف.

و عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ سورة ن و القلم اعطاه اللَّه عزّ و جلّ ثواب الّذين حسن اللَّه اخلاقهم».

قوله تعالى: ن وَ الْقَلَمِ قال اهل التّفسير «ن» هو الحوت الّذى عليه الارض و هو قول مجاهد و مقاتل و السّدّى و الكلبى. و قال ابن عبّاس: اوّل ما خلق اللَّه القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة، ثمّ رفع بخار الماء الى يوم القيامة فخلق منه السّماوات، ثمّ خلق النّون فبسط الارض على ظهره فتحرّك النّون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فانّ الجبال لتفخر على الارض ثمّ قرأ ابن عبّاس ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ. و قيل: الحوت على البحر و البحر على متن الرّيح و الرّيح على القدرة.

قال كعب الاحبار: اسم الحوت لويثا، قال: و انّ ابليس تغلغل الى الحوت الّذى على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له: أ تدرى ما على ظهرك يالويثا من الامم و الدّواب و الشّجر و الجبال لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك؟ فهمّ لويثا ان يفعل ذلك. فبعث اللَّه دابّة فدخلت.

منخره فوصلت الى دماغه فعجّ الحوت الى اللَّه منها، فاذن لها فخرجت. قال كعب فو اللَّه الّذى نفسى بيده انّه لينظر اليها و تنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادة كما كانت. و قال الحسن و قتادة و الضّحاك: النّون الدّواة و هي اليق بالقلم. يقال: انّ اصحاب البحر يستخرجون من بعض الحيتان شيئا اسود كالنّقس او اشدّ سوادا منه يكتبون به فيكون النّون و هو الحوت عبارة عن الدّواة يقويه ما

روى عن النّبي (ص) انّه قال: اوّل شيء خلقه اللَّه القلم ثمّ خلق النّون و هي الدّواة ثمّ قال له: اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ثمّ ختم علم القلم فلم ينطق و لا ينطلق الى يوم القيامة.

و في رواية عكرمة عن ابن عبّاس قال: «الر» و «حم» و «ن» حروف الرّحمن تبارك و تعالى مقطّعة. و قال معاوية بن قرّة هو لوح من نور و رفعه الى النّبي (ص) و قيل: هو قسم اقسم اللَّه تعالى بنصرته للمؤمنين اعتبارا بقوله و كان حقّا علينا نصر المؤمنين، و قيل: هو اسم للسّورة كاخواتها و قيل: اسم نهر في الجنّة. و امّا «القلم» فهو القلم الّذى كتب اللَّه به الذّكر و هو قلم من نور طوله ما بين السّماء و الارض. و يقال: لمّا خلق اللَّه القلم و هو اوّل ما خلقه، نظر اليه فانشقّ، فقال: يا ربّ بما اجرى؟ قال: بما هو كائن الى يوم القيامة. فجرى على اللّوح المحفوظ كما اجراه اللَّه سبحانه. و قال عطا سألت الوليد بن عبادة بن الصّامت كيف كان وصيّة ابيك حين حضره الموت؟ قال: دعانى فقال: اى بنىّ اتّق اللَّه، و اعلم انّك لن تتّقى اللَّه، و لن تبلغ حتّى تؤمن باللَّه وحده و القدر خيره و شرّه. انّي سمعت رسول اللَّه (ص) يقول: انّ اوّل ما خلق اللَّه القلم. فقال له: اكتب.

فقال: يا ربّ و ما اكتب؟ قال: اكتب القدر. قال: فجرى القلم في تلك السّاعة بما هو كائن الى الابد.

و قيل: اراد بالقلم الخطّ و الكتابة من اللَّه تعالى على عباده بتعليمه ايّاهم الخطّ و الكتابة كما قال تعالى: عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. و قيل: القلم الطّلسم الاكبر. و قيل: الاقلام مطايا الفطن و رسل الكرام. و قيل: البيان اثنان: بيان لسان و بيان بنان، و من فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق على الايّام و بيان اللّسان تدرسه الاعوام. و قال بعض الحكماء: قوام امور الدّين و الدّنيا بشيئين: القلم و السّيف. السّيف تحت القلم. لو لا القلم ما قام دين و لا صلح عيش.

وَ ما يَسْطُرُونَ اى يكتبون اقسم بما يكتبه اهل السّماء و اهل الارض من كتابه و كلامه و دينه كقوله: «وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ» و قيل: ما تكتبه الملائكة الحفظة من اعمال بنى آدم.

ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ هذا جواب القسم، و هو في موضع قول القائل: ما انت بحمد ربّك بمجنون. و قيل: معناه انّك لا تكون مجنونا و قد انعم اللَّه سبحانه عليك بالنّبوّة و الحكمة. اين جواب مشركان مكه است كه رسول خدا را ديوانه گفتند. و ذلك في قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» ربّ

العالمين گفت: تو با آن نعمت و كرامت و تخاصيص نبوّت و حكمت كه اللَّه با تو كرده ديوانه نيستى. و قيل: معناه انتفى عنك الجنون بنعمة ربّك. و قيل: الباء للقسم.
وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ اى غير منقوص و لا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك. و قيل: و انّ لك لاجرا على تبليغ الرّسالة و تحمّل المشاقّ غير محسوب.
يقال: اجر النّبيّ مثل اجر الامّة قاطبة غير منقوص.
وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ. قال ابن عباس و مجاهد: اى على دين عظيم لا دين احبّ الىّ و لا ارضى عندى منه و هو دين الاسلام. و قال الحسن: على ادب القرآن، اى انّك لعلى الخلق الّذى نزل به القرآن، سئلت عائشة رضي اللَّه عنها عن خلق رسول اللَّه (ص). فقالت: كان خلقه القرآن. قال قتادة: و هو ما كان يأتمر به من امر اللَّه و ينتهى عنه من نهى اللَّه و المعنى: انّك على الخلق الّذى امرك اللَّه به في القرآن. و قيل: معناه كان خلقه يوافق القرآن.
رسول خدا (ص) امر و نهى قرآن را چنان پيش رفتى و نگه داشتى بخوش طبعى كه گويى خلق وى و طبع وى خود آن بود. و قيل: سمّى اللَّه خلقه عظيما لانّه امتثل تأديب اللَّه ايّاه بقوله: «خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ» الآية، و جملة ذلك انّ اللَّه تعالى جمع فيه كلّ خلق محمود لانّه تعالى ذكره ذكر الانبياء في سورة الانعام. ثمّ اثنى عليهم فقال عزّ و جلّ: أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثمّ امر محمدا (ص) باتّباع هداهم، فقال: فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و كان لكلّ واحد منقبة مدح بها و كان مخصوصا بها فخصّ نوح بالشّكر، و ابراهيم بالخلّة، و موسى بالاخلاص، و اسماعيل بصدق الوعد، و يعقوب و ايّوب بالصّبر، و داود بالاعتذار، و سليمان و عيسى، بالتّواضع. فلمّا امره اللَّه تعالى بالاقتداء بهم، اقتدى بهم فاجتمع له ما تفرّق في غيره و حاز مكارم الاخلاق باسرها و لهذا
قال صلّى اللَّه عليه و سلّم: «انّ اللَّه بعثنى لتمام مكارم الاخلاق و تمام محاسن الافعال».
و عن البراء بن عازب قال: كان رسول اللَّه (ص) احسن النّاس وجها، و احسنهم خلقا ليس بالطّويل البائن و لا بالقصير. و عن انس بن مالك قال: خدمت رسول اللَّه (ص) عشر سنين فما قال لى افّ قطّ و ما قال لى لشيء صنعته لم صنعته، و لا لشيء تركته لم تركته، و كان رسول اللَّه من احسن النّاس خلقا و لا مسست خزّا قطّ، و لا حريرا، و لا شيئا كان الين من كفّ رسول اللَّه (ص) و لا شممت مسكا و لا عطرا كان اطيب من عرق رسول اللَّه (ص)
و عن عبد اللَّه بن عمر قال: انّ رسول اللَّه (ص) لم يكن فاحشا و لا متفحّشا و كان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا.
و عن انس انّ امرأة عرضت لرسول اللَّه (ص) في طريق من طرق المدينة فقالت: يا رسول اللَّه انّ لى اليك حاجة. فقال: «يا امّ فلان اجلسى في اىّ سكك المدينة شئت اجلس اليك. قال: ففعلت، فقعد اليها رسول اللَّه (ص) حتّى قضى حاجتها
و قال انس: كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول اللَّه (ص) فتنطلق به حيث شاءت. و عن ابى الدّرداء عن النّبي (ص) قال: «انّ اثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن و انّ اللَّه يبغض الفاحش البذئ.
و عن ابى هريرة قال: قال النّبي (ص) لاصحابه: «أ تدرون ما اكثر ما يدخل النّاس النّار؟». قالوا اللَّه و رسوله اعلم. قال: «فانّ اكثر ما يدخل النّاس النّار الأجوفان: الفرج و الفم. أ تدرون ما اكثر ما يدخل النّاس الجنّة؟» قالوا اللَّه و رسوله اعلم. قال: «فانّ اكثر ما يدخل النّاس الجنّة: تقوى اللَّه و حسن الخلق».
عن عائشة (رض) قالت: سمعت رسول اللَّه (ص) يقول: «انّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم اللّيل و صائم النّهار.
و عن ابى هريرة قال: قال رسول اللَّه (ص): «احبّكم الى اللَّه احسنكم اخلاقا، الموطؤن اكنافا. الّذين يألفون و يؤلفون. و ابغضكم الى اللَّه المشّاؤن بالنّميمة المفرّقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات».
روى عن علىّ بن موسى الرّضا عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علىّ عن ابيه علىّ بن الحسين عن ابيه حسين بن علىّ عن ابيه علىّ بن ابى طالب سلام اللَّه عليهم. قال:

قال رسول اللَّه (ص): «عليكم بحسن الخلق فانّ حسن الخلق في الجنّة لا محالة، و ايّاكم و سوء الخلق فانّ سوء الخلق في النّار لا محالة».
قوله: فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ: فسترى يا محمد و يرون يعنى: اهل مكّة اذا نزل بهم العذاب ببدر. و قيل: في القيامة و كان النّبي (ص) عالما بذلك و لكنّه ذكر على معنى يجتمع مع علمهم بانّك لست بمجنون و لا مفتون.
و قوله: بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ معناه بايّكم المجنون. فالمفتون مفعول بمعنى المصدر كما يقال: ما بفلان معقول و مجلود، اى عقل و جلادة. و هذا معنى قول الضحاك و رواية العوفى عن ابن عباس، و قيل: الباء بمعنى في و مجازه. فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ في اىّ الفريقين المجنون في فريقك ام في فريقهم؟. و قيل: الباء بمعنى مع و المفتون الشّيطان و المعنى: مع ايّكم الشّيطان؟ أ مع المؤمنين ام مع الكفّار؟ و هذا معنى قول مجاهد. و قيل: الباء فيه زائدة و المعنى: ايّكم المفتون، اى المجنون الّذى فتن بالجنون و هذا قول قتادة. و اتّفقوا على انّ المفتون هاهنا المجنون.
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ بمن زاغ عن دينه و طريقه وَ هُوَ أَعْلَمُ منكم و منهم بِالْمُهْتَدِينَ الى دينه.
فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ لك يا محمّد و هم المستهزؤن، الّذين ذكروا في سورة الحجر، اى فيما يدعونك الى متابعة اديانهم. و النّبي (ص) لم يكن يطيعهم و لكن ذلك امر باستدامة ترك طاعتهم و الاستزادة فيه.
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ داهن و ادهن: واحد، و اصل المداهنه المداجاة.
و المعنى ودّوا لو توافق معهم و تترك مناصحتهم و تلين لهم فيلينون لك و يقاربون لك.
قال ابن قتيبة: ارادوا ان يعبد آلهتهم مدّة و يعبد اللَّه مدّة و قيل الفاء هاهنا للعطف لا للجواب.
وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. قال ابن عبّاس هو ابو جهل. و قال مقاتل: هو الوليد بن المغيرة المخزومى. و قيل: الاسود بن عبد يغوث. و قال عطاء الاخنس ابن شريق. و «الحلّاف» كثير الحلف بالباطل. مَهِينٍ اى حقير ضعيف و هو فعيل من المهانة و هي قلّة الرّأى و التّمييز. تقول مهن بالضّم فهو مهين. و ليس هذا من الهوان و هو قريب من الاوّل لانّ من اكثر الحلف الكاذبة و هو عند النّاس مهين و انّما يكذب لمهانة نفسه عليه.
هَمَّازٍ يغتاب النّاس و يعيبهم بما ليس فيهم، و يقع فيهم من ورائهم.
مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ اى قتّات يسعى بالنّميمة بين النّاس للافساد، و في الخبر لا يدخل الجنّة قتات. و النّميم جمع نميمة، و قيل: النّميم و النّميمة واحد و الاسم النّمام.
مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ بخيل بالمال، و قيل: يمنع النّاس عن الايمان: قيل: كان له مال.
فقال لاولاده و اولاد اولاده من اسلم منكم منعته مالى. مُعْتَدٍ اى متجاوز للحدّ في الطّغيان أَثِيمٍ كثير الاثم، فاجر عاص.
عُتُلٍّ هو الغليظ الجافى، اكول، شروب، فاحش الخلق سيّء الخلق.
بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ اى بعد هذه الخصال مع هذه الرّذائل دعىّ ملصق بالقوم ليس منهم. قال عكرمة «الزنيم» ولد الزّنا، قال الشّاعر:

زنيم ليس يعرف من ابوه   بغىّ الامّ ذو حسب لئيم

و قيل: هو الّذى يعرف بالابنة، روى عن النّبي (ص) الا اخبركم باهل الجنّة كلّ ضعيف متضعّف لو يقسم على اللَّه لأبرّه، الا اخبركم باهل النّار كلّ عتلّ جوّاظ مستكبر، و عن شداد بن اوس: «قال: قال رسول اللَّه (ص): لا يدخل الجنّة جوّاظ و لا جعظرىّ و لا عتلّ زنيم». قال: قلت فما الجواظ؟ قال: «كلّ جمّاع منّاع». قلت: فما الجعظرىّ قال: «الفظّ الغليظ» قلت: فما العتلّ الزّنيم! قال: «كلّ رحيب الجوف اكول شروب، غشوم، ظلوم».
و عن زيد بن اسلم قال: قال رسول اللَّه (ص) «تبكى السّماء من رجل اصحّ اللَّه جسمه و ارحب جوفه و اعطاه من الدّنيا مقضما و كان للنّاس ظلوما، فذلك العتلّ الزّنيم.
و عن ابى هريرة عن النّبي (ص) قال: «لا يدخل الجنّة ولد الزّنا و لا ولده و لا ولد ولده»: و قال صلّى اللَّه عليه و سلّم: «لا يزال امّتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزّنا فاذا فشا فيهم ولد الزّنا يوشك ان يعمّهم

اللّه بعقاب.
و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «انّ اولاد الزّنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة و الخنازير».
و قال عكرمة: اذا كثر اولاد الزّنا قلّ المطر.
قوله: أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ قرأ ابو جعفر و ابن عامر و يعقوب آ ان كان بالمدّ و الاستفهام. قرأ حمزة و عاصم برواية ابى بكر بهمزتين بلا مدّ. و قرأ الآخرون على الخبر بلا استفهام. فمن قرأ بالاستفهام فمعناه: الان كان ذا مال و بنين.
إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ و قيل: معناه أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ تطيعوا و من قرأ على الخبر فمعناه لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ لاجل أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ. و جاء في التّفسير انّ الوليد بن المغيرة كان له عشرة بنين. و قيل: اثنا عشر ابنا و كان له تسعة آلاف مثقال فضّة و كانت له حديقة في الطائف ثمّ اوعده فقال: سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ الخرطوم الانف و السّمة التّسويد، و الوسم على الانف افضح و اقبح، و المعنى: سنجعل له علامة في الآخرة يعرف بها انّه من اهل النّار من اسوداد الوجه. و جائز ان يفرد بسمة لمبالغته في عداوة النّبي (ص) في الدّنيا فيخص من التّشويه بما يتبيّن به من غيره كما كانت عداوته في الدّنيا زائدة على عداوة غيره و قيل: خصّ الخرطوم بالذّكر و المراد به جميع الوجه لانّ بعض الشّيء يعبّر به عن كله.
قوله: إِنَّا بَلَوْناهُمْ اى اختبرناهم و ابتليناهم، يعنى: هل مكّة حين دعا عليهم النّبي (ص) فابتلاهم بالجوع حتّى اكلوا الجيف و العظام، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «اللّهم اشدد وطأتك على مصر و اجعلها سنين كسنى يوسف و امر اهل هجران لا يحملوا الى مكّة طعاما و انقطع عنهم الطّريق من قبل العراق.
ابتداء اين قصّه آنست كه رسول خدا (ص) چون از قريش و اهل مكه بغايت برنجيد، دعاء بد گفت بر ايشان، گفت: بار خدايا بطش خود بر ايشان گمار و كار روزى بر ايشان سخت كن و ايشان را سالها قحط و نياز پيش آر، چنان كه در روزگار يوسف مصريان را بود. اللّه تعالى دعاء رسول خدا اجابت كرد تا باران آسمان و نبات زمين از ايشان باز ايستاد و راه كاروان طعام بر ايشان فرو بسته شد، و سالها در آن قحط و نياز مردار و استخوان خوردند. ربّ العالمين ايشان را مثل زد بخداوندان آن بستان. و ايشان سه برادر بودند در صنعاء يمن بستانى داشتند، بدو فرسنگى صنعاء، از پدر ايشان باز مانده و بميراث بايشان رسيده و در آن بستان هم زرع بود و هم درخت خرما و انگور. و پدر ايشان مردى صالح بود. هر سال ريع آن بستان سه قسم كردى، قسمى وجه عمارت و نفقه بستان و قسمى درويشان و خواهندگان را، و قسمى نفقه خويش را. چون پدر از دنيا برفت و بستان با پسران افتاد، سهم درويشان بازگرفتند آن برادر كه بهينه ايشان بود و پارساتر و بسن كمتر، ايشان را گفت: حقّ درويشان باز مگيريد و آن سنّت كه پدر نهاد دست بمداريد كه زيان كار شويد و بركات آن منقطع گردد. ايشان فرمان نبردند. چون وقت چيدن ميوه بود و درودن كشته سوگند خوردند كه سحرگاهان نزديك بام بروند و خرما و انگور ببرند، و نگفتند ان شاء اللّه. مقصود ايشان بوقت سحرگاه آن بود كه تا درويشان ندانند و حاضر نشوند كه در روزگار پدر ايشان هر سال وقت بريدن ميوه و زرع معيّن بود و درويشان حاضر اينست كه ربّ العالمين گفت: أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ وَ لا يَسْتَثْنُونَ اى لم يقولوا ان شاء اللّه.
فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ اى عذاب من ربّك ليلا و لا يكون الطّائف الّا باللّيل و كان ذلك الطّائف نارا نزلت من السّماء فاحرقتها. وَ هُمْ نائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ الجنة كَالصَّرِيمِ اى محرقة سوداء كاللّيل. و قيل: بيضاء لم يبق فيها سواد زرع و لا شجر كالنّهار و الصّريم اللّيل و الصّريم النّهار لانّ كلّ واحد منهما ينصرم عن صاحبه و قيل: كالصّريم يعنى: كالبستان الّذى صرم زرعه و ثماره و يكون الصّريم بمعنى المصروم كعين كحيل و كفّ خضيب. ايشان سوگند خوردند بى استثنا كه بامداد پگاه پنهان از درويشان روند و ميوه چينند. و آن گه در خواب شدند و ربّ العالمين آن شب آتشى فرو گشاد تا هر چه در آن بستان بود همه بسوخت و خاكستر گردانيد و ايشان از آن حال و از آن عذاب بى خبر، بوقت بام برخاستند و يكديگر را آواز دادند كه: أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ اى قاطعين لها فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ يتسارّون بينهم.
أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ و يخفون انفسهم و كلامهم من النّاس.

وَ غَدَوْا عَلى‏ حَرْدٍ قادِرِينَ اى على قصد و حرص و امر اسّسوه و اجمعوا عليه قادِرِينَ عند انفسهم على الصّرام.
چون فرا راه بودند، با يكديگر سخن نرم گفتند و براز، كه نبايد كه امروز هيچ درويشى در آن بستان آيد و خويشتن را پوشيده و پنهان ميداشتند تا كس بنداند ازين درويشان كه ايشان ببستان ميروند و بر قصدى و آهنگى درست ميرفتند و حرصى تمام. چون نزديك بستان رسيدند و هيچ درويش نديدند، گفتند كه: دست يافتيم و مقصود حاصل كرديم. در نفس خويش چنان پنداشتند كه قدرت و توان آنچه مقصود و مرا دست يافتند. و قيل: معنى قادِرِينَ اى خرجوا في الوقت الّذى قدّروه. بيرون آمدند آن ساعت كه در اوّل شب تقدير كرده بودند و بر آن عزم و بر آن تقدير خفته، پس چون در بستان شدند درختان و زرع آن ديدند سوخته و خاكستر گشته و آب سياه بر آمده گفتند: إِنَّا لَضَالُّونَ ما راه گم كرديم مگر اين نه بستان ماست؟ چون نيك نگاه كردند بدانستند كه جرم ايشان راست كه حقّ درويشان باز گرفتند و گفتند: بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ نه نه راه گم نكرديم كه اين بستان ماست ما را از ميوه و بر آن محروم كردند و از نعمت بى بهره مانديم، بآنكه حقّ درويشان باز گرفتيم.
قالَ أَوْسَطُهُمْ اى خيرهم و افضلهم و اعدلهم قولا و كان اصغرهم سنّا أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ اى هلّا تستثنون عند قولكم لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ و الاستثناء تسبيح لانّه تنزيه و تعظيم للّه و اقرارا بانّه لا يقدر أحد أن يفعل فعلا الّا بمشيّة اللَّه. و قيل: معناه هلّا تذكرون نعم اللَّه عليكم فتؤدّوا حقّ اللَّه من اموالكم.
آن برادر كهينه گفت و بهينه ايشان بود عاقلتر و فاضلتر: نمى‌گفتم شما را كه خداى را بپاكى چرا نستائيد و از پذيرفتن بيداد چرا پاك نشناسيد؟ و چرا ذكر نعمت او بشكر نكنيد؟ تا حقّ او از مال خود بيرون كنيد و بدرويشان دهيد.
و آن گه كه مى‌گفتيد بامداد به بوستان رويم چرا ان شاء اللَّه نگفتيد و رفتن خويش با مشيّت اللَّه نيفكنديد. و اگر شما سبحان اللَّه گفتيد بهتر از آن انديشه بودى كه كرديد پس ايشان گفتند: سُبْحانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ پاكست و بى عيب خداوند ما و مائيم ستمكاران بر خويشتن. بگناه خود معترف شدند و يكديگر را ملامت كردند.
چنان كه ربّ العزّة گفت: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا يعنى الهرب من المساكين، هذا يقول كان الذّنب لك و يقول الآخر بل كان الذّنب لك.
قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا طاغِينَ از كرده پشيمان شدند و بتضرّع و زارى بدرگاه اللَّه باز گشتند و بجرم خود اقرار كردند. گفتند: اى ويل بر ما كه از اندازه خود در گذشتيم و از راه صواب برگشتيم كه حقّ درويشان باز گرفتيم با اين همه نوميد نشدند كه بر درگاه اللَّه نوميدى نيست. گفتند:
عَسى‏ رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها إِنَّا إِلى‏ رَبِّنا راغِبُونَ اى راغبون في المسألة ان يتوب علينا و ان يرزقنا خيرا منها. قال عبد اللَّه بن مسعود: بلغنى انّ القوم تسابوا و اخلصوا و عرف اللَّه منهم الصّدق فابدلهم بها جنّة خيرا منها و اسمها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا.
كَذلِكَ الْعَذابُ اى كما فعلت باهل هذه الجنّة كذلك افعل بامّتك اذا لم تعطف اغنياؤهم على فقرائهم بان امنعهم القطر و ارسل عليهم الحوائج و ارفع البركة من زروعهم و تجارتهم. ثمّ قال: وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ اى و ما اعددت لهؤلاء الكفّار من الوان العذاب في الآخرة اكبر و اعظم و اشدّ لو عقلوا و عملوا ذلك ثمّ اخبر بما عنده للمتّقين فقال: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ اى بساتين نعيمها مقيم و لا يبيد و لا يفنى خلافا لبساتين الدّنيا فانّها فانية هالكة صاحبها في عناء من عمارتها فلا ترغبوا فيها عنها. فلمّا نزلت هذه الآية قال عتبة بن ربيعة: لئن كان ما يقول محمّد حقّا لنكوننّ افضل اجرا منهم في الآخرة كما نحن اليوم افضل منهم في الدّنيا فانزل اللَّه سبحانه: أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ استفهام انكار و توبيخ، اى لا نفعل فان المسلمين في الجنّة، و المجرمين، و هم الكافرون، في النّار.
ما لَكُمْ يا كفّار قريش كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ من اين حكمتهم بالتّسوية بين المطيع و العاصى و اىّ عقل اقتضى ذلك، اى انّ هذا الحكم جور ان تعطوا في الآخرة ما يعطى المسلمون.
أَمْ لَكُمْ كِتابٌ نزل من عند اللَّه. فِيهِ تَدْرُسُونَ اى تقرؤن ما فيه.
إِنَّ لَكُمْ فِيهِ اى في ذلك الكتاب. لَما تَخَيَّرُونَ اى ما تختارون لانفسكم و تشتهون و انّما كسرت انّ لما دخلت في خبرها اللّام تخيّر و اختار بمعنى واحد.

أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عهود و مواثيق عَلَيْنا بالِغَةٌ اى مؤكّدة محكمة عاهدناكم عليه فاستوثقتم بها منّا فلا ينقطع عهدكم إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ في ذلك العهد لَما تَحْكُمُونَ لانفسكم من الخير و الكرامة عند اللَّه. خلاصة المعنى: هل وجدتم في كتاب لى او درستم انّى اقسمت قسما بالغا شديدا لا مثنويّة فيه انّى افعل ما تحكمون. ثمّ قال لنبيّه (ص): أَيُّهُمْ بما يقولون من انّ لهم في الآخرة حظّا زَعِيمٌ اى كفيل ضامن فان من كان على بصيرة من شيء تكفّل به و اذ لم يتكفّلوا دلّ على انّهم غير واثقين بما يقولون. قال الحسن: الزّعيم في الآية بمعنى الرّسول، اى فيهم رسول او جاءهم رسول بصحّة ما يقولون.

أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ يعنى: آلهة تكفل لهم بما يقولون و قيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه. فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ اى فليأتوا بها: إِنْ كانُوا صادِقِينَ في دعواهم.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ يوم ظرف و المعنى: فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم و تشفع لهم. و قيل: معناه اذكر يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ و قرئ بالنّون نكشف عن ساق.

روى البخارى في الصّحيح عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن ابى هلال عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابى سعيد الخدرى عن رسول اللَّه (ص) قال: «يكشف ربّنا عن ساقه فيخرّون له سجّدا»

و قال ابن مسعود: يكشف ربّنا عن ساقه. و عن ابى موسى الاشعرى عن النّبي (ص) يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ قال نور عظيم يخرّون له سجّدا.

و قال اهل اللّغة: الكشف عن السّاق كناية عن شدّة الامر قال الشّاعر: «و قامت الحرب على ساق» و يروى عن ابن عباس انّه قال: يكشف عن الامر الشّديد و ذلك اشدّ السّاعة تمرّ بهم في القيامة يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فامّا المؤمنون فيخرّون سجّدا و امّا المنافقون فتصير ظهورهم طبقا كانّها السقافيد. فَلا يَسْتَطِيعُونَ السّجود فتسوّد عند ذلك وجوههم و يتميّز الكافرون من المؤمنين حينئذ و كانوا قبل ذلك مختلطين. و عن ابى هريرة عن النّبي (ص) قال: «يأخذ اللَّه عزّ و جلّ للمظلوم من الظّالم حتّى لا تبقى مظلمة عند احد حتّى انّه ليكلّف شائب اللّبن بالماء ثمّ يبيعه ان يخلص اللّبن من الماء فاذا فرغ من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلّهم الا ليلحق كلّ قوم بآلهتهم و ما كانوا يعبدون من دون اللَّه، فلا يبقى احد عبد شيئا من دون اللَّه الّا مثّلت له آلهته بين يديه و يجعل اللَّه ملكا من الملائكة على صورة عزير و يجعل ملكا من الملائكة على صورة عيسى بن مريم فيتّبع هذا اليهود و يتّبع هذا النّصارى، ثمّ تلويهم آلهتهم الى النّار و هم الّذين يقول اللَّه عزّ و جلّ لو كان هؤلاء آلهة ما و ردوها و كلّ فيها خالدون و اذا لم يبق الّا المؤمنون و فيهم المنافقون، قال اللَّه عزّ و جلّ لهم ذهب النّاس فالحقوا بآلهتكم و ما كنتم تعبدون! فيقولون و اللَّه ما لنا آله الّا اللَّه و ما كنّا نعبد غيره. فينصرف اللَّه عنهم فيمكث ما شاء اللَّه ان يمكث ثمّ يأتيهم فيقول: ايّها النّاس ذهب النّاس فالحقوا بآلهتكم و ما كنتم تعبدون. فيقولون: و اللَّه ما لنا آله الّا اللَّه و ما كنّا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساق و يتجلّى لهم من عظمته ما يعرفون انّه ربّهم فيخرّون سجّدا على وجوههم و يخرّ كلّ منافق على قفاه و يجعل اللَّه اصلابهم كصياصى البقر ثمّ يضرب الصّراط بين ظهرانى جهنّم.

قوله: خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ و ذلك انّ المؤمنين يرفعون رؤسهم من السّجود و وجوههم اشدّ بياضا من الثّلج و تسوّد وجوه الكافرين و المنافقين. تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ اى تغشاهم ذلّ النّدامة و الحسرة. وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ. قال ابراهيم التيمى يعنى: الى الصّلاة المكتوبة بالاذان و الاقامة، و قيل: كانوا يسمعون حيّ على الصّلاة فلا يجيبون. وَ هُمْ سالِمُونَ اصحّاء فلا يأتونه. قال كعب الاحبار و اللَّه ما نزلت هذه الآية الّا في الّذين يتخلّفون عن الجماعات، و قيل: كانت ظهورهم سليمة بخلاف ما كانت في الآخره فلا يجيبون.

فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ اى فدعنى و المكذّبين بالقرآن و خلّ بينى و بينهم. قال الزجاج: اى لا تشغل قلبك بهم و كلّهم الىّ فانّى اكفيكهم و دعنى ايّاهم. سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ اى سنأخذهم بالعذاب حالا بعد حال و سنقرّبهم من العذاب من حيث لا يشعرون فعذّبوا يوم بدر. قال سفيان الثورى الاستدراج ان يبسط عليهم النّعم و يمنعهم الشّكر و قال السّدّى كلّما جدّدوا معصية جدّدنا لهم نعمة و امسيناهم شكرها.

وَ أُمْلِي لَهُمْ اطيل لهم المدّة إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ اى انّ اخذى بالعذاب شديد.

أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً اى أ تطالبهم يا محمد على ما آتيتهم به من الرّسالة جعلا. فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ اى فهم

من غرم ذلك الجعل مُثْقَلُونَ: لا يطيقونه أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ اى عندهم اللّوح المحفوظ، فهم يكتبون منه و يستنسخون منه و قيل: الْغَيْبُ ما غاب عنه من خفىّ معلوماته و لطف تدبيره و كلّ ذلك تنبيه على فساد ما هم عليه مقيمون اتّباع الهوى.
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ارض بقضاء ربّك يا محمد و احبس نفسك و قلبك على ما يحكم به ربّك و لا تضجر بقلبك و لا تجزع بنفسك. وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ يعنى يونس بن متى، لا تعجل كما عجل يونس إِذْ نادى ربّه وَ هُوَ مَكْظُومٌ مملوّ من الغضب مكروب مغموم. قيل: نزلت هذه الآية يوم احد لمّا انهزم المسلمون و كسر رباعية النّبي (ص) و قال: كيف يفلح قوم شجّوا نبيّهم و خضبوا وجهه بالدّم و هو يدعوهم الى اللَّه و اراد ان يدعوا على الّذين قاتلوه فامره اللَّه بالصّبر، و الظّاهر انّها عامة في جميع احواله الّتى امر فيها بالصّبر، و المعنى: لا تستعجل بعقوبة قومك كما استعجل يونس فلقى ما لقى في بطن الحوت حتّى نادى ربّه و هو ممتلى حزنا على نفسه.
لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ اى لو لا انّ اللَّه تاب عليه و خصّه برحمته و لحقته نعمة من قبله. و قيل: لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ هى النّبوّة. و قيل: عبادته السّابقه. لَنُبِذَ بِالْعَراءِ اى لطرح بالارض الفضاء. وَ هُوَ مَذْمُومٌ اى لولا ذلك لنبذ مذموما بدل ما نبذ محمودا. العراء، الفضاء العارى من البناء.
و يقال: هذا «العراء» عرصة السّاعة. العراء في الآية الأخرى «فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ» هى ارض الموصل.
فَاجْتَباهُ رَبُّهُ اى جدّدنا اجتباءه و اعدنا اصطفاءه بعد المحنة كقوله في: آدم: «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» «ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ» و قيل فَاجْتَباهُ رَبُّهُ اى اختاره لرسالته فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ اى من الانبياء قوله وَ إِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا ان هاهنا مخفّفة من الثّقيلة، و المعنى: و انّ الّذين كفروا يكادون يصيبونك باعينهم و ذلك حين اراد الكفّار ان يعينوا رسول اللَّه فيصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش و قالوا: ما رأينا مثله و لا مثل حججه و كانت العين في بنى اسد حتّى انّ الرّجل منهم ينظر الى النّاقة السّمينة او البقر السّمينة ثمّ يعينها ثمّ يقول للجارية: خذى المكتل و الدّرهم فاتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتّى تقع فتنحر و كان الواحد اذا اراد ان يعين شيئا يجوع ثلاثة ايّام ثمّ يعرض له فيقول تاللّه ما رايت مالا اكثر و لا احسن من هذا فيتساقط ذلك الشّيء فارادوا مثل ذلك برسول اللَّه (ص) فعصمه اللَّه من ذلك و انزل هذه الآية. قال الحسن: هذه الآية دواء اصابة العين. و في الخبر: «العين حقّ تشترك من الخالق»
و يروى: «العين حقّ تدخل الرّجل القبر و الجمل القدر و لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين».
و قال بعضهم: انّما يصيب الانسان بالعين ما يستحسنه و تميل نفسه اليه و كان نظرهم الى النّبي (ص) نظرة البغض و ذلك ضدّه. قالوا و معنى الآية: انّهم لشدّة عداوتهم لك ينظرون اليك نظرا يكاد يصرعك عن مكانك كما يقال نظر الىّ فلان نظرا كاد يأكلنى به. و الجمهور على القول الاوّل. قرأ اهل المدينة لَيُزْلِقُونَكَ بفتح الياء و الآخرون بضمّها و هما لغتان يقال: زلقت الرّجل و ازلفته اذا صرعته و كان رسول اللَّه (ص) اذا قرأ القرآن كاد المشركون يزلقونه استحسانا و الذّكر هاهنا القرآن. وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن و يقولون معه جنّى يعلّمه الكتاب.
و قيل: مختلط العقل قالوه حسدا وَ ما هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ اى و ما القرآن الّا موعظة للمؤمنين و شرف لهم و نجاة، و قيل: وَ ما هُوَ اى و ما محمد و ارسلنا ايّاه الّا ذِكْرٌ و شرف لِلْعالَمِينَ الجنّ و الانس.
النوبة الثالثة
قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الباء: برّ اللَّه لاهل السّعادة السّين: سبق الرّحمة لاهل الجهالة. الميم المقام المحمود لاهل الشّفاعة. با اشارتست ببرّ خداوند اهل سعادت را سين اشارتست بسبق رحمت اهل جهالت را. ميم اشارتست بمقام محمود اهل شفاعت را. برّ او آنست كه دلت را بنور معرفت بياراست و در و چراغ توحيد بيفروخت. قال اللَّه تعالى فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ. سبق رحمت آنست كه: در عهد ازل پيش از وجود آفرينش از بهر تو رحمت بر خود نبشت. قال اللَّه: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ. مقام محمود آنست كه: مصطفى عربى (ص) را گفت كه: از بهر شفاعت عاصيان امّت را فردا ترا بقيامت بر پاى كنم در مقامى كه پيشينان و پسينان ترا در آن بستايند. قال اللَّه تعالى: عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً.
قوله تعالى: ن وَ الْقَلَمِ ن از حروف تهجّى است و حروف تهجّى لغات را اصلست و كلمات را وصل است و آيات را فصلست و همه دليل كرم و فضلست، بعضى مجمل و بعضى مفصّل است. از لطف

اشارتست، بمهر بشارتست، جرم را كفّارتست و دلهاى دوستان را غارتست مايه سخنان است، پيرايه سخن گويان است، فهم آن نشان موافقانست. بر گردن دشمنان بارست و در چشم مبتدعان خارست. اعتقاد مؤمنانست كه اين حروف كلام خداوند جهانست. خداوندى كه او را علم و قدرتست علم او بى فكرت، قدرت او بى آلت، ملك او بى نهايت، عنايت او بى رشوت عطاء او بى منّت. خداوندى كه عالم را صانع و خلق را نگه دار است دشمن را دارنده و دوست را يارست، بصنع در ديده هر كس و در جان احبابش قرار است. هر اميدى را نقد و هر ضمانى را بسندهگارست هر چند بنده ز جرم گرانبارست او حليم و بردبارست.
پير طريقت در مناجات خويش گفته: «الهى هر چند كه ما گنهكاريم، تو غفّارى، هر چند كه ما زشت كاريم، تو ستّارى. ملكا گنج فضل تو دارى، بى نظير و بى يارى. سزد كه جفاهاى ما درگذارى».
ن وَ الْقَلَمِ «ن» دواتست و «قلم» خامهاى از نور، نويسنده خداوند غفور، لوح قلم زبرجد نوشت، بمداد نور بنوشت، بر دفتر ياقوت نوشت. قصّه و كردار مخلوق نوشت، دل عارف قلم كرم نوشت، بمداد فضل نوشت، بر دفتر لطف نوشت، صفت و نعت معروف نوشت. كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ لوح نوشت. و همه آن تو نوشت، دل نوشت همه وصف خود نوشت. آنكه از تو نوشت، به جبرئيل ننمود آنكه از خود نوشت به شيطان كى نمايد؟!. بعضى مفسّران گفتند: ماهيى است بر آب زير هفت طبقه زمين ماهى از گرانى بار زمين خم داد و خم گرديد، بر مثال ن شد شكم بآب فرو برده و سر از مشرق برآورده و دنب از مغرب و خواست كه از گرانبارى بنالد، جبرئيل بانگ بر وى زد، چنان بترسيد كه گرانبارى زمين فراموش كرد و تا بقيامت نيارد كه بجنبد. ماهى چون بار برداشت و نناليد، ربّ العالمين او را دو تشريف داد: يكى آنكه بدو قسم ياد كرد، محلّ قسم خداوند جهان گشت ديگر تشريف آنست كه: كارد از حلق او برداشت، همه جانوران را بكارد ذبح كنند و او را نكنند، تا عالميان بدانند كه هر كه بار كشد رنج وى ضايع نشود. اى جوانمرد، اگر ماهى بار زمين كشيد بنده مؤمن بار امانت مولى كشيد. وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ ماهى كه بار زمين برداشت، از كارد عقوبت ايمن گشت. چه عجب اگر مؤمن كه بار امانت برداشت از كارد قطيعت ايمن گردد.
قوله تعالى: ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ عرض عليه مفاتيح الارض فلم يقبلها و رقّاه ليلة المعراج و اراه جميع الملائكة و الجنّة فلم يلتفت اليها. قال اللّه تعالى: ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى ما التفت يمينا و شمالا فقال تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ آن مهتر عالم، سيّد ولد آدم مرد كار بود، معتكف درگاه عزّت مجاور محلّت محبّت. درّى بود از صدف قدرت برآمده، آفتابى از فلك اقبال بتافته، آسمان و زمين بوى آراسته و نگاشته. شب معراج او را گفتند: اى سيّد بر خرام برين گلشن بلند كه عالم قدس در انتظار قدم تست، جمال فردوسيان عاشق چهره جمال تست، آستان حضرت ما مشتاق قدم معرفت تست، الا طال شوق الأبرار الى لقايى و انى لاشد شوقا اليهم. آن مهتر عالم چون در خلوت «أَوْ أَدْنى» قدم بر بساط انبساط نهاد، خطاب آمد كه: سلام عليك ايّها النّبي و رحمة اللّه و بركاته. اى سيّد ما امشب خزينه دار السّلام را در لشگرگاه سينه تو نثار ميكنيم. سيّد گفت: ما را از خداوند خزينه پرواى خزينه نيست، آن بر گدايان و عاصيان امّت خويش ايثار كرديم و على عباد اللّه الصّالحين. گفتند: اى سيّد بآفرينش برون نگر كه همه منتظر جمال تواند تا امشب بهرهاى از تو بردارند. سيّد گفت: درين حضرت كه سعادت ما را فرو آورد نيز ما را سر بحجره آدم و بهشت رضوان فرو نيايد. از حضرت عزّت ندا آمد كه: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ باش تا فرداى قيامت كه علم دولت او بعرصه عظمى برافرازند، قدم در ركاب براق آورده لباس فخر پوشيده، عمّامه فضل بر سر نهاده، لواء حمد در دست گرفته، آدم و هر كه دون اوست از انبياء و اوليا همه در زير علم عزّت او و رايت قدر او درآمده، و از حضرت عزّت اين ندا و نواخت همى آيد كه: يا محمد قل يسمع و سل تعطه و اشفع تشفع.
قدر آن حضرت مهتر عالم موسى دانست كه در آن غيرت ازين عالم بيرون شد و دل بر آن نهاده بود كه خادمى اين مهتر را ميان در بندد و درگاه مكه و مدينه بجاروب عاشقى مىروبد و ازينجا بود كه با عزرائيل منازعت كرد، آن گه كه آمده بود تا قبض روح وى كند فلطمه لطمة لطمه اى بزد و يك چشم او بكند و از درد اين غيرت كه جان ما بر خواهد گرفت، و روى ما گرد سر كوى مصطفى ناگرفته.

حسرت نارسیدن بحضرت این مهتر او را بدان آورد که با عزرائیل آن راه برفت. ای جوانمرد قدر آن مهتر که داند و کدام خاطر ببدایت او رسد؟ صد هزار و بیست و چهار هزار نقطه نبوّت که رفتند در برابر درجات او کواکب بودند و با آنکه او غائب بود همه نور نبوّت ازو گرفتند. چنان که آفتاب اگر چه غایب باشد کواکب نور از وی گیرند، لیکن چون آفتاب پیدا شود. کواکب در نور او همه ناپیدا شوند همچنین همه انبیا نور ازو گرفتند، لیکن چون محمد (ص) بعالم صورت درآمد ایشان همه گم شدند. شعر:

کانّك شمس و الملوك کواکب   اذا طلعت لم یبد منهنّ کوکب

69- سورة الحاقة- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند جهان دار دشمن پرور ببخشایندگی دوست بخشای بمهربانی.

الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) آن روز و آن كار بودنی.

وَ ما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ (3) و چه چیز ترا دانا كرد و چه دانی كه آن روز چه روز است و آن كار چه كار؟

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بِالْقارِعَةِ (4) دروغ زن گرفت ثمود و عاد بروز رستاخیز

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) اما ثمود تباه كردند و هلاك ایشان را بنافرمانی ایشان.

وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا امّا عاد تباه كردند و هلاك ایشان را: بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ (6) ببادی سخت سرد شوخ نافرمان.

سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ برگماشت آن را بر ایشان هفت شب و هشت روز. حُسُوماً پیوسته بر هم روزهای شوم بادها كه از خان و مان ایشان اثر و نشان نگذاشت. فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى تو بینی آن گروهان اندر آن عذاب افكنده. كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ (7) گویی كه ایشان خرما بنان‌اند بی شاخ افكنده از رستنگاه.

فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ (8) ازیشان هیچكس مانده می‌بینی؟

وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ (9) و فرعون و ایشان كه با او بودند و قوم لوط بد خویش آوردند.

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ نافرمان شدند در فرستاده خداوند خویش.

فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً (10) فرا گرفت خداوند ایشان را فراگرفتنی بیش از آنكه میترسیدند و افزون از آن كرد كه میكردند.

إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ ما آن گه كه آب نافرمان شد. حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ (11) برداشتیم شما را در كشتی.

لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً تا آن را یادگاری كنیم وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ (12) و دریابد و نگهدارد آن را گوشی دریابنده و نگاه دارنده.

فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ (13) آن گه كه دردمند در صور يك دمیدن.

وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ و بردارند زمینها و كوه‌ها. فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً (14) و درهم كوبند آن را يك در هم كوفتن.

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ (15) آن روز آنست كه بودنی ببود و افتادنی بیفتاد.

وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ و آسمان برشكافت فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ (16) آسمان آن روز سست شود و تباه.

وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها و فرشتگان بر كرانهای آسمان ایستاده مینگرند وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ (17) و برگیرد عرش خداوند تو زبر ایشان آن روز هشت فریشته.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ آن روز پیش آرد شما را لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ (18) پوشیده نماند از شما هیچ نهان بر اللَّه.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ امّا آن كس كه او را نامه دهند براست دست.

فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ (19) گوید: بیائید نامه من گیرید و برخوانید.

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ (20) من بی گمان بودم، میدانستم كه من امروز می‌شمار باید دید.

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (21) او در زندگانی است پسندیده.

فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ (22) در بهشتی در بالا گزیده و پسندیده.

قُطُوفُها دانِيَةٌ (23) خوشه‌های آن از دست چننده نزدیك.

كُلُوا وَ اشْرَبُوا خورید و آشامید هَنِيئاً نوش باد شما را گوارنده بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ (24) این بآن كردارهاست كه پیش خود فرا فرستادید در روزگارهای گذشته.

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ و اما آنكه نامه او بچپ دست دهند، فَيَقُولُ گويد: يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ (25) كاشك مرا نامه من ندادندى.
وَ لَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ (26) كاشك من هرگز ندانستمى كه شمار من چيست.
يا لَيْتَها كانَتِ الْقاضِيَةَ (27) اى كاشك آن مرگى كه مردم را در دنيا بود، آن مرگ بر من هميشى بودى.
ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ (28) مال من مرا امروز بكار نيامد.
هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ (29) توان من تباه شد.
خُذُوهُ گيريد او را. فَغُلُّوهُ (30) دستهاى او را بر گردن او بنديد.
ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) آن گه سوختن را او را بآتش رسانيد.
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ انگه او را در زنجير كنيد ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً درازى آن هفتاد گز. فَاسْلُكُوهُ (32) اندر كشيد او را.
إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) او بنگرويده بود بآن خداى بزرگوار.
وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ (34) و بر طعام دادن نمى‌انگيخت.
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ (35) او را آن روز هيچ دوست نيست.
وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36) و نيست او را آنجا هيچ خورش مگر از آنچه از قذرهاى او برفت.
لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخاطِؤُنَ (37) نخورد آن را مگر او كه در راه حقّ خطا كرد و از راستى بيفتاد.
فَلا أُقْسِمُ سوگند ميخورم بِما تُبْصِرُونَ (38) وَ ما لا تُبْصِرُونَ (39) بهر چه مى‌بينيد از آفريده و هر چه نمى‌بيند.
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) كه اين باز گفت فرستاده‌اى استوارست راستگوى، پاك مقام.
وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ آن سخن شعرگويى نيست قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ (41) چون اندك ميگرويد.
وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ و نه سخن كاهنى است قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ (42) چون اندك پند مى‌پذيريد و مى‌درياويد.
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (43) فرو فرستاده‌اى است كه از خداوند جهانيان.
وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (44) و اگر رسول بر ما هيچ سخن فرانهادى جز از گفته ما.
لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) دست او گرفتيمى.
ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) آن گه مارك دل او بگسستيمى.
فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ (47) هيچكس از شما باز دارنده عذاب نيست ازو.
وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48) و اين سخن يادگارست» پرهيزگاران را.
وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (49) و ما دانسته بوديم و ميدانيم كه از شما گروهى دروغ زن گيرانند باين سخن.
وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ (50) و اين پيغام بر كافران فردا حسرتى است و پشيمانى.
وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) و اين راست است بدرستى.
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52) بپاكى ياد كن نام خداوند خويش آن بزرگوار.

النوبة الثانية

اين سوره بعدد كوفيان پنجاه و دو آيت است، دويست و پنجاه و نه كلمت، هزار و چهار صد و هشتاد حرف، جمله به مكه فروآمد و باجماع مفسّران در مكيات شمرند، و درين سوره ناسخ و منسوخ نيست. و عن ابى امامة عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ سورة الحاقّة حاسبه اللَّه حسابا يسيرا»

و في بعض الآثار من قرأ احدى عشرة آية من سورة الحاقّة اجير من فتنة الدّجّال و من قرأها كان له نور من فوق رأسه الى قدمه.

قوله: الْحَاقَّةُ يعنى: القيامة، سمّيت حاقّة لانّها واجبة الكون و الوقوع من حقّ يحقّ بالكسر اى وجب و صحّ مجيئها للجزاء على الطّاعة ثوابا و على المعصية عقابا. قال اللَّه تعالى: وَ لكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ

عَلَى الْكافِرِينَ. اى وجبت. و قيل: مشتقّ من حقّ يحقّ بالضّمّ، تقول حققت عليه القضاء اوجبته. و المعنى: توجب لكلّ احد ما استحقّه من الثّواب و العقاب. و قيل: سمّيت حاقّة لانّها حقّت كلّ من حاقّها من مكذّب في الدّنيا فحقّته و غلبته. و قال الكسائى: الحاقّة يعنى يوم الحقّ.
قوله: مَا الْحَاقَّةُ هذا استفهام، معناه التّفخيم لشأنها كما يقال زيد ما زيد؟
على التّعظيم لشأنه. قوله: «ما» رفع بالابتداء، الحاقّة خبره و الجملة خبر المبتدا الاوّل.
وَ ما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ اى انّك و ان سمعتها لم تعلم بها. لانّك لم تعاينها و لم تر ما فيها من الاهوال، و قيل: معناه ليس ذلك من علمك و لا من علم قومك.
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بِالْقارِعَةِ اى بالحاقّة، فوضع القارعة موضعها لانّهما من اسماء القيامة و سمّيت قارعة لانّها تقرع قلوب العباد بالمخافة، و قيل: معناه: كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بالعذاب الّذى اوعدهم نبيّهم حتّى نزل بهم فقرع قلوبهم. فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ اى بسبب طغيانهم و مجاورتهم الحدّ في كفرهم و هي مصدر، كالعافية و العاقبة الخائبة. هذا كقوله: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها و قيل: الطّاغية الصّيحة المتجاوزة في العظم كلّ صيحة، اى اهلكوا بالرّجفة و الصّيحة الطّاغية، و قيل: الطّاغية اسم البقعة الّتى اهلكوا فيها و قيل: معناه بالفرقة الطّاغية و هم قدار بن سالف عاقر الناقة و اتباعه.
وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ و هي الدبور
لقول النّبي (ص) «نصرت بالصّبا و اهلكت عاد بالدّبور «صرصر»
اى باردة في النّهاية و قيل: لها صرّ اى صوت «عاتية» اى عتت على خزّانها في شدّة هبوبها غضبا على اعداء اللّه اذن للّه لها من دون الخزّان. قال قتادة لم تخرج الّا مقدار خاتم. و قال ابن عباس: لم تكن في الدّنيا سفوة ريح و لا قطرة مطر الّا بمكيال و وزن الّا ما كان من ريح عاد فانّها عتت على الخزّان فلم يملكوها و خرجت على قدر حلقة خاتم و ماء طوفان قوم نوح فانّه طغى على الخزّان فلم يملكوه و علا فوق كلّ شيء خمسة عشر ذراعا.
سَخَّرَها عَلَيْهِمْ اى سلّطها و حبسها عليهم سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَةَ أَيَّام يقال: اخر اسبوع من شهر صفر. «حُسُوماً» متتابعة ولاء بين اربعاوين اخذ من جسم الجرح يتابع كيا بعد كى ليقطع الدّم، و قيل: «حُسُوماً» اى شوما كانها حسمت الخير عن اهلها، كقوله: «فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ» و قيل: «حُسُوماً» جمع حاسم كالشّاهد و الشهود، و الحاسم: القاطع المذهب للاثر، اى قاطعة لدابر اولئك القوم.
فيكون نصبا على الصّفة. و قيل: نصب على المصدر. قال وهب: هى الايّام الّتى تسمّيها العرب ايّام العجوز ذات برد و رياح شديدة. سمّيت عجوزا لانّها في عجزة الشّتاء اى اواخرها و قيل: سمّيت بذلك لانّ عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الرّيح فقتلتها اليوم الثّامن من نزول العذاب و انقطع العذاب فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى اى لو كنت حاضرا هناك لرأيت القوم فيها، اى في تلك اللّيالى و الايّام صرعى، اى هلكى، جمع صريع. كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ اى اصول نخل «خاوِيَةٍ» اى ساقطة خالية من العذوق خاليه منابتها منها، و قيل: خالية الاجواف، و قال في موضع آخر: «كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» قيل: كان طولهم اثنى عشر ذراعا.
فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ اى نفس باقية كقوله: «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» و قيل: هى مصدر كالعافية، و المعنى: هل ترى لهم من بقاء.
وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ قرأ اهل البصرة و الكسائى بكسر القاف و و فتح الباء، اى و من معه من جنوده و اتباعه، و قرأ الآخرون بفتح القاف و سكون الباء، اى و من تقدّمه من الامم الكافرة وَ الْمُؤْتَفِكاتُ اى قرى قوم لوط يريد اهل المؤتفكات، و قيل: يريد الامم الّذين ائتفكوا «بِالْخاطِئَةِ» اى بالخطئة و المعصية و هي الشّرك.
فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ يعنى: لوط و موسى (ع) و قيل: كلّ امّة عصوا رسولهم الّذى ارسل اليهم و يجوز ان يكون الرّسول بمعنى الرّسالة فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً اى نامية زائدة على ما عملوا باضعافها، و قيل: زائدة على عذاب الامم، اى عاقبهم اشدّ العقوبة إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ اى ارتفع و علا و تجاوز الحدّ المعتاد حتّى غرق الارض. و قيل: طغى على خزّانة، اى على ميكائيل و حزبه من الملائكة فخرج من الكيل و الوزن و لم يعلموا قدره و حَمَلْناكُمْ اى حملنا آباءكم يا امّة محمد و انتم في اصلابهم. فِي الْجارِيَةِ يعنى السّفينة و سمّيت جارية لانّ من شأنها ان تجرى على الماء.

لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً اى السّفينة الجارية فانّها بقيت الواحها دهرا و قيل: لنجعل ما اتّخذ على مثالها فانّ سفن الدّنيا تذكّر سفينة نوح و كانت اوّلها، و قيل: لنجعل هذه الفعلة و هي اغراق قوم نوح لكم تذكرة و وجه كونها تذكرة ان نجاة من فيها و تغريق من سواهم، تقتضى انّه من مدبر ابدع امرا لم تجربه العادة.
وَ تَعِيَها اى و تحفظها «اذن» انسان شأنه ان يحفظ ما يجب حفظه.
قال النّبي (ص): «افلح من جعل اللَّه له قلبا واعيا، الوعى ان يحفظ السّامع ما يسمعه و يعمل به»
و عن مكحول قال لمّا نزلت وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ
قال رسول اللَّه (ص): «دعوت اللَّه ان يجعلها اذنك يا على» قال على (ع): فما نسيت شيئا بعد ذلك و ما كان لى ان انساه.
يقال الوعى فعل القلب و لكنّ الاذان تؤدى الحديث الى القلوب الواعية فنعتت الآذان بنعت القلوب، تقول: وعيت الكلام اذا فهمته و حفظته و اوعيت المتاع و الزّاد اذا جمعته في الوعاء، قال الشّاعر:
الخير يبقى و ان طال الزّمان به   و الشّر اخبث ما اوعيت من زاد.

و منه قوله تعالى: «وَ جَمَعَ فَأَوْعى» فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ نفخة و النّفخ واحد و ذكر الواحد للتّأكيد لانّ النّفخة لا تكون الّا واحدة و هي النّفخة الاولى فيمن جعل النّفخة نفختين احديها يموت عندها النّاس و الثّانية يبعثون عندها.
وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ اى حمل ما على الارض من جبال و احجار و اشجار من اماكنها فضربت على الارض.
فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً اى دقّتا دقّة واحدة فصارتا هباء منبثّا. و قيل: دكّها زلزلتها. و قيل: دكّها ان تصير قطعة واحدة «لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً».
فَيَوْمَئِذٍ اى حينئذ. وَقَعَتِ الْواقِعَةُ الّتى توعدون و هي قيام السّاعة و صيحتها.
وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ
قال على (ع): اى عن المجرّة
فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ ضعيفة كالغزل المنقوض، و قيل: ساقطة متشقّقة.
وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها الرّجا جانب الشّيء مقصور و الاثنان رجوان و الجمع ارجاء. قال الشّاعر:
اذا لم تحظ في ارض فدعها   و حثّ اليعملات على رجاها
و لا يغررك حظّ اخيك منها   اذا صفرت يمينك من جداها
فانّك واجد دارا بدار   و لست بواجد نفسا سواها

وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها اى الملائكة على اطرافها و نواحيها و ابوابها.
قال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتها حتّى يأمرهم الرّبّ فينزلوا فيحيطوا بالارض و من عليها و قيل: الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها ينتظر ما يؤمر به في اهل النّار و اهل الجنّة من الثّواب و العقاب. و قيل: انّما جعلهم في نواحى السّماء لانّ الكفّار يقصدون الحرب لما يرونه من شدّة العقوبة و تردّهم الملائكة و ذلك معنى قوله: «لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ» اى لا تقصدون مهربا الّا و هناك لى اعوان و لى به سلطان. وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ اى فوق رؤسهم يومئذ يوم القيامة. «ثَمانِيَةٌ» اى ثمانية املاك و جاء في الحديث: «انّهم اليوم اربعة و اذا كان يوم القيامة امدّهم اللَّه باربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورت الاوعال ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء
و في الخبر الصّحيح عن العباس بن عبد المطلب قال: كنّا جلوسا عند النّبي (ص) بالبطحاء فمرّت سحابة فقال النّبي (ص): «أ تدرون ما هذا»؟ قلنا السّحاب فقال: «و المزن» قلنا و المزن؟ قال: «و العنان» فسكتنا. فقال: «هل تدرون كم بين السّماء و الارض»؟ قلنا: اللَّه و رسوله اعلم. قال: «بينهما مسيرة خمس مائة سنة و من كلّ سماء الى سماء مسيرة خمس مائة سنة، و في رواية اخرى، قال (ص): «فانّ بعد ما بينهما امّا واحدة و امّا اثنتان و امّا ثلاث و سبعون سنة» قال: «و السّماء الثّانية فوقها حتّى عدّ سبع سماوات»: ثمّ قال: «و فوق السّابعة بحر ما بين اعلاه الى اسفله كما بين سماء الى سماء و فوق ذلك ثمانية اوعال ما بين اظلافهنّ الى ركبهنّ كما بين سماء الى سماء و فوق ذلك العرش

و اللّه تعالى فوق العرش»
و عن عبد اللّه بن وهب عن ابيه: انّ حملة العرش اليوم اربعة، لكلّ ملك منهم اربعة اوجه و اربعة اجنحة وجه كوجه الانسان، و وجه كوجه الاسد، و وجه كوجه الثّور، و وجه كوجه النّسر و جناحان قد غطى بهما وجهه لئلّا يصعق وجهه من نور العرش و جناحان يهفو بهما، و قال غير وهب: حملة العرش اليوم اربعة ملك في صورت انسان، و ملك في صورت ثور و ملك في صورت اسد، و ملك في صورت نسر.
روى انّه انشد بين يدى رسول اللّه (ص) قول اميّة بن ابى الصّلت:

رجل و ثور تحت رجل يمينه و النّسر للأخرى و ليث مرصد.

فقال النّبي (ص) صدق، و قيل: في ثمانية انّه ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلمهم الّا اللّه عزّ و جلّ، و الاوّل اصحّ و قيل: الخلق عشرة اجزاء جزء الانس و الجنّ و سائر الحيوان و جزء الملائكة السّماوات و الارضين و ثمانية اجزاء حملة العرش و هم الكرّوبيّون. و الفائدة في ذكر العرش عقيب ما تقدّم انّ العرش بحاله خلاف السّماء و الارض. و عن على بن الحسين عليهما السّلام قال: انّ اللّه عزّ و جلّ خلق العرش رابعا لم يخلق قبله الّا ثلاثة: الهواء، و القلم، و النّور، ثمّ خلق العرش من الوان انوار مختلفة من ذلك نور اخضر منه اخضر و الخضرة و نور اصفر منه اصفر و الصّفرة و نور احمر منه احمر و الحمرة و نور ابيض و هو نور الانوار و منه ضوء النّهار.
قوله: يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ قرأ حمزة و الكسائى: لا يخفى بالياء اى لا يستتر على اللّه شيء منكم و لا من احوالكم. روى عن ابو موسى الاشعرى قال: يعرض النّاس يوم القيامة ثلاث عرضات فامّا عرضتان فجدال و معاذير و امّا العرضة الثّالثة فعندها تطير الصّحف في الايدى فاخذ بيمينه و اخذ بشماله و قيل: ليس يعرضهم ليعلم ما لم يكن عالما به و لكنّه يعرضهم مبالغة و مظاهرة في العدل، و قيل: معنى العرض ان يعرف كلّ واحد ما يستحقّه من ثواب او عقاب، و قيل: يعرضون باعمالهم و اقوالهم كما يعرض السّلطان جنده باسلحتهم و دوابّهم.
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ هذا اخبار عن قول الفريقين اذا وصل اليهم كتاب الحفظة فيقول المؤمنون قيل: نزلت هذه الآية في ابى سلمة بن عبد الاسد زوج امّ سلمة امرأة النّبي (ص) هو اوّل من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول اللّه (ص) ثمّ هو عامّ في كلّ مؤمن. فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ تقديره هاؤم كتابى و اقرؤا كتابى فحذف الاوّل لانّ الثّاني يدلّ عليه، اى خذوا كتابى و اقرؤا و انظروا الى نجاتى لتقفوا عليها، يقال للرّجل «هاء» اى خذ، و للاثنين «هاؤما»، و للجميع «هاؤم».
يقال: انّه كتاب تكون زلّات صاحبه في باطنه و طاعاته في ظاهره يراها النّاس و يقولون: طوبى لهذا العبد، فاذا قرأ كتابه وجد في آخره انّى سترت عليك في الدّنيا و انّى اغفر هالك اليوم فيشرق وجهه و يؤمر بان يقلب كتابه فاذا قلبه راى حسناته و في آخرها قد قبلتها منك فيقول من فرط سروره: تعالوا اقْرَؤُا كِتابِيَهْ و الهاء في كتابيه و حسابيه للوقف و لاستراحة.
عن زيد بن ثابت قال: قال رسول اللّه (ص): «اوّل من اعطى كتابه من هذه الامّة عمر بن الخطاب و له شعاع كشعاع الشّمس» قيل له: فاين ابو بكر؟ قال: هيهات زفته الملائكة الى الجنّة.
قوله: إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ هذا الظّنّ اسم للعلم ليس من الشّك و هو في القرآن كثير معناه: اليقين سمّى اليقين ظنّا لان الظّن يلد اليقين، معناه ايقنت في الدّنيا انّى معاين حسابى فكنت استعدّ له.
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ اى في حياة مرضيّة يرضى بها صاحبها و خرجت مخرج سائر روى الآى.
فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ قيل: خلق اللّه الجنّة عالية و النّهار هاوية، و قيل: «فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ» المكان عالية القدر و الشّأن.
قُطُوفُها دانِيَةٌ اى ثمارها قريبه ينالها القائم و القاعد و المضطجع يقطفون كيف شاؤا و يقال لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا من نعيم الجنّة هَنِيئاً سليما من الآفات و المكاره لا تنغيص فيها و لا تكدير. بِما أَسْلَفْتُمْ اى بسبب ما قدمتم من الخيرات و الطّاعات في ايّام الدّنيا الماضية. قال ابن عباس انّها نزلت في الصّائمين خاصّة. فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ اى الجائعة كما تقول: نهاره صائم.
يروى انّ اللّه عزّ و جلّ يقول يوم القيامة: «يا اوليائى طالما نظرت اليكم في الدّنيا و قد قلصت شفاهكم

عن الاشربة و غارت اعينكم و خمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم.
كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ.
وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ قيل: نزلت في الاسود بن عبد الاسد اخى ابى سلمة هو له خاصّ ثمّ هو عامّ في جميع الكفّار. قيل: ينزع يده من صدره الى ما خلف ظهره فيعطى كتابه بشماله فيقول: يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ.
وَ لَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ يتمنّى ان لم يبعث و لم يحاسب لما يرى فيه من قبائح اعماله هذا كقوله:ا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً».
يا لَيْتَها كانَتِ الْقاضِيَةَ الهاء راجعة الى موتته يقول: يا ليتنى متّ ميته قاضية لا حياة بعدها يتمنّون الموت عند ذلك في القيامة من شدّة ما يقاسونه من العقوبة و كانوا من اشدّ النّاس كراهية للموت في الدّنيا.
ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ لم ينفعنى ما جمعته في الدّنيا من الاموال و لم يدفع عنّى من عذاب اللَّه شيئا.
هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ اى ضلّت عنّى حجّتى و زال عنّى ملكى و قوّتى و قيل: كلّ احد كان له سلطان على نفسه و ماله و جوارحه فيزول في القيامة سلطانه على نفسه فلا يملك لنفسه. و قيل: ذلك كان بحيث لو اراد ان يؤمن لقدر على ذلك السّلاطة في اللّسان البلاغة و قوّة الكلام مع الاصابة و السّليط الزّيت و السّلطان المكنة و القدرة في قوله عزّ و جلّ: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ إِنَّما سُلْطانُهُ وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ و مات فلان في سلطان فلان اى في ولايته.
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ القول هاهنا مضمر، اى يقول اللَّه عزّ و جلّ لخزنة جهنّم خُذُوهُ فشدّوه بالاغلال، اى اجمعوا يده الى عنقه في الحديد.
ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ اى ادخلوه فيها و احرقوه.
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ يقال: تدخل السّلسلة في فيه ثمّ يخرج من مقعدته و معنى فَاسْلُكُوهُ اى فاسلكوا فيه السّلسلة و لكنّ العرب يقول: ادخلت القلنسوة في رأسه، و قيل: هى سلسلة واحدة يدخلون جميعا فيها و يشدّ بعضهم الى بعض و قيل: بل لكلّ واحد سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً. قال نوف البكائى الشّامى: كلّ ذراع سبعون باعا، كلّ باع ابعد ما بينى و بين مكة و هو يومئذ بالكوفة، و في رواية بذراع المترف الجبّار، و الجبّار عند العرب العظيم الطّول. و عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص عن النّبي (ص) قال: «لو انّ رضراضة مثل هذه و اشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السّماء الى الارض و هى مسيرة خمس مائة سنة لبلغت الارض، قيل: اللّيل و لو انّها ارسلت من رأس السّلسلة لسارت اربعين خريفا، اللّيل و النّهار قبل ان تبلغ اصلها او عقرها. و عن كعب قال: لو جمع حديد الدّنيا ما وزن حلقة منها. و قيل: لو انّ حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرّها. «إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ».
وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ اى لا يطعم و لا يأمر به بل كان يقول: أ نطعم من لو يشاء اللَّه اطعمه. كان ابو الدرداء يقول لامرأته ام الدرداء: نجونا من نصف السّلسلة آمنّا باللَّه فحضّى على اطعام المسكين للنّصف الباقى.
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ الحميم: القريب نسبا او ودّا او لا ينتفع بحميمه كما ينتفع في الدّنيا.
وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ و هو الصّديد الّذى ينغسل من ابدان اهل النّار.
و قيل: هو طعام اعدّه اللَّه لاهل النّار و هو اعلم به هو بعض ما اخفى لهم، يقال: للنّار دركات و لكلّ دركة نوع طعام و شراب.
لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخاطِؤُنَ الكافرون الجائرون عن طريق الحقّ عمدا.
فَلا أُقْسِمُ لا صلة و معناه: اقسم و دخلت لا مؤكّدة، و قيل: انّها نفى لردّ كلام المشركين كانّه قال: ليس الامر كما يقوله المشركون: أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ.
وَ ما لا تُبْصِرُونَ هذا من جوامع كلم القرآن، قال قتادة: اقسم بالاشياء كلّها فيدخل فيه جميع الموجودات.
و قيل: اقسم بالدّنيا و الآخرة. و قيل: ما تبصرون ما على ظهر الارض و ما لا تبصرون ما في بطنها.
و قيل: تبصرون الاجسام و ما لا تبصرون الارواح.
و قيل: ما تبصرون الانس و ما لا تبصرون الملائكة و الجنّ. و قيل: النّعم الظّاهرة و الباطنة.
و قيل: ما تبصرون ما اظهر اللَّه للملائكة و اللّوح و القلم و ما لا تبصرون ما استأثر اللَّه بعلمه فلم يطلع

عليه احدا. و قال جعفر: بما تبصرون من صنعى في ملكى و ما لا تبصرون من برّى باوليايى. و قال جنيد: بما تبصرون من آثار الرّسالة و الوحى على حبيبى محمد.
وَ ما لا تُبْصِرُونَ من السّر معه ليلة الاسراء، و قال ابن عطاء ما تبصرون من آثار القدرة وَ ما لا تُبْصِرُونَ من اسرار القدرة.
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ هذا جواب القسم، اى انّ هذا القرآن قراءة رسول كريم يعنى محمد (ص). اضاف القول اليه لانّه لمّا قال قول رسول اقتضى مرسلا فكان معلوما انّ ما يقرأه كلام مرسله و انّما هو مبلّغه و قد يأت القول في القرآن، و المراد به القراءة قال اللّه تعالى. حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ اى ما تقرؤن في صلوتكم.
و قيل: سبب نزول الآية انّ الوليد بن المغيرة قال: انّ محمّدا ساحر، و قال ابو جهل: هو شاعر فانزل اللّه تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَ ما لا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ قيل: يعنى جبرئيل (ع).
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ اى انّ الّذى يقرأه جبرئيل على محمد (ص) وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ ما صلة دخلت للتّوكيد اى قليلا تؤمنون.
وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ قرأ ابن كثير و ابن عامر و يعقوب: يؤمنون يذكرون بالياء فيهما. و اراد بالقليل نفى ايمانهم اصلا كقولك: لمن لا يزورك فلمّا تأتينا و انت تريد لا تأتينا اصلا. الشّعر في اللّغة: العلم، يقال: شعرت اشعر، اى علمت، و شعر الرّجل اذا صار شاعرا و سمّى الشّاعر شاعرا لانّ الشّعر علم برأسه لا يعلّمه كلّ احد. و الكاهن الّذى يزعم انّ له خدما من الجنّ يأتونه بضرب من الوحى، و قد انقطعت الكهانة بعد نبيّنا (ص) لانّ الجنّ حبسوا و منعوا عن الاستماع. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ يعنى به القرآن نزل به جبرئيل على محمد (ص).
وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا يعنى الرّسول و لو تحرض و اختلق علينا و اتى بشيء من عند نفسه او زاد في القرآن او نقص منه.
لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ اى لامرنا ان يؤخذ بيده اخذا بالعقوبة كالسّلطان اذا اراد الاستخفاف ببعض رعيّته قال لبعض اعوانه: خذ بيده و اخرجه. و قيل: معناه لانتقمنا منه بالقوّة و القدرة اى عذّبناه و اخذناه بقهر اخذ عقوبة و عبّر عن القوّة باليمين لانّ قوّة كل شيء في ميامنه، و قيل: لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ اى بالحقّ كقوله: كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ اى من قبل الحقّ. و قيل: «باليمين» اى بالعهد الغليظ الّذى اخذنا منه. اى طالبناه بعهدنا لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا.
ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ اى امتناه و اهلكناه، لانّ الوتين عرق في القلب متّصل بالظّهر اذا قطع مات صاحبه. قال ابن عباس: الوتين نياط القلب. و قال مجاهد هو الحبل الّذى في الظّهر اذا انقطع مات الانسان.
فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ اى مانعين يحجزوننا عن عقوبته و المعنى: انّ محمدا لا يتكلّف الكذب لاجلكم مع علمه انّه لو تكلّفه لعاقبناه و لا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه و جمع حاجزين و هو من نعت احد لانّ احدا يستعمل في معنى الجمع كقوله: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ اى انّ هذا القرآن لموعظة للمتّقين خصّهم بالذّكر لانتفاعهم به و التّذكرة العلامة الّتى يذكر بها المعنى و إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ بالقرآن جاحدين للرّسالة و صفات الآلهيه. و قيل: انّا لنعلم من يصدّق و من يكذّب. قال مالك ما اشدّ هذه الآية على هذه الامّة.
وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ اى و انّ القرآن لحسرة و ندامة عَلَى الْكافِرِينَ يوم القيامة اذا رأوا ثواب من آمن به و عمل بما فيه و قد خالفوا و ضيّعوا العمل به.
وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ مضاف الى النّعت تأويله: و انّه للحقّ اليقين و قيل: معناه انّه لليقين حقّ اليقين، كما تقول: هو الجواد عين الجواد. و قيل: انّه لحقّ الامر اليقين ايقن به المؤمن في الدّنيا فينفعه و ايقن به الكافر في الآخرة فلم ينفعه.
و قيل: ان التّحسّر للكافر يوم القيامة كائن لا محالة.
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ تأويله فسبّح ربّك العظيم و الاسم زائد كقول لبيد:
الى الحول ثمّ اسم السلام عليكما و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر

و المعنى: صلّ له و نزّهه عمّا لا يليق به فسبحان اللَّه دائما و العظيم الّذى كلّ شيء في جنب عظمته صغير.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بسم اللَّه روح للرّوح و شفاء للقلب المجروح. طوبى لمن يغدو بذكره و يروح فالرّبّ عليه مطّلع و الباب له مفتوح:

بين الصّبابة و الهجران مطروح   قلب بحدّ سنان الشّوق مجروح
اندر همه عمر من شبى وقت صبوح   آمد بر من خيال آن راحت روح
پرسيد ز من كه: چون شدى اى مجروح   گفتم كه: ز عشق تو همين بود فتوح!

خداوندا بنشانت بينندگانيم، بنامت زندگانيم، بفضلت شادانيم، بمهرت نازانيم مست مهر از جام تو مائيم، صيد عشق در دام تو مائيم:

زنجير معنبر تو دام دل ماست   عنبر ز نسيم او غلام دل ماست
در عشق تو چون خطى بنام دل ماست   گويى كه همه جهان بكام دل ماست

الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ قيامت و رستاخيز چه گوئيم كه چيست، آن قيامت و آن رستاخيز حقّست و بودنى، راست است و افتادنى، هر كس برسد بآنچه سزاى اوست و پاداش گيرد از نيك و بد كه در جريده اوست. گفته‌اند كه قيامت دواست: يكى امروز و يكى فردا. امروز مرگست كه در خبر مى‌آيد من مات فقد قامت قيامته هر كه بمرگ رسيد قيامت او در رسيد هر كه اين قيامت را يقين بود هميشه در هول و هراس مرگ بود، همواره از نهيب اين قيامت سوخته و گداخته بود. پيوسته در برگ راه و ساز آن سفر بود. بزرگان دين چنين گفته‌اند كه: آدمى از دو بيرون نيست، يا بر مثال ستورى است در اصطبلى باز داشته، يا بر مثال مرغى در زندان قفص كرده آن بيچاره كو بر مثال ستورست، از مرگ ميترسد و ميلرزد، داند كه ستور را چون از اصطبل بيرون بزند در بار كشند و آن جوانمرد كه بر مثال مرغ است، پيوسته در انتظار مرگست زيرا كه همه شادى و راحت مرغ از شكستن قفص بود چنانك آن جوانمرد گفت:

كى باشد كين قفص بپردازم   در باغ الهى آشيان سازم.

امّا قيامت فردا خاست رستاخيز است كه خلق اوّلين و آخرين را در آن صعيد هيبت جمع كنند، چنان كه ربّ العزّة گفت: وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً روزى عظيم و كارى صعب و سياستى بى نهايت. ايوان كبريا بركشيده، ميزان عدل درآويخته، صراط راستى باز كشيده، فراديس جمال آراسته، دوزخ هيبت برآشفته.

روزى كه پرده‌ها بردارند و رازها آشكارا كنند و تاجهاى هزل بخاك اندازند و كلاههاى هوس فرو نهند. و پندارها از آب و خاك بيفشانند و پاداش نيك و بد در كنار نهند. كار از دو بيرون نبود، يا بر بنده سلام كنند و نعمت سلامت اسلام بر وى تمام كنند و نامه وى بدست راست دهند كه: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ.

يا اسير عذاب و غرام كنند، و لذّات و راحات بر وى حرام كنند، و نامه كردار وى بدست چپ دهند كه: وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ.

آن را كه نامه بدست راست دهند از عالم ملكوت هر لحظه‌اى هزار شربت كرامت و لطافت بر دست وى نهند، در آسمانها حديث وى كنند، در حوالى عرش با مقرّبان مباهات از بهر وى كنند، آن گه او را بجنّات عدن برند، با حورا و عينا و ولدان و غلمان بنشانند. تاج وقار بر سرش نهند، بر مائده خلدش آرام دهند و از حضرت عزّت اين ندا روان گشته كه: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ مى‌خوريد و مى‌آشاميد ازين نعيم بهشت چنانك خواهيد، از فزع اكبر ايمن گشته و بمقعد صدق رسيده كس را با شما حساب نه و ما را با شما عتاب نه. ايشان چون اين ندا شنوند، آواز برآرند و

گویند: الحمد للّه الّذى صدقنا وعده. حمد آن خداوند را كه وعده خود راست گردانيد و ما را شراب وصل چشانيد.
و آن را كه نامه بدست چپ دهند، نداى قهر آيد بخازنان دوزخ كه: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ گيريد او را به قهر و عنف، كشيد او را بدوزخ، دست و پاى در غل كرده و در زنجير هفتاد گزى كشيده، و از رحمت حقّ نوميد شده، و بسقر رسيده. اگر شررى از آن آتش كه در سقر است بدنيا فرستند، همه اهل دنيا بيطاقت شوند پس چون بود حال كسى كه در ميان آن آتش بود؟ مصطفى (ص) گفت: بآن خداى كه جان من بيد اوست كه اگر يك حلقه از آن سلاسل و اغلال بر كوه‌هاى دنيا نهند همه كوه‌ها بگدازد و بزمين فرو شود، پس چون بود حال كسى مرو را بدين سلاسل و اغلال بند كنند؟ و اگر يك جامه از آن جامهاى قطران كه قرآن از آن خبر مى‌دهد كه: «سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ» از آسمان دنيا بياويزند همه اهل زمين از گند آن بميرند. پس چگونه بود حال كسى كه اين جامه لباس وى بود؟ نه از گزاف رسول خدا صلّى اللّه عليه و سلّم گفتى: «الحمد للّه على كلّ حال و اعوذ باللّه من حال اهل النّار».

70- سورة المعارج- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند جهاندار دشمن پرور ببخشایندگی، دوست بخشای بمهربانی.

سَأَلَ سائِلٌ پرسید پرسنده‌ای بِعَذابٍ واقِعٍ (1) از عذابی که بودنی است و افتادنی.

لِلْكافِرِينَ ناگرویدگان را لَيْسَ لَهُ دافِعٌ (2).

مِنَ اللَّهِ آن را باز دارنده‌ای و باز پس برنده‌ای نیست از خدای عزّ و جلّ ذِي الْمَعارِجِ (3) آن خداوند صفتهای بلند و عطاهای بشکوه.

تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ بسوی او بر می‌شود فریشتگان و جبرئیل فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) در روزی که اندازه آن پنجاه هزار سال بود.

فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا (5) تو شکیبایی کن شکیبایی کردن نیکو.

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (6) ایشان آن روز را نابودنی می‌بینند.

وَ نَراهُ قَرِيباً (7) و ما آن را بودنی می‌بینیم، ایشان آن روز را دور می‌بینند و دیر و ما آن را نزدیك می‌بینیم و زود.

يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ (8) آن روز که آسمان از بیم چون دردی زیت گردد، یا چون مس گداخته.

وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ (9) و کوه‌ها چون پشم رنگ کرده بود از رنگ رنگ.

وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (10) و آن روز هیچکس خویش را و دوست را نپرسد.

يُبَصَّرُونَهُمْ بر دیدار چشم او میدارند می‌بیند و نپرسد از بیم. يَوَدُّ الْمُجْرِمُ دوست دارد و خواهد کافر، لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ که خویشتن را باز خرد از عذاب آن روز بِبَنِيهِ (11).

وَ صاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (12) بپسران خویش و برادر خویش.

وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) و خاندان او که او را می‌داشتند.

وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً و هر که در زمین کس است همه ثُمَّ يُنْجِيهِ (14) تا آن وقت که آن را خرید او را برهانید.

كَلَّا نیست آن او را و نبود نه إِنَّها لَظى (15) آن آتشی است زبانه زن.

نَزَّاعَةً لِلشَّوى (16) که پوست از سر درکشد.

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (17) میخواهد هر کس را که پشت بر حق گردانید درین جهان و از فرمانبرداری برگشت.

وَ جَمَعَ فَأَوْعى (18) و مال گرد کرد و ببست و بنهاد.

إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) مردم را ناشکیبا و تنگ دل آفریدند و حریص.

إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) چون بدو درویشی رسد، بدو زارنده بود ناشکیبا.

وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) و چون نیکی مال بدو رسد. باز دارنده و دریغ دارنده بود.

إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ (23) مگر ایشان

که بر نماز خود پایندگان‌اند همیشه.

وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) و ایشان که در مالهای خویش حقّی می‌بینند.

لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (25) خواهنده را و درمانده را.

وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) و ایشان که بروز رستاخیز میگروند و استوار میدارند.

وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) و ایشان که از عذاب خداوند خویش می‌ترسند.

إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) که عذاب خداوند ایشان نه آنست که از آن ایمن باشند.

وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (29) و ایشان که فرجهای خویش را گوشوانان‌اند.

إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ مگر از زنان خویش. أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ یا از کنیزکان خویش فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) که ایشان بر زنان و کنیزکان خویش بجای سرزنش نیستند.

فَمَنِ ابْتَغى‏ وَراءَ ذلِكَ هر كه افزون از آن جويد فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ (31) ايشان آنند كه اندازه درگذارندگانند.
وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (32) و ايشان كه امانت خويش را و پيمان خويش را كوشندگانند.
وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ (33) و ايشان كه گواهى خويش را بپاى دارندگان‌اند.
وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى‏ صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (34) و ايشان كه بر نمازهاى خويش هنگام كوشندگانند.
أُولئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35) ايشان فردا در بهشتهاى‌اند نواختگان.
فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ چه رسيدست اين ناگرويدگان را گرد بر گرد تو؟
مُهْطِعِينَ (36) چشمها نهاده در تو.
عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ (37) از راست و از چپ تو جوق جوق.
أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مى‌بيوسد هر يكى از ايشان أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) كه دارند او را در بهشت پر ناز.
كَلَّا نيست ايشان را آن نياوند إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ما بيافريديم ايشان را از آنچه ميدانند.
فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ سوگند ميخورم بخداوند دو سوى
جهان آن سوى كه روز برآيد و شب و آن سوى كه روز فرو شود و شب. إِنَّا لَقادِرُونَ (40) كه ما توانابيم.
عَلى‏ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ كه ازيشان بهترى آريم، يا ايشان را به از آن از سر فا بيافرينيم. وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41) و ما در هيچ كار درنمانيم و از هيچكس باز پس نمانيم.
فَذَرْهُمْ گذار ايشان را يَخُوضُوا كه هم در آن نابكار گفتن مى‌باشند وَ يَلْعَبُوا و هم آن بازى ميكنند حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ تا آن روز كه روز خويش بينند الَّذِي يُوعَدُونَ (42) آن روز كه ايشان را وعده ميدهند.
يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ آن روز كه بيرون مى‌آيند از گورها سِراعاً زودازود كَأَنَّهُمْ إِلى‏ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43) گويى كه ايشان بعلمى همى شتاوند.
خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ فروشده و فرو مانده چشمهاى ايشان از بيم تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ خوارى بر ايشان نشسته. ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ (44) اين آن روز است كه درين گيتى ايشان را وعده ميدادند.

النوبة الثانية

اين سوره چهل و چهار آيتست، دويست و شانزده كلمت، هزار و صد و شصت و يك حرف جمله به مكه فروآمده باجماع مفسّران، و درين سورت دو آيت منسوخ است يكى: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا ديگر: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا اين هر دو آيت منسوخ‌اند بآيت سيف. و في رواية ابى بن كعب عن النّبي (ص) قال: «من قرأ سورة: سأل سائل، اعطاه اللَّه ثواب الّذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون».
سَأَلَ سائِلٌ علماء تفسير مختلف‌اند در سبب نزول اين آيات، قومى گفتند در شأن النّضر بن الحارث فرو آمد، آن گه كه گفت: إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ. قومى گفتند: در شأن بو جهل فرو آمد كه گفت: «فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ». و گفته‌اند: در شأن جماعتى كفّار قريش آمد كه بر طريق استهزاء گفتند: «عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ». و گفته‌اند: سائل اينجا مصطفى (ص) است كه كافران او را اذى مينمودند تا بر ايشان عذاب خواست بتعجيل. و گفته‌اند: مراد باين نوح است (ع) كه بر قوم خويش دعاى بد كرد و عذاب خواست.
قوله: سَأَلَ سائِلٌ قرأ نافع و ابن عامر سأل سايل بغير همز و له وجهان: احدهما انّه بالهمز و بغير الهمز في المعنى واحد. يقال سالت اسأل و سلت اسأل. و الوجه الثّاني انّه من السّيل يقال: سال يسيل سيلا، و قيل: السائل واد في جهنّم، و المعنى: سال الوادى بالعذاب واقع للكافرين يقع لهم و ينزل بهم. و قيل: اللّام بمعنى على، اى يقع عليهم و يحلّ بهم. قرأ الآخرون بالهمز من السؤال لا غير، و له وجهان: احدهما ان يكون الباء في قوله بِعَذابٍ بمعنى عن عذاب كقوله: «فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً» اى عنه. و قال الشّاعر:

فان تسألونى بالنّساء فانّنى بصير بادواء النّساء طبيب.

اى عن النّساء. و معنى الآية: سأل سائل عن عذاب واقعٍ نازل كاين على من ينزل و لمن هو فقال تعالى مجيبا له.
لِلْكافِرينَ و هذا قول الحسن و قتادة قالا: كان هذا بمكّة لمّا بعث اللَّه سبحانه محمدا (ص) و خوّفهم بالعذاب، قال المشركون بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب سلوا محمدا لمن هو و على من ينزل و لمن يقع؟ فبيّن اللَّه تعالى. و انزل: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْكافِرِينَ اى هو للكافرين. و الوجه الآخر ان يكون الباء صلة و معنى الآية دعا داع سأل سائل عذاباً واقعا. لِلْكافِرِينَ اى على الكافرين و هو النّضر بن الحارث حيث دعا على نفسه و سأل العذاب فقالوا: اللّهم ان كان هذا هو الحقّ من عندك الآية.... فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرا و هذا قول ابن عباس و مجاهد.
لَيسَ لَهُ اى لذلك العذاب دافِعٌ مانع مِنَ اللَّهِ. اى ذلك العذاب واقع من قبل اللَّه سبحانه بالكافرين لا يدفعه عن الكافرين احد.
و قوله: ذِي الْمَعارِجِ صفة للَّه و له معنيان: احدهما ذو المصاعد الّتى تصعد فيها الملائكة و الرّوح و هي السّماوات. و الثّاني الْمَعارِجِ الفواضل و هي هباته السّنيّة و عطاياه الهنيّة. و قيل: المعارج تعالى الدّرجات و هي الّتى يعطيها اللَّه اولياه في الجنّة.
و العروج: الصّعود و المعرج المصعد و الجمع المعارج و ذكر المعارج هاهنا تنبيها لهم انّ من قدر على خلق هذه المعارج للملائكة و هذا الرّتب للعباد قدر على ارسال العذاب على الكافرين.
قوله: تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ يعنى جبرئيل (ع) خصّ بالذّكر بعد العموم تشريفا له. و قيل: عنى بالرّوح ارواح المؤمنين عند الموت. و قيل: هم قوم موكّلون على الملائكة قوله: إِلَيْهِ يعنى الى اللَّه، فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ اراد به يوم القيامة و فيه تقديم و تأخير اى ليس للعذاب دافع من الكفّار في يوم القيامة الّذى كان مقداره خمسين الف سنة من سنى الدّنيا لو صعد غير الملائكة و ذلك انّهم تصعد من اسفل الارض السّابعة الى ما فوق السّماء السّابعة الى العرش مقدار خمسين الف سنة. و امّا قوله: «فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» انّما هو قدر مسيرهم من السّماء الدّنيا الى وجه الارض مسيرةً خمس مائة سنة هبوطا و مثله صعودا و قيل: هواء الدّنيا مسيرة خمس مائة عام و بصر السّماء مسيرة خمسمائة عام. و قيل: موقفهم في الحساب حتّى يفصل بين النّاس خمسون الف سنة ثمّ لا ينتهى اليوم الى ليل يردّ النّهار الى اهل الجنّة مخلّدا و اللّيل الى اهل النّار مخلّدا و قيل: يوم القيامة فيه خمسون موقعا كلّ موقف الف سنة و قيل: انّ اليوم في الآية عبارة عن اوّل ايام الدّنيا الى انقضائها و انّها خمسون الف سنة لا يدرى احدكم كم مضى و كم بقى الّا اللَّه عزّ و جلّ. و روى عن ابن عباس انّه قال: هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة.
روى ابو سعيد الخدرى قال: قيل لرسول اللَّه (ص): يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم! فقال (ص): «و الّذى نفسى بيده انّه ليخفّف على المؤمن حتّى يكون اخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدّنيا
و قيل: معناه لو ولى محاسبة العباد في ذلك اليوم غير اللَّه لم يفرغ منه في خمسين الف سنة و يفرغ اللَّه في مقدار نصف يوم من ايّام الدّنيا قوله: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا اى فاصبر يا محمّد على تكذيبهم ايّاك صبرا جميلا لا شكوى فيه و لا جزع و هذا قبل ان امر بالقتال فنسخ.
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً اى انّ الكفّار يرون العذاب و اليوم المذكور بعيدا مستحيلا غير ممكن.
وَ نَراهُ قَرِيباً من الفهوم ممكنا. و الرّؤية هاهنا بمعنى العلم، و قيل: انّهم يرونه بعيدا اى بطيئا وقوعه و نراه قريبا اى سريعا وقوعه لانّ ما هو آت قريب، هذا كقوله «وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ». ثمّ وصف اليوم فقال: يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ المهل على معان منها ما يسيل من القرح من صديد او قيح و هو في قول ابى بكر الصديق حين اتى بحبرتين و قد احتضر قال: ادفنونى في ثوبىّ هذين انّما هما للمهل و ردّ الحبرتين و قال: الحىّ اولى بالجديد من الميّت و المهل المذاب من فضّة او نحاس او صفر و ما اشبهها و المهل دردىّ الزّيت و عكره سمّى بذلك لانّه يسيل العكر لثخانته على مهل و على المعنيين الاخيرين تأويل الآية فالسّماء اليوم خضراء و هي تتلوّن يوم القيامة فتكون وردة كالدّهان فتكون الوانا من الفزع كتلوّن الانسان للفزع ثمّ تشقّق و تنفطر و تمور مورا و تسير سيرا.

وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ و هو الصّوف المصبوغ الوانا و اوّل ما يتغيّر الجبال تصير رملا مهبلا ثمّ عهنا منفوشا ثمّ تصير هباء منثورا.
وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً اى لا يسأل قريب عن حال قريبه لاشتغاله بنفسه و قيل: لا يسأله ليحمل عنه من اوزاره شيئا ليأسه عن نصرته. قرأ البزى عن ابن كثير لا يسأل بضمّ الياء اى لا يسأل حميم عن حميم لا يقال لحميم اين حميمك. و قيل: لا يسأل لانقطاع ما بينهم من العصم.
يُبَصَّرُونَهُمْ اى يعرفون اقاربهم، فيقال لهم: هذا فلان و هذا فلان زيادة في فضيحتهم. و قيل: يعرّفونهم اى يعرّفون الملائكة حتّى يعرفوهم بسيماهم فيعذّبوهم بالوان العذاب. و قيل: يبصّر المؤمنون الكافرين حتّى يعرفوا الكفّار بسيماهم فيزدادوا شكرا و يزداد الكفّار حسرة و اسفا، و قيل: يعرف المؤمن ببياض وجهه و الكافر بسواد وجهه، و قيل: ليس في القيامة مخلوق الّا و هو نصب عين صاحبه فيبصر الرّجل اباه و اخاه و اقرباه و عشيرته لا يسأله و لا يكلّمه لاشتغاله بما هو فيه. يَوَدُّ الْمُجْرِمُ اى يتمنّى المشرك.
لَوْ يَفْتَدِي اى يفادى نفسه ببنيه و هم اعزّ الخلق اليه وَ صاحِبَتِهِ: زوجته و سكنه وَ أَخِيهِ الّذى كان ناصرا له و معينا.
وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ اى قبيلته الّتى تضمّه لقرابته و يأوى اليها عند الخوف.
وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً من الانس اى يودّ لو يفتدى بهم جميعا ثُمَّ يُنْجِيهِ ذلك الافتداء من عذاب ذلك اليوم.
كَلَّا اى ليس كذلك لا ينجيه من عذاب اللَّه شيء ثمّ ابتدا فقال: إِنَّها لَظى هى اسم من اسماء جهنّم. قيل: هى الدّركة الثّانية سمّيت بذلك لانّها تتلظّى اى تتلهّب.
نَزَّاعَةً لِلشَّوى قرأ حفص عن عاصم نَزَّاعَةً نصب على الحال و القطع فيه.
و قرأ الآخرون بالرّفع اى هى نَزَّاعَةٌ لِلشَّوى الشّوى الاطراف كاليدين و الرّجلين و قيل: هى جلدة الرّأس، و قيل: هى محاسن الوجه قال الضحاك تنزع النّار الجلد و اللّحم عن العظم و قيل: تفصّل الاعضاء بعضها من بعض ثمّ يعود الى ما كان.
تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى اى تدعو النّار الكافر و المنافق فتقول الىّ الىّ ايّها الكافر ايّها المنافق. قال ابن عباس تدعوهم باسمائهم بلسان فصيح ثمّ تلتقطهم كما يلتقط الطّير الحبّ تدعو من اعرض عن الدّين و تولّى عن الايمان و الطّاعة.
وَ جَمَعَ فَأَوْعى اى جمع المال فاوعاه في الظّروف و لم يؤدّ زكاته و لم ينفقه في سبيل اللَّه. و في الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كانّه بذج فيتوقّف بين يدى اللَّه عزّ و جلّ فيقول له: اعطيتك و خولتك و انعمت عليك فما صنعت؟ فيقول: ربّ جمعته و ثمّرته و تركته اكثر ما كان، فارجعنى آتك به كلّه فاذا عبد لم يقدّم خيرا فيمضى به الى النّار.
قوله: إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً قال ابن عباس: الهلوع الحريص على ما لا يحلّ له. و الهلع شدّة الحرص و قلّة الصّبر، و قيل: هلوعا اى نسّاء عند النّعمة دعّاء عند المحنة، و قيل: معنى الهلوع ما فسّره اللَّه تعالى بعده و هو قوله: إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ اى الضّرّ و الفقر جزع و لم يصبر.
وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ اى السّعة و الغنى و المال منع حقّ الفقراء و لم ينفق في الخير شرّ ما اعطى العبد شحّ هالع و حين خالع. فالهالع المحزن و الخالع الّذى يخلع قلبه. قال مقاتل: الهلوع دابّة من وراء جبل قاف تأكل كلّ يوم سبع صحار من الحشيش و تشرب سبع بحار من ماء لا تصبر مع الحرّ و لا مع البرد، تتفكّر كلّ ليلة ما ذا تأكل غدا فشبّه اللَّه الانسان بها.
إِلَّا الْمُصَلِّينَ ليس هذا استثناء من الكلام الاوّل و معناه: و لكنّ المصلّين، و قيل: استثنى المصلّين من الانسان لانّ الانسان في معنى الجمع كقوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا. قوله الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ اى يقيمون الفرائض في اوقاتها، و قيل: دائمون اى خاشعون لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة.
وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ معيّن يعنى الزّكاة، و قيل: سائر ابواب البرّ من صلة الرّحم و تعهّد المساكين و غير ذلك.
لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ السَّائِلَ الطّواف الّذى يسأل النّاس و الْمَحْرُومِ الّذى لا سهم له في الاسلام و ليس يهتدى الى كسب و لا يسأل.

وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ اى بيوم الجزاء و الحساب. و قيل: يصدّقون الانبياء بسبب ايمانهم بيوم الدّين.
وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ خائفون، قال الحسن: يشفق المؤمن ان لا تقبل حسناته.
إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ و لا يؤمن وقوعه لانّه لا يعلم احد عاقبته و وقته فالواجب على كلّ مسلم ان لا يأمن عقوبته و لا يأمن مكره.
وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ. إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ الى قوله وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ مضى تفسير هذه الآيات في سورة المؤمنين.
وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ قرأ حفص عن عاصم و يعقوب بشهاداتهم على الجمع، اى يقومون فيها بالحقّ فلا يكتمونها و لا يغيّرونها.
وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ يعنى الصّلوات الخمس.
أُولئِكَ اى اهل هذه الصّفات فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ بجميل ثواب اللَّه ايّاهم.
فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا اى فما بال الّذين كفروا. قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ مسرعين مقبلين اليك متطلّعين نحوك، انزلت في جماعة من الكفّار كانوا يجتمعون حول النّبي (ص) يستمعون كلامه و يستهزءون به و يكذّبونه فقال اللَّه: ما لهم ينظرون اليك نظر عداوة و يجلسون عندك و هم لا ينتفعون بما يسمعون.
عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ اى حلقا حلقا و جماعة جماعة عن يمين النّبي (ص) و عن شماله. و عِزِينَ جمع عزة مثل كرة و كرين، و انّما انكر عليهم الاسراع اليه لانّهم اسرعوا اليه لطلب العيب به، و قيل: انّها نزلت في نفر من الكفّار قبلت نفوسهم صدق النّبي و كانوا يسرعون نحوه و يقصدون مجلسه و يتحلقون حواليه و لا يؤمنون به امّا حياء عن الرّجوع عن دين آبائهم و امّا مساعدة لعشائرهم و كانوا يطمعون في دخول الجنّة بالقدر الّذى كان منهم فانزل اللَّه تعالى: أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ. كَلَّا اى لا يدخلونها و قيل: كانوا يقولون لئن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمد لندخلنّها قبلهم فنحن افضل منها حظّا منهم كما لنا الفضل عليهم في الدّنيا، فنزلت هذه الآية جوابا لهم.
كَلَّا ردع و زجر عن قولهم، اى لا يكون كذلك و ليس الامر كما قالوا: إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ من نطفة و علقة و اصلهم من تراب فانّى يستحقّون على اللَّه الثّواب و دخول الجنّة من خساسة اصلهم و امّا المؤمنون فانّه لا تتوجّه عليهم هذه الآية اذا امّلوا دخول الجنّة لانّهم يرجونها من فضل اللَّه و لا يرون ذلك مستحقّا لهم على اللَّه لفضيلتهم و في الخبر عن بسر بن جحاش قال: قال رسول اللَّه (ص): «و بصق يوما في كفّه و وضع عليها اصبعه فقال: يقول اللَّه عزّ و جلّ بنىّ آدم انّى تعجزنى و قد خلقتك من مثل هذه؟
حتّى اذا سوّيتك و عدّلتك مشيت بين بر دين و للارض منك وئيد فجمعت و منعت حتّى اذا بلغت التّراقى قلت اتّصدّق و انّى اوان الصّدقة
و قيل: إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ اى من اجل ما يعلمون و هو الامر و النّهى و الثّواب و العقاب فحذف اجل فلا اقسم لا صلة دخلت للتّأكيد.
بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ يعنى: مشرق كلّ يوم من السّنة و مغربه إِنَّا لَقادِرُونَ.
عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ اى على ان نخلق امثل منهم و اطوع للَّه و اشكر له و اعمل بطاعته. و قيل: إِنَّا لَقادِرُونَ على ان نبدّل محمدا خيرا منهم و هم اهل المدينة و قد فعل. وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ اى بمغلوبين ان اردنا ذلك و قيل: وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ اى عاجزين لانّ من سبق الى شيء عجز.
فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا امر تهديد لهم و توبيخ كقوله: «اعملوا ما شئتم: حَتَّى يُلاقُوا اى يعاينوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ يعنى: وم القيامة، و قيل: نسختها آية القتال.
يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ اى من القبور سِراعاً اى مسرعين الى اجابة الدّاعى. كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ اى الى علم منصوب يُوفِضُونَ يسرعون و ذلك حين يسمعون الصّيحة الآخرة قرأ ابن عامر و حفص الى نصب يُوفِضُونَ بضمّ النّون و الصّاد قال مقاتل و الكسائى يعنى: الى اوثانهم الّتى كانوا يعبدونها من دون اللَّه كقوله تعالى وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ و قال الحسن يسرعون اليها ايّهم يستلمهم اوّلا و قيل: هى جمع نصب كرهن و رهن.
خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ محزونين متفكّرين فيما دهاهم قوله: تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ اى يغشاهم و يعلوهم هو ان و ذلّ ذلِكَ

الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ وعدهم اللَّه ذلك على السنة رسله في الدّنيا و هم يكذّبون به، يعنى يوم القيامة و اللَّه اعلم.

النوبة الثالثة

قوله تعالى، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، «اللَّه» منوّر القلوب، «الرحمن» كاشف الكروب، «الرحيم» غافر الذّنوب، اللَّه مطّلع على الاسرار، الرّحمن بقضاء الاوطار، الرّحيم بغفران الاوزار، اللَّه لارواح السّابقين الرّحمن لقلوب المقتصدين، الرّحيم لذنوب الظّالمين. انس مالك گفت: باللَّه العظيم كه شنيدم از امير المؤمنين على (ع) و على از ابو بكر (رض) همچنين با سوگند و ابو بكر از مصطفى (ص) و مصطفى از جبرئيل (ع) و جبرئيل از ميكائيل و ميكائيل از اسرافيل و اسرافيل عليهم السلام از حق تعالى جلّ جلاله كه گفت: بعزّتى و جلالى و جودى و كرمى من قرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ متّصلة بفاتحة الكتاب مرّة واحدة اشهدوا عليّ انّى قد غفرت له و قبلت منه الحسنات و تجاوزت عنه السّيئات و لا احرق لسانه بالنّار و اجيره من عذاب القبر و عذاب النّار و عذاب القيامة و الفزع الاكبر و يلقانى قبل الانبياء و الاولياء»

عزيزتر است اين نام كه كارها بدو تمام و از بر مولى ما را پيغام، خنك مر آن زبان كه بدو گوياست، خنك مر آن دل كه بدان شيداست. بياد كرد و ياد داشت اين نام بنده را امروز در دنيا حلاوت طاعت است، بدر مرگ فوز و سلامت است. در گور تلقين و حجّت است، در قيامت سبكبارى و راحت است، در بهشت رضا و لقا و رؤيت است.

قوله تعالى: سَأَلَ سائِلٌ يك قول از اقوال مفسّران آنست كه: سايل درين آيه مصطفى (ص) است كه كافران و مشركان در مكّه او را رنجه ميداشتند و اذى مينمودند، مردان او را ناسزا ميگفتند، نجاست بر مهر نبوّت مى‌انداختند، دندانش مى‌شكستند. زنان از بامها خاك مى‌ريختند، كودكان بر پى وى مى‌انگيختند تا بيهوده‌ها و ناصواب ميگفتند. مؤمنان صحابه را يكان يكان مى‌گرفتند و معذّب همى‌داشتند. رسول خدا از سر آن ضجرت و حيرت دعا كرد و از اللَّه تعالى بر ايشان عذاب خواست. ربّ العالمين از آن سؤال و دعاى وى حكايت باز ميكند كه: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْكافِرينَ درخواست ميكند رسول ما صلّى اللَّه عليه و سلّم فرو گشاد عذاب بر اين كافران، و فروگشاد عذاب بودنى است و افتادنى برين كافران هم در دنيا و هم در آخرت. در دنيا روز بدر ايشان را كشتند و در آن قليب بدر بخوارى افكندند، و در آخرت ايشان را عذاب كند روزى كه اندازه آن پنجاه هزار سالست: اينست كه ربّ العالمين گفت: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ آن گه مصطفى را (ص) تسلّى داد و رنجورى و بر امر هم نهاد گفت: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا يا محمد تو صبر ميكن و خوش همى باش و دل بتنگ ميار، اقتدا كن پيغمبران گذشته فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ. انبيا همه لباس صبر پوشيدند تا بمراد و مقصود رسيدند. صبر بود كه يعقوب را بدست فرج و راحت از بيت الاحزان برون آورد كه فَصَبْرٌ جَمِيلٌ. صبر بود كه شراب شفا بر مذاق ايوب ريخت كه إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً. صبر بود كه نداى فدا بگوش اسماعيل رسانيد سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. صبرست كه مؤمنان را از سراى بلوى بجنّت مأوى رساند و هر چه مقصودست حاصل كند و بگوش ايشان فرو خواند كه: وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ على الجملة شيرمردى بايد، بزرگ همّتى، كه در راه دين هر شربت كه تلختر بود او را شيرين‌تر آيد و هر راه كه دورتر بود او را نزديكتر آيد، تا نام او در جريده صابران اثبات كنند. امروز او را منشور محبّت نويسند كه: ان اللَّه يُحِبُّ الصَّابِرِينَ و فردا او را اين خلعت دهند كه: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ.

قوله تعالى: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً كافران آمدن رستاخيز دور و دير مى‌دانند و آن نزديكتر از آنست كه ايشان مى‌پندارند. مصطفى (ص) گفت: ما الدّنيا ما مضى و ما بقى الّا كثوب شقّ باثنين و بقى خيط واحد الّا و كان ذلك الخيط قد انقطع.

گفتا: دنيا آنچه مانده در جنب آنچه گذشته بمثل چون جامه‌اى است كه درزيى استاد آن را بدرد، تا آن گه كه يك رشته بماند و از وى جز آن يك رشته نماند، چه خطر دارد بريدن آن يك رشته در جنب آنچه بريده شده است. انگار كه آن يك رشته بريده شد و انگار كه مدّت دنيا بآخر كشيده شد عالميان همه مسافران‌اند، روى بسفر قيامت آورده، و دنيا بر مثال رباطى است بر سر باديه قيامت نهاده،

عمرهای خلق بالا و پهنای آن سفرست. سالها چون منازل است، ماهها چون مراحل است، شب و روز بر مثال فرسنگ است، نفسها همچون گامها سفر دور و درازست، و عقبه تند و دشوارست، و مسافر غافل و کاهل و بیگارست.
دنیا چون درختی با سایه و نسیم است، آن کس که دل در سایه درخت و منزلگاه بندد او مردی سلیم است:

هل الدّنيا و ما فيها جميعا سوی ظلّ يزول مع النّهار؟
ما همچو مسافریم در زیر درخت چون سایه برفت زود بر دارد رخت.

اینست که مصطفی (ص) گفت: «ما مثلی و مثل الدّنيا الّا كراكب، نال في ظلّ شجرة ثمّ راح و ترك» گفتا: مثل ما با دنیا همچون مثل مردی است که در تابستان گرم از بیابانی تافته برآید درختی بیند با نسیمی خوش و سایه‌ای تمام. زمانی با نسیم و سایه آن درخت بیاساید چون برآسود، پای در رکاب مرکب آرد و زود از آنجا رحیل کند و آن درخت را با نسیم و سایه آن بگذارد و دل در آن نبندد و آن را ندیم خود نسازد. ای مسکین کسی که مرکب او شب و روز بود، مراحل و منازل او سال و ماه بود، او را همیشه می‌برند اگر چه نمیرود، در آن حال که در خانه نشسته یا بر بستر گرم خفته می‌پندارد که ساکن است و این خطاست که شب و روز او را در حرکات دارد، بی خواست وی او را می‌رانند، بی تدبیر وی او را می‌برند، بی تاختن وی او را می‌تازانند:

من می‌نروم که می‌برندم ناکام با چشم پر آب یار نادیده تمام
و من عجب الايّام انّك قاعد على الارض في الدّنيا و انت تسير
فسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم قعود و القلوب تطير.

71- سورة نوح - مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند جهاندار دشمن پرور ببخشایندگی، دوست بخشای بمهربانی.

إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ ما فرستادیم نوح را بقوم او أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ كه آگاه كن و بترسان قوم خويش را مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (1) پيش از آنكه بايشان آيد عذابى دردنماى.

قالَ يا قَوْمِ نوح گفت: اى قوم إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) من شما را آگاه كننده‌اى ام آشكارا بدرستى.

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ كه الله را پرستى وَ اتَّقُوهُ و از او بپرهيزيد وَ أَطِيعُونِ و مرا فرمان بريد.

يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تا بيامرزد شما را گناهان شما وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى و شما را با اجلهاى با درنگ افكند. إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ كه آن هنگام نام زد كرده الله چون آيد با پس نيفكنند آن را لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4) اگر دانيد.

قالَ رَبِّ گفت: خداوند من إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي من قوم خويش را باز خواندم لَيْلًا وَ نَهاراً بشبها در خانهاى ايشان و بروزها در انجمنهاى ايشان.

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً (5) نفزود ايشان را خواندن من مگر گريختن

وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ و من هر گاه كه خواندم ايشان را لِتَغْفِرَ لَهُمْ تا بيامرزى ايشان را جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ انگشتهاى خويش در گوش كردند وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ و جامها در سر كشيدند وَ أَصَرُّوا بستيهدند وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً (6) و گردن كشيدند گردن كشيدنى.

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (7) پس من ايشان را باز خواندم آشكارا

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ پس من ايشان را آشكارا كردم وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً (8) و پنهان كردم ايشان را پنهان كردنى.

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ و گفتم. خويشتن را با آن آريد كه سزاى آمرزش او گرديد إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً (9) كه الله آمرزگاريست فراخ آمرز هميشه.

يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً (10) فروگشايد بر شما باران را هموار و بهنگام.

وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ و شما را فراهم پيوندد مالها و پسران وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ و شما را درختستانها سازد و كند وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً (11) و شما را جويها روان سازد و كند.

ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً (12) چه رسيد شما را كه از شكوه الله نمى‌ترسيد؟

وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً (13) و او بيافريد شما را چند بارها.

أَ لَمْ تَرَوْا نمى‌دانيد و نمى‌بينيد كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ كه الله چون بيافريد هفت آسمان را طِباقاً (14) براست آفريدن و برابر داشتن.

وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً و ماه را روشنايى كرد در آسمانها وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (15) و آفتاب را چراغى كرد در آن.

وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً (16) و الله شما را رستنى كرد تا از خاك مى‌روئيد رستنى.

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها آن گه شما را باز خاك گرداند در آن وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً (17) و باز بيرون آرد شما را از خاك بيرون آوردنى.

وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً (18) و الله شما را زمين بر آب گسترانيد.

لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً (19) تا ميرويد در آن و از آن در شاه راههاى فراخ پيدا.

قالَ نُوحٌ رَبِّ گفت نوح خداوند من إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ايشان از من سر كشيدند وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً (20) و پى كسى ميروند كه نيفزايد او را مال او و فرزند او مگر زيان كارى.

وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً (21) و كوششها كوشيدند و سازها ساختند سخت بزرگ.

وَ قالُوا و گفتند يكديگر را: لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ كه پرستش خدايان خويش را بمگذاريد وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً (22) وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً (23) و فرومگذاريد پرستش اين پنج خدايان.

وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً و خلق فراوان را بيراه كردند وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا (24) و مفزاى اين ستمكاران را بر خويشتن مگر گمراهى.
مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا از بديهاى ايشان بود كه ايشان را بآب بكشتند فَأُدْخِلُوا ناراً (25) و آن گه ايشان را در آتش كردند.
فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً (26) فرود از اللَّه خود را داورى دار و يار نيافتند.
قالَ نُوحٌ رَبِّ نوح گفت: خداوند من لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (27) مگذار بر زمين ازين كافران جهان گردى.
إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ اگر ايشان را زنده گذارى اين بندگان ترا كه گرويده‌اند بيراه كنند وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً (28) و جز بدى ناسپاس را نزايند.
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ خداوند من بيامرز مرا و زاينده مرا. وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً و هر كه در خانه من آمد گرويده وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ و گرويدگان مردان و زنان وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً (29) و مفزاى ستمكاران را بر خود و ناگرويدگان را مگر تباهى و نيستى.

النوبة الثانية

اين سوره مكّى است به مكه فرو آمده باجماع مفسّران و بعدد كوفيان بيست و هشت آيت است، دويست و بيست و چهار كلمه، نهصد و بيست و نه حرف و درين سوره نه ناسخ است و نه منسوخ. و در فضيلت سوره ابى بن كعب روايت كند از مصطفى (ص) گفت: هر كه اين سوره برخواند، خداى عزّ و جلّ او را از آن مؤمنان كند كه نوح پيغمبر ايشان را دعا كرد و دعاى وى اندرو رساند. قوله إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ قال النّبي (ص): «هو اوّل نبيّ بعث»
و قال ابن عباس: بعث و هو ابن اربعين سنة و قيل: ابن ثلاثمائة و خمسين سنة. و قيل: ابن اربعمائة و ثمانين سنة. و لبث فيهم الف سنة الّا خمسين عاما و عاش بعد الطّوفان تسعين سنة. و نوح اسم عجمى صرف لخفّته. و معناه بالسّريانيّة السّاكن و قيل: سمّى نوحا لكثرة ما كان ينوح على نفسه و معنى الآية: أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ كما ارسلناك الى قومك أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ يعنى: بأن انذر قومك. اى خوّفهم عقاب اللَّه. مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ هو الطّوفان و الغرق. و قيل: هو عذاب الآخرة. قال قتادة ارسل من جزيرة فذهب اليهم و: قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ اى منذر مخوّف. مُبِينٌ ظاهر ابيّن لكم رسالة اللَّه بلغة تعرفونها.
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ اى وحّدوه و اجتنبوا معاصيه. وَ أَطِيعُونِ فيما امركم و انهاكم عنه و اسند الاطاعة الى نفسه لانّ الاجابة كانت تقع له في الظّاهر و لانّ طاعة الرّسول طاعة اللَّه.
يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ قيل: من هاهنا للتّبيين، كقوله: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ. و قيل: للتّبعيض اى يغفر لكم ما سبق من ذنوبكم. و قيل: من هاهنا صلة و المعنى يغفر لكم ذنوبكم وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى اى يعافيكم الى منتهى آجالكم و لا يعاقبكم بقتل او غرق او نوع من الاهلاك، ليس يريد انّ الايمان يزيد في آجالهم و لكن خاطبهم على المعقول عندهم و كانوا يجوّزون الموت بهذه الاسباب فاخبر انّهم ان آمنوا لم يمتهم بهذه الاشياء و يموتوا اذا ماتوا غير ميتة المستأصلين بالعذاب و يدلّ على ذلك قوله: إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذلك سواء كنتم مؤمنين او غير مؤمنين استوصلتم بالهلاك او متّم على فراشكم قال: يعنى نوحا يشكو الى اللَّه ما قاساه من قومه.
رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهاراً اى واصلت الدّعوة و قيل: دعوتهم احيانا باللّيل و احيانا بالنّهار. و قيل: كان يأتى باب احدهم ليلا فيقرع الباب فيقول صاحب البيت: من على الباب؟ فيقول انا نوح قل لا اله الّا اللَّه.
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً اى لم يزدادوا الّا تماديا في الغيّ و اعراضا.
وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ اى دعوتهم الى الايمان ليؤمنوا فتغفر لهم جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ لئلّا يسمعوا دعوتى. وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ اى غطّوا بها وجوههم لئلّا يرونى. وَ أَصَرُّوا على كفرهم وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً اى تكبّروا عن الحقّ تكبّرا و ترفعوا عن الايمان بك ترفّعا، ف قالُوا: أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ.

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً ظاهرا يرى بعضهم بعضا. قال ابن عباس مجاهرة باعلى صوتى ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ الدّعاء لبعض وَ أَسْرَرْتُ لبعض. و قيل: اعلنت احيانا و اسررت احيانا. و قيل: اعلنت لمن اسررت و اسررت لمن اعلنت. و في بعض التّفاسير انّ نوحا لمّا آذوه إيذاء شديدا حتّى كانوا يضربونه في اليوم مرّات عيل صبره فسأل اللَّه ان يواريه عن ابصارهم و يستره عن اعينهم بحيث يسمعون كلامه و لا يرونه، فينالوه بمكروه ففعل اللَّه ذلك به فدعاهم كذلك زمانا فلم يؤمنوا فسأل اللَّه ان يعيده الى ما كان و هو قوله: أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ اى استدعوا مغفرته بطاعته. إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً كان صلة و المعنى: انه غفّار لمن ترك معصيته و استغفره.
قال النّبي (ص): «من اعطى الاستغفار لا يمنع المغفرة لانّ اللَّه سبحانه قال استغفروا ربّكم انّه كان غفّارا».
يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً و ذلك انّ قوم نوح لمّا كذّبوه زمانا طويلا حبس اللَّه عنهم المطر و اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم و مواشيهم فقال لهم نوح: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ من الشّرك اى استدعوا المغفرة بالتّوحيد، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً المدرار المطر الكثير الدرّ.
وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ اى و يعطكم زينة الدّنيا من الاموال و البنين.
وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ بساتين و اشجارا وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً جارية وعدهم اللَّه سبحانه ان يردّ ذلك عليهم ان آمنوا. روى الشعبى انّ عمر (رض) خرج يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتّى رجع فقيل له ما رأيناك استسقيت. فقال عمر لقد طلبت المطر بمجاديح السّماء الّتى يستنزل بها المطر ثمّ قرأ: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً.
و روى انّ رجلا اتى الحسين بن على عليهما السّلام فشكا اليه الجدوبة. فقال له الحسين: استغفر اللَّه. فآتاه آخر، فشكا اليه الفقر. فقال له: استغفر اللَّه. اتاه آخر فقال.
له: ادع اللَّه ان يرزقنى ابنا. فقال له: استغفر اللَّه. اتاه آخر فشكا اليه جفاف بساتينه.
فقال له: استغفر اللَّه. فقيل له اتاك رجالا يشكون الوانا و يسئلون انواعا فامرتهم كلّهم بالاستغفار؟ فقال: ما قلت من ذات نفسى في ذلك شيئا، انّما اعتبرت فيه قول اللَّه سبحانه: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً الآية.
قوله: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً هذا الرّجاء بمعنى الخوف و الوقار: العظمة اى لا تخافون للَّه عظمة، و قيل: معناه لا تشكرون للَّه نعمة و لا تعرفون له حقّا. قال الزّجاج معناه ما لكم لا ترجون عاقبة الايمان و لا توحّدون اللَّه و قد جعل لكم في انفسكم آية تدلّ على التّوحيد من خلقه ايّاكم اطوارا، اى تارات و مرّات حالا بعد حال نطفا ثمّ علقا ثمّ مضغا الى تمام الخلق.
و قيل: خلقهم اطوارا يعنى: خلقهم حين اخرجهم من ظهر آدم للعهد ثمّ خلقهم حين اذن بهم ابراهيم (ع) للحجّ ثمّ خلقهم ليلة اسرى برسول اللَّه (ص) فاراه ايّاهم. و قيل: أَطْواراً اى اصنافا في الوانكم و لغاتكم.
أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً بعضها على بعض، و طباقا جمع طبق و هى صفة لسبع، اى خلق فيها سبعا ذات طباق، و قيل: نصب على المصدر يقال: طابقت مطابقة و طباقا اى طابق بينهما طباقا خلق بعضها فوق بعض يدلّهم بذلك على قدرته و مشيّته. وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً معناه في سماء منهنّ و هي السّماء الدّنيا هذا كقولك فلان متوار في دور بنى فلان و هو في دار واحدة منها. قال ابن عباس انّ الشّمس و القمر وجوههما الى السّماوات وضوء الشّمس و نور القمر فيهنّ واقفيتهما الى الارض و قال عبد اللَّه بن عمرو العاص تضيء الشّمس في الشّتاء من السّماء السابعة عند عرش الرّحمن في الصّيف من السّماء الرّابعة و لو اضاءت من السّماء الدّنيا لم يقم لها شىء وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً اى مصباحا مضيئا.
وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً اى انبتكم فتبتم نباتا، يعنى: خلق اباكم آدم من التّراب و انتم اولاده.
ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها عند الموت وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً عند البعث دلّ بالنّشأة الاولى على جواز البعث في الثّانية.
وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً اى فرشها لكم لتتصرّفوا عليها مجيئا و ذهابا و قيل: لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا بيّنة من الارض و الفجاج جمع الفج و هو الطّريق الواسع، و قيل: سُبُلًا فِجاجاً اى طرقا مختلفة.
قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي فيما امرتهم به من التّوبة و الايمان وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً اى اتّبعوا اغنياءهم الّذين لا يزيدون بانعام اللَّه عليهم بالمال و الولد الّا عصيانا و نقصانا في

الآخرة قرأ مدنى و شامى و عاصم «و ولده» بالفتح و قرأ الآخرون «و ولده» بضمّ الواو على الجمع نحو الاسد و الاسد بالضّمّ العشيرة و القوم.
وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً اى مكرا كبيرا عظيما، يقال: كبير و كبار و كبّار بمعنى واحد. و قيل: كبّار للمبالغة. و المكر في اللّغة غاية الحيلة و هو من فعل اللَّه تعالى اخفاء التّدبير و معنى الآية: انّهم مكروا في دين اللَّه عزّ و جلّ حيث افسدوا في الارض بالكفر و التّكذيب، و قيل: منع الرّؤساء اتباعهم عن الايمان بنوح (ع) و حرّشوهم على قتله. وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ اى لا تتركوا عبادة آلهتكم وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا قرأ اهل المدينة ودا بضمّ الواو و الباقون بفتحها. وَ لا سُواعاً وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً هذه اصنام كانت لقوم نوح ثمّ اتّخذت العرب امثالها و عبدتها فكانت ودّ لكلب و سواع لهمدان و يغوث لطى و يعوق لكنانة و نسر لحمير. و قيل: انّ «وَدًّا» كان على صورة رجل و «سواعا» على صورة امرأة و «يغوث» على صورة اسد و «يعوق» على صورة فرس و «نسرا» على صورة طائرة. قال محمد بن كعب: هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم و نوح فلمّا ماتوا كان لهم اتباع يقتدون بهم في العبادة فجاءهم ابليس و قال: لو صوّرتم صورهم كان انشط لكم و ادعى الى العبادة و ابعد من النّسيان ففعلوا ثمّ نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس: انّ الّذين قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك و سمّيت تلك الصّور بهذه الاسماء لانّهم صوّروها على صور اولئك القوم من المسلمين.
و روى عن ابن عباس: انّ تلك الاوثان لما كان ايّام الغرق دفنها الطّوفان و طمّها التّراب فلم تزل مدفونة حتّى اخرجها الشيطان لمشركى العرب فاخذوها و عبدوها و كانت العرب اصنام اخر فاللّات كانت لثقيف، و العزّى لسليم، و غطفان، و مناة لهذيل، و اساف و نائلة و هبل لاهل مكة فكان اساف حيال الحجر الاسود و كانت نائلة جبال الرّكن اليمانى، و كان هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا.
وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً اى ضلّ بسبب الاصنام كثير من النّاس كقوله: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ. و قال مقاتل: اضلّ كبراؤهم كثيرا من النّاس.
وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا هذا دعاء عليهم بعد ما اعلم اللَّه نوحا انّهم لا يؤمنون و هو قوله: «أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ». و جاء في التّفسير انّ الرّجل من قوم نوح ينطلق بولده الى نوح فيقول له: احذر هذا فانّه كذّاب و انّ والدى قد حذّرنيه فيموت الكبير على كفره و ينشأ الصّغير عليه.
مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ قرأ ابو عمرو خطاياهم، و كلاهما جمع خطيئة. اى من خطاياهم و ما صلة و المعنى بسبب خطاياهم أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً دخول الفاء دليل على اثبات عذاب القبر لانّها للتّعقيب قال الضحاك: هى في حالة واحدة في الدّنيا كانوا يغرقون من جانب و قال مقاتل: ادخلوا نارا في الآخرة. فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً اى لم ينفعهم اصنامهم الخمسة و لا غيرها من عذاب اللَّه.
وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً اى احدا، يقال: ما في الدّار ديّار اى احد، اى لا تترك احدا يدور في الارض فيذهب و يجيء و اصله ديوار فيعال من دار يدور و قال القتيبىّ اصله من الدّار اى ساكن دار.
إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ اى يدعوهم الى الضّلال وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً اى الّا من سيفجر و يكفّر، قال محمد بن كعب و مقاتل و الربيع و غيرهم: انّما قال نوح هذا حين اخرج اللَّه كلّ مؤمن من اصلابهم و ارحام نسائهم، و اعقم.
ارحام نسائهم، و ايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة و قيل: بسبعين سنة و اخبر اللَّه نوحا: انّهم لا يؤمنون و لا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب اللَّه دعاه و اهلكهم كلّهم و لم يكن فيهم صبىّ وقت العذاب لانّ اللَّه تعالى قال: وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ و لم يوجد التكذيب من الاطفال.
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ و اسم ابيه لمك بن متوشلخ و امّه هيجل بنت لآموش ابن متوشلخ بنت عمّه و كانا مسلمين على ملّة ادريس (ع). وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً اى مسجدى. و قيل: سفينتى. و قيل: ملّتى و دينى وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ هذا عامّ في كلّ من آمن باللّه و صدّق الرّسل الى يوم القيامة و قيل: من امّة محمد (ص).
وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً اى هلاكا و دمارا و كسرا. و التّبر دقاق الذّهب. و قال في الاولى ضلالا و في الثّانية تبارا لانّ في الآية الاولى اضلّوا كثيرا اى جازهم بالاضلال ضلالا ثمّ دمّرهم تدميرا.

النوبة الثالثة

قوله تعالى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اسم عزيز من عبده الف سهاده، من طلبه ودّع و ساده، من عرفه انكر احبابه، من صحبه ترك محابّه، من ذكره نسى اسمه، من شهده فقد عقله و لبّه، من عرفه اعترف انّه وراء ما وصفه. بنام او كه رستگارى بندگان در رضاى او، دل مشتاقان بسته بند وفاى او، بنام او كه سعادت سعدا بفرّ فضل او، شقاوت اشقيا از اثر عدل او، بنام او كه بقاى عالميان بمشيّت او، فناى آدميان بارادت او، هفت آسمان رفيع ايوان درگاه او، هفت زمين باز گسترده مقرّ خاصگيان او، خورشيد عالم آرا بحكمت او، هيكل ماه گهى چون نعل زرين و گهى چون ورقه سيمين بقدرت او. هر كجا عزيزى است آراسته خلعت كرم او. هر كجا ذليلى است خسته تير قهر او.

پير طريقت در مناجات گفته: الهى در الهيّت يكتايى و در احديّت بى همتايى و در ذات و صفات از خلق جدايى، متّصف ببهايى، متّحد بكبريايى، مايه هر بينوا و پناه هر گدايى، همه را خدايى تا دوست كرائى:

در چشم منى روى بمن ننمايى و اندر دلمى هيچ بمن نگرايى

اى جان و دل و ديده و اى بينايى چون از دل و ديده در كنارم نايى.

إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ حقّ جلّ جلاله و تقدّست اسماؤه و تعالت صفاته چون بعلم قديم دانسته بود و تقدير كرده بود كه اعمال و افعال و احوال آدمى بعضى سبب شقاوت است و بعضى سبب سعادت و بعضى زيان جان و بعضى خسران ايمان. و دانست كه آدمى بخرد خويش راه بمصالح دين خويش نبرد و اسباب سعادت از شقاوت باز نداند، بحكم فضل و كرم خويش پيغمبرانى را كه در ازل بسعادت ايشان حكم كرده بود برگزيد و ايشان را ازين راز آگاه كرد و ايشان را پيغام داد و بخلق فرستاد: «ليبيّن لهم ما يتّقون» تا راه خوف و رجا بايشان نمايند و زهر و پازهر دين از هم جدا كنند و نفع و ضرّ ايمان بيان كنند. قومى را كه ايمان آرند، بفضل كبير بشارت دهند. قومى را كه از ايمان سر باز زنند، بعذاب اليم نذارت كنند. چنان كه ربّ العزّة گفت: «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» تا هيچكس را حجّت نماند. و اگر اللَّه خواستى همه خلق را بى واسطه و بى رسول ايمان دادى ليكن خواست كه گروهى را از بندگان خود برسالت و نبوّت گرامى گرداند و هر يكى را بنوعى كرامت مخصوص كند. آدم را صفوت دهد، نوح را كرامت، ابراهيم را خلّت موسى را مكالمت، عيسى را رفعت، مصطفى را (ص) محبّت و باين خصايص عزّ و مرتبت ايشان خواست، نه نظام ملك خويش كه عزّت و جلال او مستغنى است ان لم يكن ثمّ كان. حضرت عزّت او را از نبود بس بود، پيوندى مى در نبايد. دوام ملك او را آسمان و آسمانيان، زمين و زمينيان مى درنبايد. كبرياى او را عزّت او بس.

جلال او را جمال او بس:

فلوجهها من وجهها قمر و لعينها من عينها كحل

إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ جاى ديگر گفت: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ يا محمد ما ترا پيغام داديم چنان كه نوح را پيغام داديم امّا پيغام نوح تهديد عقوبت بود، و پيغام محمد بشارت رحمت بود. نوح را گفت: أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ. محمد را گفت: بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً. در پيغام نوح هم عقوبت فرا پيش داشت، گفت: أَنْذِرْ قَوْمَكَ آن گه بآخر حديث مغفرت كرد گفت: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ و در پيغام محمد (ص) بشارت رحمت فرا پيش داشت و ذكر بيم وا پس داشت كه: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً.

نوح قوم خود را وعده عذاب داد گفت: إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ايشان گفتند: «فَأْتِنا بِما تَعِدُنا» بيار آن عقوبت كه ما را وعده ميدهى و مى‌ترسانى.

ربّ العالمين وعده او راست كرد كه: فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ اجمعين مصطفى عربى (ص) امّت خود را وعده مغفرت و فضل داد كه: وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا مؤمنان گفتند: ربنا آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ خداوندا وعده‌اى كه بر زبان پيغامبر ما را داده‌اى وفاى آن را منتظريم. ربّ العالمين وعده

راست کرد گفت: لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ نوح چون از قوم خود برنجيد بتظلّم بدرگاه عزّت شد ایشان را سعایت کرد گفت: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً. مصطفی محمد (ص) چون از قوم خود برنجید، دست شفقت بر سر ایشان نهاد. ایشان را شفاعت کرد که: اللهم اهد قومی فانهم لا یعلمون.

لا جرم قوم نوح بسعایت نوح درین جهان هلاك شدند و در آن جهان بعقوبت رسیدند أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً و امّت محمد بشفاعت وی درین جهان هدایت یافتند: يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ و در آن جهان بمغفرت رسیدند. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ. چون نوح از قوم خویش بنالید و بدرگاه عزّت تظلّم کرد، ربّ العالمین لختی نعمت و تربیت خویش با یاد آن قوم داد و ایشان را بر کفران و ناسپاسی آن توبیخ و ملامت کرد که: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً چه رسید شما را که شکر نعمت نمیگزارید و حقّ تربیت ما نمی‌شناسید و خود میدانید که شما را از چه آفریدند و چون آفریدند حالا فحالا و طورا فطورا. اوّل نطفه‌ای از صلب ضعیفی برحم ضعیفی آوردم اندر آن قرار مکین و مکان حصین بداشتم. بنگر که بقلم قدرت چون نگاشتم. آن قطره‌ای آب را خون گردانیدم آن خون را گوشت گردانیدم. آن گه استخوان در آوردم. بهم پیوند کردم چون قالب مصوّر مقدّر تمام گشت جان لطیف را فرمان دادم تا بتن درآمد چنان که سلطانی بقصری یا همایی به وکری، تا هر عضوی خلعتی داد. بینایی بچشم، گفتار بزبان، سماع بگوش، گرفتن بدست، رفتن بپای، ای بنده نیکوت بیاراستم فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. قد تو بپیراستم، از همه مکوّنات ترا نیکوتر آفریدم. و از همه موجودات ترا زیباتر نگاشتم:

چون صورت تو بت ننگارند بکشور چون قامت تو سرو نکارند بکشمر
چون نقش تو پیش بت آزر بنگارند از شرم فرو ریزد نقش بت آزر.

کردگار حکیم، خداوند کریم، جلّ جلاله که ترا جمال صورت افزود و بدایع قدرت در فطرت تو بنمود و دلت بتوحید بیاراست و زنگار انکار ازو بزدود، چه گویی از حکمت او و رحمت او سزد که آراسته و پیراسته خود را بسوزد؟ کلّا و لمّا چون درین حال تأمّل کنی و در صنع آفریدگار تدبّر کنی بزبان شکر بگوی:

از قطره آب نطفه بنگاشت مرا بر خدمت خود بفضل بگماشت مرا
از جمله خلق سر بر افراشت مرا شکر ایزد را که بس نکو داشت مرا.

نوح چون آن همه نعمت و کرامت حقّ با یاد ایشان داد و از ایشان شکر نشنید و جز کفر و تکذیب ایشان را نیفزود، روی ازیشان بگردانید و گفت: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً خداوندا مرا بیامرز و دو زاینده من و هر که بایمان در آمد در عهد من وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ و آن مؤمنان امّت احمد مردان و زنان ایشان که بآخر عهد در وجود آیند بهینه همه امم و پسندیده تو خداوند.

72- سورة الجن- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان.

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ بگو يا محمد آگاهى دادند مرا أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ كه نيوشيدند گروهى از پريان.

فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً (1) گفتند كه: ما قرآنى شنيديم شگفت.

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ كه راه مينمايد براستى. فَآمَنَّا بِهِ بگرويديم بآن. وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً (2) و انباز نگيريم با خداوند خويش هيچ كسى.

وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا برتر است و پاك و بزرگوارتر خداوند ما مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً (3) نه زن گرفت بزنى و نه فرزند.

وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً (4) و آن بيخرد نابكار گوى ما بر خداى مى دروغ گفت.

وَ أَنَّا ظَنَنَّا و ما چنان مى‌پنداشتيم أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً (5) كه آدمى و پرى بر خداى دروغ نگويد.

وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ و مردانى بودند از مردمان يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ كه فرياد ميخواستند بمردانى از پريان از شرّ بدان ايشان. فَزادُوهُمْ رَهَقاً (6) پريان را غلط افزودند و فريب.

وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ و پريان چنان پنداشتند كه شما پنداشتيد.

أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً (7) كه اللَّه هيچكس را بپيغام نخواهد فرستاد.

وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ و ما در آسمان جستيم فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً آسمان را پر كرده يافتيم از گوشوانان بزور وَ شُهُباً (8) و شاخه‌هاى آتش.

وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ و ما بروزگار نشستگاهها داشتيم در درهاى آسمان نيوشيدن را فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ هر كه اكنون نيوشد. يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً (9) خويشتن را شاخ آتش ديدبان يابد و گوشوان.

وَ أَنَّا لا نَدْرِي و ما ندانيم اكنون أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ كه باهل زمين بدى خواسته‌اند. أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً (10) يا خداوند ايشان بايشان نيكى خواسته.

وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ و از ما هست گروهى نيكان. وَ مِنَّا دُونَ ذلِكَ و هست از ما جز از آن كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً (11) ما جوق جوق بوديم از هم جدا.

وَ أَنَّا ظَنَنَّا و ما درست بدانستيم و يقين. أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ كه از اللَّه پيش نشينيم در زمين. وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (12) و نتوانيم كه ازو گريزيم.

وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى و ما چون پيغام راست شنيديم آمَنَّا بِهِ بگرويديم بآن فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ هر كه بگرويد بخداوند خويش. فَلا يَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً (13) گوى مترس از كاستن مزد و گرفتارى بگناه كسى يا فرمودن بكارى ناتوان.

وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ و هست از ما مسلمانان وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ و هست از ما كژ راهان بر خويشتن ستمكاران فَمَنْ أَسْلَمَ هر كه مسلمان شد و گردن نهاد فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (14) ايشان آنند كه بهينه گزيدند و راستى جستند.

أَمَّا الْقاسِطُونَ و امّا كژراهان و ستمكاران بر خودكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (15)

ايشان دوزخ را هيزم‌اند.

وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ و اگر ايشان بايستند بر راه كفر لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً (16) ما ايشان را آب دولت و نعمت روانيم و عيش فراخ خوش دهيم. لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ تا ايشان را در آن آزمايش كنيم. وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ و هر كه از ياد خداوند خويش و پرستش خداوند خويش روى گرداند يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً (17) او را در عذابى افكند سخت.

وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ و جاى نماز اللَّه راست.

فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (18) با اللَّه خداى ديگر مخوانيد.

وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ و چون بر پاى خاست بنده خداى و او را ميخواند كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (19) نزديك بوديد كه پريان ور افتادندى.

قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي بگو: من خداوند خويش را خوانم و پرستم وَ لا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً (20) و با او انباز نگيرم هيچكس.
قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً (21) گوى بدست من نيست، نه پادشاهم و نتوانم شما را نه گزندى و نه كارى راست در خور و بچم.
قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ (22) گوى مرا از خداى كس نگه ندارد وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (23) و نيابم فرود از او بازگشتنگاهى و زينهار جاى.
إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسالاتِهِ مگر رسانيدن از اللَّه و آورد پيغام او وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ و هر كه سر كشد از خدا و رسول او فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ او راست آتش دوزخ خالِدِينَ فِيها أَبَداً (24) جاويدان در آن.
حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ تا آنچه ايشان را وعده ميدادند به بينند فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً آرى آگاه شوند كه كيست كه سست‌يارترست وَ أَقَلُّ عَدَداً (25) و اندك سپاه‌تر.
قُلْ إِنْ أَدْرِي گوى من ندانم أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ كه اين رستاخيز كه شما را وعده ميدهند نزديكست أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً يا اللَّه آن را هنگامى نهاده يا درنگى.
عالِمُ الْغَيْبِ آن داناى نهان فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً (26) آگاه نكند از نهان خويش هيچكس را.
إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ مگر آن رسول پسنديده فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ اللَّه ميراند پيش آن رسول و از پس او رَصَداً (27) گوشوانان.
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ تا محمد بداند كه ايشان كه پيغام رسانيدند از خداوند او رسانيدند. وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ و اللَّه خود داناست بآنچه نزديك فريشتگانست و بآنچه نزديك شياطين است وَ أَحْصى كُلَّ شَيْ‏ءٍ عَدَداً (28).
و خود دانسته بود هر چيز پيش از آن چيز و چند آن و چون آن.
النوبة الثانية
اين سورة الجنّ بيست و هشت آيت است، دويست و سى و پنج كلمت و هشتصد و هفتاد حرف. جمله به مكه فرود آمد باجماع مفسّران. و درين سوره از ناسخ و منسوخ چيزى نيست. و در فضيلت سوره ابى كعب روايت كند از مصطفى (ص)، گفتا: «هر كه سورة الجنّ برخواند اللَّه تعالى او را ثواب آزاد كردن بردگان دهد، بعدد هر پريى كه به محمد بگرويد. و بعدد هر پرى كه بنگرويد باو.
«قل» يا محمد، اخبر قومك ما ليس لهم به علم ثمّ بيّن. فقال: أُوحِيَ إِلَيَّ اى اخبرت بالوحى من اللَّه أَنَّهُ اسْتَمَعَ القرآن نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ «الجنّ» جيل رقاق الاجسام، خفيّة، خلق من النّار على صورة تخالف صورة الملك و الانس، موصوف بالعقل كالانس و الملك. و لا يظهرون للانس، و لا يكلّمونهم الّا صاحب معجزة. بل يوسوسون سائر النّاس و هم اولاد ابليس في قول بعضهم، منهم مؤمن و منهم كافر. و الكافر منهم يسمّى شيطانا. و قال ابن عباس: الجنّ ولد الجانّ و ليسوا بشياطين و الشّياطين اولاد ابليس. و قد سبق الكلام فيهم في غير موضع. قوله: نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ قال ابن عباس: كانوا سبعة، و قيل: كانوا تسعة من جنّ نصيبين من ارض الموصل من ملوكهم. و قيل: من جنّ اليمن. و قيل: كانوا هودا. و قيل: كانوا مشركين. و قيل: سبب استماع هؤلاء فيما ذكر انّ الشّياطين قبل مبعث النّبي (ص) اتّخذت من السّماء مقاعد للسّمع فاذا سمعوا كلمة زادوا فيها تسعا فكانوا يلقون الى اوليائهم من الانس فلمّا بعث النّبي (ص) منعوا مقاعدهم و رموا بالشّهب فمن استمع بعد مبعثه (ص) وجد له شهابا رصدا فاحرق فلمّا منعوا من ذلك و حيل بينهم و بين خبر السّماء بارسال الشّهب عليهم اجتمعوا و قالوا لابليس ذلك و قالوا ما حال بيننا و بين خبر السّماء الّا شيء حدث فاضربوا مشارق الارض و مغاربها فانطلقوا يطلبون ذلك حتّى توجّهوا نحو تهامة فوجدوا رسول اللَّه (ص) مع نفر من اصحابه ببطن النّخل و هو واد بين جبلين يقال له: سوق عكاظ فوجدوه يصلّى باصحابه صلاة الصّبح فاستمعوا لقراءته و قالوا: هذا الّذى حال بيننا و بين خبر السّماء. و قيل: لم يزالوا يدنون حتّى كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً. ثمّ رجعوا الى قومهم و قالوا: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً مباينا لكلام الخلق في النّظم و المعنى لا يقدر احد على الإتيان بمثله. و العجب حكاية عن غاية استنكارا او استحسانا. قال عيزار بن حريث: كنت عند عبد اللَّه بن

مسعود فاتاه رجل فقال له: كنّا في سفر فاذا نحن بحيّة جريحة تشحّط في دمها فقطع رجل منّا قطعة من عمامته فلفّها فيها فدفنها. فلمّا امسينا و نزلنا اتانا امرأتان من احسن نساء الجنّ فقالتا: ايّكم صاحب عمرو؟ قلنا: ايّ عمرو؟ قالتا: الحيّة الّتى دفنتموها فاشرنا لهما الى صاحبها. قالتا: انّه كان آخر من بقى ممّن استمع القرآن من رسول اللَّه (ص). كان بين كافرى الجنّ و مسلميهم قتال فقتل فيهم. فان كنتم اردتم به الدّنيا ثوبناكم. فقلنا: لا انّما فعلنا ذلك للَّه. فقالتا: احسنتم و ذهبتا. يقال: اسم الّذى لفّ الحيّة صفوان بن معطل المرادى صاحب قصّة الافك و الجنّى عمرو بن جابر.
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ اى الى الصّواب. و هو التّوحيد للَّه و الايمان به و برسوله و خلع الانداد للَّه فَآمَنَّا بِهِ صدقنا به وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً يعنى: ابليس لانّهم لم يرجعوا الى ابليس بعد الايمان و استماع القرآن.
وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا اى عظمة ربّنا، جلال ربّنا، غنى ربّنا عن الصّاحبة و الولد. امر ربّنا، ملك ربّنا، و سلطانه قدرة ربّنا، ذكر ربّنا هذا كلّه اقوال المفسّرين و الجدّ: العظمة و منه قول انس بن مالك: كان الرّجل اذا قرأ البقرة و آل عمران جدّ في اعيننا، اى عظم، و الجدّ: الغنى. و في الخبر: «لا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ»، اى لا ينفع ذا الغنى منك غناه، انّما ينفعه طاعتك و العمل بما يرضيك و منه
قوله صلّى اللَّه عليه و سلّم: «وقفت على باب الجنّة فاذا اكثر من يدخلها الفقراء. و اذا اصحاب الجدّ محبوسون»
معناه: و اذا اصحاب الغنى في الدّنيا محبوسون. مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً اى تعالى جلال ربّنا و عظمته عن اتّخاذ زوجة او ولد.
وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ اختلفوا في هذا الالفات فمن نصبها كانت مردودة الى الوحى و هو قراءة اهل الشام و الكوفة و من خفضها كانت حكاية عن الجنّ و هو قراءة الآخرين وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا هذا السّفيه ابليس عَلَى اللَّهِ شَطَطاً اى جورا و كذبا، يعنى كلمة الكفر، و قيل: الشّطط: البعيد اى يقول ما هو بعيد من وصف اللَّه. تقول اشطّ الرّجل اتى بما هو بعيد.
وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ قرأ يعقوب: تقول بفتح القاف و تشديد الواو. و التّقوّل، الافتراء و الكذب، اى كنّا نظنّ انّ الكفّار من الفريقين غير كاذبين في دعويهم كلمة الكفر و انّ للَّه صاحبة و ولدا حتّى سمعنا القرآن. و هذا اعتذار منهم، اى اتّبعناهم فيما قالوا على ظنّ انّ احدا لا يكذب على اللَّه. فلمّا سمعوا القرآن ايقنوا انّ ابليس و من تبعه كانوا كاذبين فيما يزعمون، تمّ كلام الجنّ هاهنا.
ثمّ استأنف فقال اللَّه عزّ و جلّ: وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ كان الرّجل في الجاهليّة اذا نزل واديا باللّيل قال: اعوذ بسيّد هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه فيبيت في امن حتّى يصبح.
روى عن كردم بن ابى السّائب الانصارى قال: خرجت مع الا بى الى المدينة في حاجة و ذلك اوّل ما ذكر رسول اللَّه (ص) بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم، فلمّا انتصف النّهار جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم، فوثب الرّاعى فقال: يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يقول: يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتدّ حتى دخل الغنم و لم تصبه كدمة فانزل اللَّه عزّ و جلّ على رسوله (ص) بمكة: وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً اى فزاد الانس الجنّ بذلك تكبّرا و عظمة عند انفسهم و قالوا: انّهم يخافوننا و قد سدّنا الانس و الجنّ فازدادوا بذلك اثما. و قيل: زاد الجنّ الانس رهقا، اى طغيانا و كفرا و جهلا و هلاكا و بعدا عن الحقّ.
وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا هذا ايضا من كلام اللَّه، اى انّ الجنّ حسبوا كما حسبتم ايّها الانس. أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً بعد موته، و قيل: ان له يبعث اللَّه احدا بالرّسالة الى خلقه ليدعوهم الى توحيده كما ظنّ بعض الانس ذلك.
وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ اى طلبنا المصير الى السّماء لاستراق السّمع و منه الحديث الّذى ورد انّ رجلا قال لرسول اللَّه (ص): انّ امرأتى لا تدع عنها يد لامس، اى لا تردّ يد طالب حاجة صفرا يشكو تضييعها ماله. قال اهل اللّغة لمست الشّىء و التمست، اى طلبت كما يقال: كسب و اكتسب، و قال الشّاعر:

الام على تبكيه و المسه فلا اجد

فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً هذا كلام الجنّ بعضهم لبعض، اى طلبنا خبر السّماء فوجدنا ابواب السّماء و طرقها مُلِئَتْ من الملائكة الّذين يحرسون من الاستماع. وَ شُهُباً جمع شهاب و هو المضيء المتوقّد من النّار يرمون بها.

وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها اى من السّماء مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ اى مواضع لاستماع الاخبار من السّماء كان لكلّ حيّ من الجنّ باب في السّماء يستمعون فيه و كانت هذه الشّهب في الجاهليّة. فاذا جاء الاسلام شدّدت و امّدت و زيد فيها. قال الزهرى: كان يرمى بالنّجوم و ترجم بها الشّياطين في الجاهليّة لكن غلّظ و شدّد امرها حين بعث النّبي (ص) فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ اى يقصدان يسمع من ذلك شيئا يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً اى نجما قد ارصد له يزجره عن الاستماع.

وَ أَنَّا لا نَدْرِي حين منعنا من السّماء. أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ ام هو لاجل خير اراد اللَّه بهم و اضافوا الخير الى اللَّه بالتّخصيص تادّبا بادب اولياء اللَّه و المؤمنين.

حيث لم يضيفوا الى اللَّه بالتّفريد الاكل رفيع من الامور. و قيل: معناه لا ندرى اراد اللَّه رشدا ببعث هذا الرّسول فيرشدهم أَمْ أَرادَ ان يكفروا به فيهلكهم.

وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ اى المؤمنون وَ مِنَّا دُونَ ذلِكَ اى الكافرون.

و قيل: الصَّالِحُونَ اصحاب الخير و مِنَّا دُونَ ذلِكَ اصحاب الشّرّ كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً اى كنّا ذوى مذاهب متفرّقة و اديان مختلفة. قال الحسن و السدى: الجنّ امثالكم فمنهم قدريّة و مرجئة و رافضة، و يقال: لشريف القوم الطّريقة و الطّريقة المثلى مشايخ البلد. و القدد جمع القدّة و هي الاجناس المختلفة يقال: صار القوم قددا اذا اختلفت حالاتهم و اصلها من القدّ و هو القطع.

وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً الظّنّ هاهنا بمعنى اليقين، لانّهم وصفوا اللَّه بالقدرة عليهم حيث كانوا. و هذا من دلائل الايمان و المعنى: انّا علمنا و ايقنّا ان لن نسبق اللَّه في الارض و لن نفوته و لا يمكننا ان نهرب منه ان اردنا الهرب.

وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى يعنى القرآن و دعوة الرّسول الّذى يؤدّى الى الهدى. آمَنَّا بِهِ اى صدّقنا به و لم يبعث اللَّه نبيّا الى الجنّ الّا محمد (ص). و قيل: آمَنَّا بِهِ اى باللَّه و تمّ الكلام هاهنا ثمّ قال: فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ هذا جوابهم و العدة فَلا يَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً البخس: نقص الاجر، و الرّهق: تحميل وزر آخر و هذا خبر يراد به النّهى. و قيل: فَلا يَخافُ بَخْساً اى نقصا من حسناته و لا رَهَقاً زيادة في سيّآته. و قيل: كلّ مكروه يغشى الانسان فهو رهق.

وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ المؤمنون، المستسلمون لامر اللَّه، المخلصون له.

وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ الكافرون، الجائرون، الّذين كتب اللَّه عليهم الشّقاء تمّ الكلام.

فَمَنْ أَسْلَمَ هذا جواب وعدة و تصديق فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً اى قصدوا قصد الخير و اتّبعوا طريق الرّشد و توجّهوا صوابا من القول و الفعل.

أَمَّا الْقاسِطُونَ الجائرون، العادلون عن الحقّ. قال اهل اللّغة قسط عدل.

عن الحقّ و اقسط عدل الى الحقّ.كانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً

توقد بهم النّار يوم القيامة ثمّ رجع الى كفّار مكة فقال: وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا على طريقة الحقّ و الايمان و الهدى فكانوا مؤمنين مطيعين. لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً كثيرا واسعا ينبت زروعهم. قال عمر بن الخطاب: حيث ما كان الماء كان المال، و حيث ما كان المال كانت الفتنة. و المعنى: اعطيناهم مالا كثيرا و عيشا رغيدا و وسّعنا عليهم في الرّزق و بسطنا لهم في الدّنيا.

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ اى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خوّلوا و هذا قول سعيد بن المسيّب و عطاء بن ابى رباح و الضحاك و مقاتل و الحسن، و دليل هذا التّأويل قوله عزّ و جلّ: وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ و قال تعالى: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ و قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً و قال تعالى: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً الآية...

و قال الرّبيع بن انس و زيد بن اسلم و الكلبى: معنى الآية و ان لو استقاموا على طريقة الكفر و الضّلالة فكانوا كفّارا كلّهم لاعطيناهم مالا كثيرا و لوسّعنا عليهم لِنَفْتِنَهُمْ فيه عقوبة لهم و استدراجا حتّى يفتتنوا بها فنعذّبهم كما قال تعالى: فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ الآية و قال تعالى: وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ. و قال تعالى: وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ و قال تعالى: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى قوله: وَ مَنْ

يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ اى عن القرآن و التّوحيد يَسْلُكْهُ قرأ اهل الكوفة و يعقوب: يَسْلُكْهُ بالياء و قرأ الآخرون بالنّون اى ندخله.
عَذاباً صَعَداً يعنى: ذا صعد، اى ذا مشقّة لا راحة فيه و لا فرج فيه، اخذ من الصّعداء و هو الشّدّة و نفس الصّعداء هو نفس الكظيم الّذى اشتدّ عليه الغمّ و منه قوله: سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً اى عذابا شاقّا. و منه قوله كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ اى يصعد صعودا شاقّا و قيل: الصّعد صخرة ملساء في جهنّم يكلّف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها انحدر الى اسفلها نزلت في الوليد بن المغيرة. قوله: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ يعنى: المواضع الّتى بنيت للصّلوة و ذكر اللَّه. فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً قال قتادة كانت اليهود و النّصارى اذا دخلوا كنا يسهم و بيعهم اشركوا باللَّه فامر اللَّه المؤمنين ان يخلصوا الدّعوة للَّه اذا دخلوا المساجد، و اراد بها المساجد كلّها و قال الحسن اراد بها البقاع كلّها لانّ الارض جعلت كلّها مسجدا للنّبى (ص).
و قال سعيد بن جبير قالت الجنّ للنّبي (ص): كيف لنا ان نأتى المسجد و نشهد معك الصّلاة و نحن ناؤون عنك؟ فنزلت: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ: و يروى عن كعب، قال: انّى لاجد في التّوراة ان اللَّه تعالى يقول: انّ بيوتى في الارض المساجد، و انّ المسلم اذا توضّأ فاحسن الوضوء ثمّ اتى المسجد فهو زائر اللَّه تعالى و حقّ على المزور ان يكرم زائره و روى عن سعيد بن جبير ايضا: انّ المراد بالمساجد الاعضاء الّتى يسجد عليها الانسان و هي سبعة: الجبهة، و اليدان، و الرّكبتان، و القدمان، يعنى: هذه الاعضاء الّتي يقع عليها السّجود مخلوقة للَّه فلا تسجدوا عليها لغيره.
قال رسول اللَّه (ص): «امرت ان اسجد على سبعة اعضاء: الجبهة و اشار بيده اليه، و اليدين، و الرّكبتين، و اطراف القدمين، و ان لا اكفّ شعرا و لا ثوبا».
و في رواية العباس بن عبد المطلب: انّ رسول اللَّه (ص) قال: «اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب: وجهه، و كفّاه، و ركبتاه، و قدماه»
و هذا الحديث يدلّ على انّ كلّ عضو من هذه الاعضاء اصل في السّجود و له حظّ من العبادة و نصيب من الخدمة و الطّاعة. فاذا لم يستعمل بعضها اورث ذلك العضو حرمانا و اوجب في السّجود نقصانا. و عن نافع عن ابن عمر مرفوعا قال: انّ اليدين تسجدان كما يسجد الوجه، فاذا وضع احدكم وجهه فليضع يديه و اذا رفعه فليرفعهما.
و امّا الحكمة في ايجاب السّجود على هذه الاعظم انّ هذه الاعضاء الّتى عليها مدار الحركة، هى المفاصل الّتى تنفتح و تنطبق في المشى و البطش و اكثر السّعى، و يحصل بها اجتراح السّيّئات و ارتكاب الشّهوات فشرع اللَّه تعالى بها السّجود للتّكفير و محو الذّنب و التّطهير و اللَّه اعلم. و امّا المساجد ان جعلتها مواضع الصّلاة فواحدها المسجد بكسر الجيم و ان جعلتها الاعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم.
قوله: وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ قرأ نافع و ابو بكر و انّه بكسر همزه، و قرأ الباقون بفتحها. لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يعنى النّبي (ص) «يدعوه» اى و يعبده، و يقرأ القرآن في صلوته و ذلك حين كان يصلّى ببطن النّخلة و يقرأ القرآن «كادوا» يعنى: الجنّ.
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً اى يركب بعضهم بعضا و يزدحمون حرصا على استماع القرآن و رغبة في الاسلام، هذا قول الضحاك و رواية عطية عن ابن عباس قال مكحول: انّ الجنّ بايعوا رسول اللَّه في هذه اللّيلة و كانوا سبعون الفا و فرغ عن البيعة عند انشقاق الفجر. و قال سعيد بن جبير: هذا من كلام الجنّ الّذين رجعوا الى قومهم اخبروهم: انّا رأينا اصحاب محمد (ص) و يركعون بركوعه، و يسجدون بسجوده، و كانوا ينثالون عليه مجتمعين. و قال الحسن و قتادة: لمّا قام رسول اللَّه (ص) باظهار الدّعوة تلمّذت الانس و الجنّ عليه ليبطلوا الحقّ الّذى جاءهم به «يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» و ينصر دينه و قوله: «لبدا» جمع لبدة و هي الطّائفة المزدحمة يركب بعضهم بعضا. و قيل: اللّبدة هى الرّجل من الجراد و منه سمّى اللّبد الّذى يفرش لتراكمه و تلبّد الشّعر اذا تراكم.
قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي قرأ ابو جعفر و عاصم و حمزة: «قل» على الامر، و قرأ الآخرون: «قال» يعنى: رسول اللَّه إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي في صلوتى وَ لا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً من الاوثان فكونوا انتم كذلك.
قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا في دينكم و لا دنياكم وَ لا رَشَداً ارشدكم.
و قيل: لا املك لكم ضلالا و لا هداية لانّى عبد مثلكم بل ذلك الى اللَّه القادر على كلّ شيء.

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ اى لن يمنعنى من عذابه مانع ان عصيته و جاء في التّفسير ان جنّيّا من اشراف الجنّ ذا تبع قال: انّ محمدا يريد ان يجيره احد فانا اجيره فانزل اللَّه هذه الآية. و روى عن ابن مسعود قال: لمّا تقدّم النّبي (ص) الى الجنّ ازدحموا عليه فقال سيّد لهم يقال له وردان: انا ارحلهم عنك، فقال له: لن يجيرنى من اللَّه احد.

قوله: وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً اى مدخلا في الارض و ملجأ و موئلا.

إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ فذلك الّذى املكه بعون اللَّه و توفيقه. و قوله: «بلاغا» نصب على البدل من قوله: «ملتحدا» و المعنى: لا ينجيني شيء الّا ان ابلّغ عن اللَّه ما ارسلت به و قيل: معناه: لا املك لكم ضرّا و لا رشدا. لكن ابلّغ بلاغا من اللَّه فانّما انا مرسل لا املك الّا ما ملكت. و البلاغ واقع موقع التّبليغ. قال الفراء: هذا شرط و جزاء ليس باستثناء و ان منفصلة من لا و تقديره: ان لا بلاغا و المعنى: ان لم ابلّغ فلا مجير لى وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فيما يدعوه اليه من التّوحيد. فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً مقيمين لا يخرجون.

حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ في الآخرة. و قيل: يوم بدر فَسَيَعْلَمُونَ عند ذلك. مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً اهم ام المؤمنون؟ هذا جواب لمشركى مكه حين استعجلوا بالعذاب و قالوا: هم بالاضافة الينا كالحصاة من جبال، و قيل: هذا جواب قولهم محمد صنبور.

قُلْ إِنْ أَدْرِي اى ما ادرى. أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ من العذاب في الدّنيا.

و قيل: يوم القيامة أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً اجلا و غاية تطول مدّتها يعنى: انّ علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الّا اللَّه.

عالِمُ الْغَيْبِ رفع على نعت قوله: «رَبِّي». و قيل: هو عالم الغيب، قيل: الغيب ما هو كائن لم يكن، و قيل: هو امر القيامة «فَلا يُظْهِرُ» اى لا يطلع عَلى غَيْبِهِ أَحَداً.

إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ اى الّا رسول قد ارتضيه لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن الغيب معجزة له و قيل: هذا الرّسول هو جبرئيل عليه السّلام «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ» الهاء راجعة الى اللَّه عزّ و جلّ، و المعنى: اذا ارسل الوحى الى رسول ارتضاه و اراد ان يطلعه على غيبه فانّه يبعث ملائكة بين يديه يحفظون الوحى من استماع الشّياطين. و قيل: يحفظون الرّسول من الشّياطين. و قوله: مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ اى من امامه و ورائه «رصدا» اى حرسا و قيل: لئلّا يطّلع عليه الكهنة قبل الوصول الى النّبي المرسل اليه فيكون الرّسول هو اوّل من يتكلّم به. و قيل: كان جبرئيل (ع) اذا بعث الى نبيّ من الانبياء انحدر معه اهل كلّ سماء الى الّتى تليها و انحدر معه ملائكة السّماء الدّنيا الى الارض فيحيطون به و بالوحى و بالنّبى حتّى يفرغ من ادائه.

لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا قال الزّجاج: ليعلم اللَّه ان رسله قد بلّغوا عنه رسالاته يعنى: اذا بلّغوها علم اللَّه ذلك. و قيل: ليعلم اللَّه انّ الملائكة قد بلّغوا الى الرّسل. و انّ الرّسل قد بلّغوا الى الامم. علم اينجا بمعنى رؤيت است و هذا في القرآن كثير كقوله: لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ. معنى آنست كه: تا بيند اللَّه كه پيغامهاى او بر امّت رسانيدند. و قيل: ليعلم محمد ان قد ابلغوا تا محمد بداند كه ايشان كه پيغام رسانيدند. از خداوند او رسانيدند. و قيل: ليعلم الشّيطان أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ تا شيطان بداند كه فريشتگان پيغام اللَّه رسانيدند و سخن او نرسانيدند، يعقوب «ليعلم» بضمّ يا خواند، اى ليعلم النّاس، تا مردمان را آگاه كنند كه فريشتگان پيغام اللَّه رسانيدند. وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ اى و علم اللَّه ما عند الرّسل فلم يخف عليه شيء. وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً. قال ابن عباس: احصى ما خلق و عرف عدد ما خلق، لم يفته علم شيء حتّى مثاقيل الذّرّ و الخردل و نصب عددا على الحال و ان شئت على المصدر، اى عدّ عددا.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بسم اللَّه كلمة سلّابة غلّابة نهّابة وهّابة.

تسلب العقول، و تغلب الالباب و تنهب الارواح من الاحباب، و تهب الارتياح لقوم مخصوصين من الطّلاب نام خداوندى كه عالمان در وصف جلالش حيران، عارفان در شهود جمالش گدازان، واجدان در وجود افضالش نازان، دوستان در شوق وصالش سوزان، طالبان در باديه نيازش خروشان محجوران در زاويه فراقش نالان.

هر عزیزی نام و نشانش را جویان، هر طالبی حمد و ثنایش را گویان، هر ذاکری نسیم وصلش را بویان، هر سائلی بر امید فضلش پویان:

پویان و دوانند و غریوان بجهان در | در صومعه و کوهان، در غار و بیابان
یکسر همه محوند بدریای تفکّر | بر خوانده بخود بر همه لاخان و لامان.

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ کان رسول اللَّه مبعوثا الی کافّة الخلق، و کان مبعوثا الی الجنّ کما کان مبعوثا الی الانس. آن مهتر عالم و سیّد ولد آدم، سرور اشراف، و مرکز عدل و انصاف، فرستاده باهل زمین از قاف تا قاف.
روزی بمنبر شرف بر آمد، بر سبیل خطبه باصحابه خطاب کرد که: یا مجتمعان مسجد، و یا مستمعان مجلس، بدانید و آگاه باشید که ما را رقم مهتری و بهتری کشیدند. و ساده سیادت رسولان بنام ما کردند. و ما را از حضرت ربّ العزّة به پیغامبری بکلّ عالم فرستادند هم بعالم انس و انسیان، هم بعالم جنّ و جنّیان.
همه را در حکم ما کردند و همه را شرع ما فرمودند. آن جنّیان چون بحضرت آن مهتر عالم رسیدند، ببطن نخله، با یکدیگر وصیّت میکردند که: «انصتوا»، خاموش باشید، بادب باشید، حرمت حضرت نبوّت بجای آرید، حقّ او بشناسید، قدر او بدانید. این آن مهتر است که خاك قدم او مقرّبان آسمان را توتیا شد. خدمت خطوات او بزرگی و شرف را کیمیاء شد. صورت او سورت کمال شد. متابعت او ذخیره خیرت و اقبال شد. قواعد عقاید سنّت ببیان او ممهّد شد. آسمان ایمان باشارت او مشیّد شد. آیین شرع مقدّس بعزّت او مؤبّد شد. آن جنّیان رسالت آن مهتر بپذیرفتند و قرآن قدیم نامه خداوند کریم از وی بجان و دل بشنیدند. بقبائل و عشائر خویش باز گشتند و بزبان افتخار بنعت ابتهاج ایشان را گفتند: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً ما قرآنی شنیدیم که از فصاحت و ملاحت آن عجب بماندیم. قرآنی که چراغ روشنایی آشنایی است، روح توانایی و دانایی است، شاهراه استقامت و منهاج سلامت است. معراج کرامت و راحت هر جراحت و قانون هر خیرت است.
خنك مر آن کسی که قرآن رهبر اوست، توفیق رفیق او و دار السّلام مقرّ اوست. او که قرآن قدیم انیس اوست، یقین دان که خداوند کریم جلیس اوست. میگوید جلّ جلاله: انا جلیس من ذکرنی و انیس من استأنس بی حبیب من احبّنی و مطیع من اطاعنی».
این خطاب با موسی کلیم رفت هنگام مناجات. موسی گفت: خداوندا میدان مواصلت کجاست؟ خلوت گاه مناجات کجاست؟ این اجدك؟ کجات یابم؟
بکجات جویم؟ فرمان آمد که یا موسی در خلوت. و هو معکم با ذاکران نشینم بر بساط انبساط دوستان خود را نوازم. یا موسی، من انس جان او ام که انسش با نام من، من یادگار دل او ام که یادگارش کلام من، من دوست او ام که او دوست من.
وَ أَنَّهُ تَعالی جَدُّ رَبِّنا جلال و عظمت او، کبریا و عزّت او از اوهام و افهام بیرونست و کس نداند که چونست. سزای ثناء خود خود داند، قدر عزّت و عظمت خود خود شناسد. صفات صمدیّت او از اشراف اسرار متعالی است، نعت احدیّت او بر صیغت عبارت و اشارت مستولیست. عرش عظیم در عظمت و جلال قدرت او ذرّه‌ای است.
وجود کلّ عالم از بحر جود او قطره‌ای است. از دور آدم تا انتهاء عالم همه خواطر و اوهام و افهام در بحر صفات سرمدی او غوص همی کنند تا بر نشانی از نشانهای آثار صمدیّت او مطّلع گردند. هر زمانی و هر لحظه‌ای ایشان را نو حیرتی پدید آید که راه طلب بر ایشان بسته گردد، بزبان عجز و حیرت گویند:

وصّاف ترا وصف چه داند کردن؟ | تو خود بصفات خود چنانی که تویی!

73- سورة المزمل- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان
يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) اى جامه در خود پيچيده.
قُمِ اللَّيْلَ بشب خيز نماز را إِلَّا قَلِيلًا (2) مگر اندكى.
نِصْفَهُ نيمى از شب. أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) يا چيزى كاه از نيمى اندك.
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ يا چيزى افزاى بر نيمى. وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) و قرآن را گشاده حروف خوان.
إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) ما مى‌افكنيم بر تو سخنى گرانمايه سنگى.
إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ اين ساعتهاى شب و اين خاستن بشب هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً سازنده‌تر است. وَ أَقْوَمُ قِيلًا (6) و موافق ترست و راستر انديشيدن و خواندن را.
إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا (7) ترا در روز خواب را و شغل را پرداختى است دراز.
وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ خداوند خويش را نام مى‌بر و ياد مى‌كن. وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) و باز و گسل باز گسستنى او را.
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ خداوند دو نيمه جهان لا إِلهَ إِلَّا هُوَ نيست خداى جز او. فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) او را ميانجى گير و كارسازى بسنده.
وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ و شكيبايى كن بر آنچه دشمنان ميگويند.
وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا (10) و فرا بر ازيشان فرابريدنى نيكو بى مداهنة و بى مداجات.
وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ و با من گذار اين دروغ زن گيران أُولِي النَّعْمَةِ كه خداوندان نازند و تن آسانى وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (11) و فرا گذار ايشان را اندكى از روزگار.
إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا نزديك ما در غيب ايشان را بندهاست وَ جَحِيماً (12) و آتشى عظيم.
وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ و خورشى گلوگير وَ عَذاباً أَلِيماً (13) و عذابى درد نماى
يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ آن روز كه زمين بجنبد و كوهها از جاى وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا (41) و كوهها ريگ شود روان.
إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولًا ما فرستاديم بشما رسولى شاهِداً عَلَيْكُمْ تا بر شما گواه بود كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) چنان كه فرستاديم به فرعون رسولى.
فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ سر كشيد فرعون از آن رسول فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلًا (16) فرا گرفتيم او را فرا گرفتنى گران.
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ اگر كافر شويد و بر كفر باز ايستيد چون پرهيزيد؟
يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً (17) از بد آن روز كه نوزادگان را از مادر بر جا پير كند.
السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ آسمان شكافتنى است آن روز بصعبى آن روز كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18) وعده اللَّه بودنى است و كردنى.
إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ اين پيغام و سخن پندى است فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا (19) تا هر كه خواهد بسوى خداوند خويش راه گيرد.
إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ميداند خداوند تو أَنَّكَ تَقُومُ كه تو مى‌خيزى أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ كم از دو بهر از شب وَ نِصْفَهُ و كم از نيمى از شب وَ ثُلُثَهُ و كم از سه يكى از شب وَ طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ و گروهى ازينان كه با تواند وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ و اللَّه شب و روز باندازه ميداند و مى‌دارد. عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ دانست اللَّه كه شما اين نماز شب نتوانيد فَتابَ عَلَيْكُمْ از شما فرو نهاد و عذر شما بعجز شما بپذيرفت فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ميخوانيد آنچه از قرآن آسانست بر خوانندگان عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى دانست اللَّه كه از شما بيماران بود وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ و دانست كه از شما ديگران بود كه در زمين ميروند يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ و فضل اللَّه ميجويند. وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و ديگران بود غازيان كه در سبيل اللَّه با دشمنان او كشتن مى‌كنند فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ چندان كه بر شما آسان آيد ميخوانيد از قرآن وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ و نماز بپاى داريد. وَ آتُوا الزَّكاةَ و زكاة ميدهيد. وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ

قَرْضاً حَسَناً و كردار نيكو نزديك اللَّه وام مى‌نهيد وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ و هر چه پيش فرا فرستيد از نيكى خويشتن را. تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ آن را نزديك او باز يابيد هُوَ خَيْراً آن به از آنكه كرديد وَ أَعْظَمَ أَجْراً و مزد آن مه از آنكه بيوسيديد وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ و آمرزش خواهيد از اللَّه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20) كه اللَّه آمرزگارست و بخشاينده.

النوبة الثانية

اين سوره از شمار كوفيان بيست آيت است، دويست و هشتاد و پنج كلمه، هشتصد و سى و هشت حرف، جمله به مكه فرو آمد و در مكّيّات شمرند. ابن عباس گفت: مگر در آيت إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ الى آخر السّورة. و درين سوره سه آيت منسوخ است.

در اوّل سوره نماز شب فرض كردند بر رسول خدا (ص) و بر مسلمانان و ذلك في قوله: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا الآية... پس آخر سوره منسوخ شد و ذلك قوله: عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.

ديگر آيه: وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا منسوخ است بآيت سيف.

سديگر آيت فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا اين قدر از آيت منسوخ است بآنچه ربّ العزّة گفت: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ و در فضيلت سوره ابى بن كعب روايت كند از

مصطفى (ص) قال: «من قرأ سورة يا ايها المزمل رفع عنه العسر في الدّنيا و الآخرة».

قوله: يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ معناه المتزمّل ادغمت التّاء في الزّاى و مثله المدّثّر اى المتدثّر ادغمت التّاء في الدّال. يقال تزمّل و تدثّر بثوبه اذا تغطّى به. قال ابن عباس: رجع النّبي (ص) من جبل حراء لما نزل عليه جبرئيل (ع) مذعورا مرتعدا فرائصه، يقول: زمّلونى زمّلونى، فزمّل بقطيفة. فنزلت: يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ اى المتلفّف بثيابه، قيل: كان متلفّفا في ثياب نومه، و قيل: كان متلفّفا بثيابه للصّلوة. قال عكرمة: الزّمل بمعنى الحمل و منه الزّاملة، و المعنى: يا ايّها المتحمّل باعباء النّبوّة و قال السدى: هو كناية عن النّائم كانّه عزّ و جلّ يقول: ايها النائم الليل كله قم فصل قال بعض الحكماء: كان هذا الخطاب للنّبى (ص) قبل تبليغ الرّسالة و لم يكن قد شرع في الامر بعد فلمّا شرع خاطبه بالنّبوّة و الرّسالة. و قيل: هذا بدا ايناس و ازالة وحشة كما قال: «وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى». و قيل معناه: يا خامل الذّكر سنرفع لك ذكرك.

قُمِ اللَّيْلَ اى صلّ اللّيل إِلَّا قَلِيلًا اى الا شيئا يسيرا تنام فيه و كان قيام اللّيل فريضة في ابتداء الاسلام و بيّن قدره فقال: نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا الى الثّلث أَوْ زِدْ على النّصف الى الثّلثين خيّره بين هذه المنازل فكان النّبي (ص) و اصحابه يقومون على هذه المقادير، فكان الرّجل لا يدرى متى ثلث اللّيل و متى النّصف و متى الثّلثان فكان يقوم حتّى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب و اشتدّ ذلك عليهم حتّى انتفخت اقدامهم فرحمهم اللَّه و خفّفه عنهم بعد سنة و نسخ وجوب التّقدير بقوله: عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ اى صلّوا ما تيسّر من القرآن، اى صلّوا ما تيسّر من الصّلاة و لو قدر حلب شاة ثمّ نسخ وجوب قيام اللّيل بالصّلوات الخمس بعد سنة اخرى فكان بين الوجوب و التّخفيف سنة و بين الوجوب و النّسخ بالكلّيّة سنتان.

وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اى بيّن الحروف و وفّ حقّها من الاشباع كانّك تفصل بين الحرف و الحرف مشتقّ من قول العرب ثغر رتل و رتل اذا كان فيه فرج. و التّرتيل اداء الحروف و حفظ الوقوف. و قيل: معناه اقرأ على ترتيبه لا تقدّم مؤخّرا و لا تؤخّر مقدّما. و قيل: فصّله تفصيلا و لا تعجل في قراءته. و قيل: معناه: ضعّف صوتك و اقرأه بصوت حزين، و قالت امّ سلمة: كان رسول اللَّه (ص) يقطع قراءته آية آية.

و قال ابن مسعود: لا تنثروه نثر الدّقل. و لا تهذّوه هذّ الشّعر. قفوا عند عجائبه. و حرّكوا به القلوب. و لا يكن همّ احدكم آخر السّورة.

سئل انس: كيف كانت قراءة النّبي (ص)؟ فقال: كانت مدّاء ثمّ قرأ بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم يمدّ ببسم اللَّه و يمدّ بالرّحمن يمدّ بالرّحيم.

روى انّ عمر ان بن حصين مرّ على قاصّ يقرأ ثمّ يسأل فاسترجع ثمّ قال سمعت رسول اللَّه (ص) يقول: «من قرأ القرآن فليسأل اللَّه به فانّه سيجيء اقوام يقرءون القرآن يسألون به النّاس.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ اى سننزل عليك قَوْلًا ثَقِيلًا يعنى القرآن فالقرآن رزين كريم رصين، ليس بهزل و لا سفساف، له وزن و خطر في صحّته و بيانه كما يقال: هذا قول له وزن و خطر. قال جعفر: ما ثقله في تلاوته انّما ثقله في العمل به. و قيل: ثقله بالأمر و النّهى و الحدود و الاحكام. و قيل: ثقيلا لثقله في الميزان يوم الحساب.
و قيل: ثقيلا على الكفّار و المنافقين و يحتمل ان يكون ثقيلا صفة للمصدر اى القاء ثقيلا لما
روى عن عائشة قالت: لقد رأيته ينزل عليه الوحى في اليوم الشّديد البرد فينفصم عنه و انّ جبينه ليرفضّ عرقا
و قال ابن عباس: نزلت سورة الانعام فبركت ناقه رسول اللَّه (ص) من ثقل القرآن و هيبته. و معنى ثقل القرآن هيبة القرآن. و روى: انّ الحارث بن هشام سأل رسول اللَّه (ص) فقال: يا رسول اللَّه كيف يأتيك الوحى؟ فقال: «احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس و هو اشدّ علىّ فينفصم عنّى و قد وعيت ما قال و احيانا يتمثّل لى الملك رجلا فيكلّمنى فاعى ما يقول».
قوله إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ اى ساعاته كلّها و كلّ ساعة منها ناشئة سمّيت بذلك لانّها تنشأ بعد النّهار اى تبدو فكلّ ما حدث باللّيل و بدا فقد نشأ و هو ناشئ و الجمع ناشئة. قال ابن ابى مليكة: سألت ابن عباس و ابن الزبير عنها، فقالا: اللّيل كلّه ناشئة. قال سعيد بن جبير و ابن الزبير اىّ ساعة قام من اللّيل فقد نشاء و هو بلسان الحبش نشأ فلان اى قام فقالت عائشة: النّاشئة: القيام بعد النّوم. و قال ابن كيسان: هى القيام من آخر اللّيل. و قال عكرمة: هى القيام من اوّل اللّيل.
روى عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام انّه كان يصلّى بعد المغرب و العشاء و يقول: هذا ناشئة اللّيل.
و قال الازهرى: ناشئة اللّيل قيام اللّيل. مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى: العفو، اى ما ينشئه الرّجل باللّيل من القراءة و الصّلاة. هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً قراء ابن عامر و ابو عمرو و طاء بكسر الواو ممدودا بمعنى المواطاة و الموافقة. يقال: واطأت فلانا مواطاة و وطأ اذا وافقته و ذلك ان مواطاة القلب و السّمع و البصر و اللّسان باللّيل يكون اكثر ممّا يكون بالنّهار، اى أجدر أن يواطأ اللّسان القلب و القلب العمل لانّ اللّيل تهدأ فيه الاصوات فلا يحول دون تفهّمه شيء. و قرأ الآخرون أَشَدُّ وَطْئاً بفتح الواو و سكون الطّاء اى اشدّ على المصلّى و اثقل على البدن من صلاة النّهار لانّ اللّيل للنّوم و الرّاحة، فاذا ازيل عن ذلك ثقل على البدن ما يتكلّف فيه. و منه
قوله صلّى اللَّه عليه و سلّم: «اللّهم اشدد وطأتك على مضر»
اى اشدد ثقل الأمر عليهم. و قيل: «أَشَدُّ وَطْئاً» اى اثبت في القلب، و احفظ للقراءة و ابلغ في الثّواب، و اسهل على المصلّى من ساعات النّهار لانّ النهار خلق لتصرّف العباد فيه و اللّيل خلق للنّوم و الخلوة من العمل فالعبادة فيه اسهل. وَ أَقْوَمُ قِيلًا اى اصوب قراءة، و اصحّ قولا، و اشدّ استقامة لفراغ البال و هداة النّاس و سكون الاصوات. يقال: قال قيلا و قولا و مقالا و مقالة و قالا. و قال الحسن اذا قام احدكم من اللّيل فليسمع نفسه.
فانّ الملائكة لا يقرءون القرآن و هم يحبّون ان يسمعوه من بنى آدم. و قيل: أَقْوَمُ قِيلًا اى اعجل اجابة للدّعاء.
إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا له معنيان: احدهما: انّ لك في النّهار فراغا و تصرّفا و تقلّبا طويلا تقدر أن تسبح في حوائجك و اشغالك بالنّهار. و اصل السّبح سرعة الذّهاب و منه السّباحة في الماء. و المعنى الثّاني إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا اى فراغا للنّوم فقم اللّيل و نم بالنّهار. و قيل: معنى الآية مذاهبك بالنّهار فيما يشغلك كثيرة و اللّيل، اخلى لك و اعون على وعى ما يوحى اليك فقم من نومك باللّيل. و قرأ يحيى بن يعمر: سبخا بالخاء المعجمة، اى استراحة و تخفيفا للبدن و منه
قول النّبي (ص) لعائشة و قد دعت على سارق لا تسبّخى عنه بدعائك عليه.
وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بالتّوحيد و التّعظيم و ادعه باسمائه الحسنى و قيل: معناه: اذكر: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» اذا اردت قراءة القرآن او الصّلاة وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا اى انقطع اليه انقطاعا و اخلص له العبادة اخلاصا. و توكّل عليه توكّلا.
و قيل: التّبتّل رفض الدّنيا و ما فيها و التماس ما عند اللَّه. اصل التّبتّل القطع. يقال: تصدّق فلان صدقة بتلة، اى قطعها من ماله، و اخرجها من يده. و قيل لمريم: البتول، لقطعها الدّنيا و اسبابها و انقطاعها

عن النّاس. و القياس تبتّلا و لكن لمّا كان التّبتيل من حروفه عدل اليه لموافقة رؤس الآى، لانّ حظّ القرآن من حسن النّظم و الرّصف فوق كلّ حظّ و يحتمل انّ المعنى تبتّل اليه يبتّلك تبتيلا، كما قال تعالى: وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً اى و تنبتون نباتا.
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ يريد به جنس المشارق و المغارب في الشّتاء و الصّيف اى خالقهما و مالكهما. قرأ اهل الحجاز و ابو عمرو و حفص «ربّ» برفع الباء.
على الابتداء و قرأ الآخرون بالجرّ على نعت الرّبّ في قوله: وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ.
لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا اى توكّل عليه و ثق به و استكفه جميع المهمّات.
و قيل: وكيلا اى كفيلا بما وعدك قيّما بامورك، ففوّضها اليه: وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ للّه من الصّاحبة و الولد و الشّريك و لك من السّاحر و الكاهن و المجنون. وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا الهجر الجميل ترك الجفوة من غير ترك الدّعوة الى الحقّ كقوله: «فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ» و قوله: «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَ قُلْ سَلامٌ» و هي منسوخة بآية السّيف.
وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ لك يا محمّد «أُولِي النَّعْمَةِ» اى الثّروة و التّنعّم و المال وصفهم بالنّعمة توبيخا لهم على ترك الشّكر و تبيينا انّه اطغاهم استغناؤهم.
وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا اى انظرهم و اخّرهم قليلا و لا تهتمّ بهم و كل امرهم اليّ فانّي اكفيك شأنهم. قيل: نزلت في صناديد قريش المستهزئين. و قال مقاتل نزلت في المطعمين ببدر و كان بين نزول هذه الآية و بين بدر سنة.
إِنَّ لَدَيْنا اى ان عندنا لاهل النّار «أَنْكالًا» قيودا و اغلالا اهانة لهم لا خوفا من فرارهم «وَ جَحِيماً» اى نارا جاحمة حارّة متناهية، يقال: يوم جاحم شديد الحرّ.
وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ اى الضّريع و الزّقّوم يغصّ في الحلق و لا يسوغ. وَ عَذاباً أَلِيماً يخلص وجعه الى القلب. و جاء في التّفسير انّه لمّا نزلت هذه الآية خرّ النّبي (ص) مغشيّا عليه.
يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ اى تتحرّك الارض حركة شديدة و تزول الجبال عن اماكنها. وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا اى رملا سائلا.
قال الكلبى: هو الرّمل الّذى اذا اخذت منه شيئا تبعك ما بعده يقال هلت الرّمل اهيله هيلا اذا حركت اسفله حتّى انهال من اعلاه.
إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يعنى محمد (ص) شاهِداً عَلَيْكُمْ يوم القيامة بالاجابة و الامتناع. كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا يعنى موسى (ع).
فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ اى جحد رسالة موسى و لم يؤمن به. فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلًا اى شديدا ثقيلا.
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً باللّه و لم تؤمنوا عذاب يوم يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً لصعوبته و شدّة اهواله. قيل: هذا على ضرب المثل، و قيل: بل يصير الولدان في القيامة شيبا لما يرون من اهوالها. و قيل: انّما يصيرون شيبا اذا قال اللّه لآدم: «قم فابعث من ذرّيّتك بعث النّار» فيقول: «يا ربّ من كم كم». فيقول: «من كلّ الف تسع مائة و تسعة و تسعين الى النّار و واحدا الى الجنّة فحينئذ يشيب الولدان من الفزع».
و قيل معنى الآية: كيف لكم بالتّقوى يوم القيامة اذ كفرتم في الدّنيا اى لا سبيل لكم الى التّقوى اذا وافيتم القيامة و قوله: السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ اى السّماء منشقّ بذلك اليوم و شدّته. و قيل: الباء بمعنى في، اى في ذلك اليوم. و قيل «مُنْفَطِرٌ بِهِ» اى باللّه عزّ و جلّ حين ينزل سبحانه في ظلل من الغمام و لم يقل منفطرة لانّ السّماء يذكّر و يؤنّث. و قيل: لانّ السّماء في المعنى السّقف و قيل: معناه ذات انفطار كما يقال امرأة مرضع اى ذات رضاع على النّسبة و كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا اى ينجز لاوليائه ما وعد و لاعدائه ما اوعد. و قيل: وعده بان يظهر دينه على الدّين كلّه.
إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ اى هذه الآيات وعظ و عبرة فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا اى طريقا الى رضاه بطاعته لأمره. و المعنى: انّ الوصول الى طاعاته ممكن و الى معرفته لما نصب من الدّلائل و اثبت من الشّواهد و انزل من الآيات و السّور. و قيل: فيه اضمار و معناه: فمن شاء اللّه ان يتّخذ الى ربّه سبيلا اتّخذ. قوله: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى اى اقلّ. مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ قرأ اهل مكة و الكوفة: نصفه و ثلثه بفتح الفاء و الثّاء و اشباع الهاءين ضمّا، اى و تقوم نصفه و ثلثه و قرأ الآخرون بكسر الفاء و الثّاء و اشباع الهاءين كسرا عطفا على ثلثى اللّيل وَ طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ يعنى المؤمنين و كانوا

يقومون معه. قال عطاء: يريد لا يفوته علم ما تفعلون انّه يعلم مقادير «الليل و النهار» فيعلم القدر الّذى تقومون.
عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ هذا نسخ اوّل السّورة اى علم ان لن تطيقوا قيام اللّيل في النّصف و الثّلث و الثّلثين. فَتابَ عَلَيْكُمْ فخفّف عليكم و وضع عنكم فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ اى فصلّوا ما خفّ عليكم في اللّيل من الصّلاة. قال الحسن: و لو قدر حلبة شاة، و قيل: فاقرؤا ما تيسّر من القرآن اى ما احببتم و اردتم من السّور القصار الّتى تقرأ في صلاة المغرب و العشاء الّتى عدّها رسول اللَّه (ص) على معاذ يريد في الصّلاة النّافلة. و قيل: في الفرض. و قيل: خارج الصّلاة. قال ابن عباس: ما تيسّر مائة آية و قال السدى مائتا آية و قيل: ثلاث آيات كاقصر سورة.
قال رسول اللَّه (ص): انّ اللَّه تعالى انزل الآيتين من خاتمة سورة البقرة من كنز تحت العرش من قرأهما في ليلة كفتاه
و عن قيس بن حازم قال: صلّيت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في اوّل ركعة بالحمد و اوّل آية من البقرة ثمّ قام في الثّانية فقرأ بالحمد و الآية الثّانية من البقرة ثمّ ركع فلمّا انصرف اقبل علينا فقال: انّ اللَّه تعالى يقول: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ. و عن انس بن مالك انّه سمع رسول اللَّه (ص) يقول: «من قرأ خمسين آية في يوم او في ليلة لم يكتب من الغافلين و من قرأ مائة آية كتب من القانتين. و من قرأ ماتى آية لم يحاجّه القرآن يوم القيامة. و من قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر».
و عن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال لى رسول اللَّه (ص): «اقرأ القرآن في كلّ شهر» قال قلت: انّى لا اجد قوّة. قال: «فاقرءه في عشرين ليلة» قال: قلت انّى لا اجد قوّة؟ قال: «فاقرأه في سبع و لا تزد على ذلك».
ثمّ ذكر سبب التّخفيف، فقال: عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى فيشقّ عليهم قيام اللّيل. وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ اى يسافرون فيها.
يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ اى يطلبون من رزق اللَّه بالتّجارة وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فسوّى بين درجة المجاهدين و المكتسبين المال للنّفقة على نفسه و على العيال و الاحسان و الافضال. روى ابراهيم عن ابن مسعود قال: ايّما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند اللَّه منزلة الشّهداء ثمّ قرأ عبد اللَّه: وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و عن ابن عمر قال: ما خلق اللَّه عزّ و جلّ موتة اموتها بعد القتل في سبيل اللَّه احبّ الّتى من ان اموت بين شعبتى رجل اضرب في الارض ابتغى من فضل اللَّه.
فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ اى من القرآن تطوّعا حثّهم على التّطوّع بالتّهجّد ترغيبا و نسخ افتراضه ترفيها.
وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ هذا نسخ صلاة اللّيل بالصّلاة الخمس. وَ آتُوا الزَّكاةَ القصّة للصّلوة و لكن لم يفرّق بين القرينتين وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً كلّ ما يعبد اللَّه عزّ و جلّ به قرض للعبد عند اللَّه. وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ اى ما تسلفوه لانفسكم من عمل صالح و صدقة. تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ اى تجدوا ثوابه عند اللَّه هُوَ خَيْراً لكم من متاع الدّنيا، و قيل: خيرا لكم من الشّحّ و التّقصير و خيرا نصب مفعول ثان لقوله: «تجدوه، و دخلت هو فصلا. «وَ أَعْظَمَ أَجْراً» لانّ اللَّه تعالى يعطى المؤمن اجره بغير حساب وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ من تقصير و ذنب وقع منكم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لمن تاب «رَحِيمٌ» لمن استغفر.
عن الحارث بن سويد قال: قال عبد اللَّه: قال رسول اللَّه (ص): «ايّكم ماله احبّ اليه من مال وارثه»؟ قالوا: يا رسول اللَّه ما منّا من احد الّا ماله احبّ اليه من مال وارثه قال: «اعملوا ما تقولون» قالوا: ما نعلم الّا ذلك يا رسول اللَّه قال: «ما منكم رجل الّا مال وارثه احبّ اليه من ماله قالوا كيف يا رسول اللَّه؟ قال: «انّما مال احد كم ما قدّم و مال وارثه ما اخّر
وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ من ذنوبكم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».
النوبة الثالثة
قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ «بسم اللَّه» كلمة سماعها نزهة قلوب الفقراء، بهجة اسرار الضّعفاء، راحة ارواح الاولياء، قوّة قلوب الانبياء، سلوة صدور الاصفياء، قرّة عيون اهل البلاء. نام خداوندى كه اشباح طالبان سوخته جلال او، ارواح قاصدان افروخته جمال او، انفاس عزيزان بسته نوال او، حواسّ مقرّبان سرگشته اقبال او، اسرار عارفان تشنه وصال او، ابصار محبّان خسته دلال

او. بسا رويها كه برو كرد نايافت او، بسا دلها كه درو درد ناخواست او:

باىّ نواحى الارض ابغى وصالكم	و انتم ملوك ما لنحوكم قصد
بسيار خلايقند جويان رهت	كشته شده عالمى بهول سپهت
تا بر مه چهارده نهادى كلهت	بينم كله ملوك در خاك رهت

يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ اى پيغمبر مطهّر، اى سيّد اطهر، اى رسول اكبر، اى مقتداى بشر، اى برج جلالت را ماه انور، اى درج رسالت را درّ اظهر، اى بر سر سيادت افسر، اى بر افسر سعادت گوهر، اى عنوان نامه جلالت نام تو، اى طراز جامه رسالت احكام تو، سرمايه دين كلام تو، پيرايه شريعت اعلام تو، اى ناظم قلاده نبوّت، اى ناشر اعلام رسالت، اى مؤيّد اركان هدايت، اى كاشف اسرار ولايت، اى واضع منهاج شريعت، اى رافع معراج حقيقت.
قُمِ اللَّيْلَ خيز نماز شب كن، لختى از شب بيدار باش شفاعت امّت را، و لختى خواب كن آسايش نفس را. يا سيّد اگر همه شب در خواب باشى امّتت ضايع مانند، ور همه شب بيدار باشى رنجه شوى، و من رنج تو نخواهم. چون بيدار باشى بسبب بيدارى تو بعضى عاصيان را بيامرزم تصديق شفاعت را. چون خواب كنى بحرمت خواب تو باقى بيامرزم تحقيق رحمت را. اى سيّد تو خلعت قربت ما كه يافتى در شب يافتى، هم در شب خدمت ما بجاى آر تا چنان كه خلعت در شب يافته باشى شكر خلعت بخدمت هم در شب گزارده باشى.
اى جوانمرد بنده را هيچ كرامت چنان نبود كه در شب تارى از بستر گرم برخيزد متوارى، بر درگاه بارى، با تضرّع و زارى، در مناجات شود و قصّه درد خود بدو بردارد، گويد بزبان نياز در حضرت راز: الهى بارم ده تا قصّه درد خود بتو بردارم، بر درگاه تو مى‌زارم و در اميد بيم آميز مى‌نازم. الهى فاپذيرم تا وا تو پردازم، يك نظر در من نگر تا دو گيتى بآب اندازم. عزيز من در شب بيدار و هشيار باش كه شب بوستان دوستان است و بهار عارفان، شب مرغزار محبّان است و نور صادقان، شب سرور مشتاقان است و راحت ارواح مطيعان.
قوله: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا يا محمد بشب قرآن بترتيب و ترتيل خوان و در نماز بشب قراءت بلند خوان تا دوستان ما در ميادين قدس بالحان انس در لذّت سماع كلام ما و در راحت پيغام ما جانهاى خويش مى‌پرورند و اسرار خويش معطّر و مروّح ميگردانند. يا محمد با دوستان ما بگوى: چون خواهيد كه با ما راز كنيد روى بقبله شرع آريد و قدم و در حضرت نماز نهيد. المصلّى يناجى ربّه. نماز راز گفتن است و در اميد كوفتن، نماز سبب نجاتست و با دوست مناجات، نماز نهايت مجاهدت است و بدايت مشاهدت. نماز خويشتن را از دست نفس ربودن است، و جهد بندگى نمودن و دوست را ستودن. بنماز دوست از دشمن پيدا گردد و آشنا از بيگانه جدا شود بين الكفر و العبد ترك الصّلاة. مثل مؤمن كه نماز كند چون درخت گل است، معرفت در وى چون بوى و نماز بر وى چون گل هر كسى تواند كه گل از درخت باز كند و برگش بركند اما نتواند كه بويش كم كند و نسيمش ببرد. همچنين شيطان تواند كه در نماز ظاهر وسوسه كند تا چيزى از وى بربايد، امّا نتواند كه معرفت از باطن ببرد.
وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا تبتّل مقامى است از مقامات روندگان، ايشان كه در منازلات و مكاشفات خويش بدان رسيدند كه بهشت با همه اشجار و انهار در جمال خيال ايشان نيايد، دوزخ با همه اغلال و انكال از نهيب احتراق سينه‌هاى ايشان بلرزد، افعى حرص دنيا هرگز دندانى بر روزگار عيش ايشان نتواند نهاد.
خارى از بيشه حسد و كبر بدامن ايشان باز نگيرد. گردى از بيابان نفس امّاره بر گوشه رداء اسلام ايشان ننشيند. دودى از هاويه هوا بديده ايشان نرسد و بچشم عبرت بخلق نگرند. بزبان شفقت سخن گويند، بدل رحمت الفت گيرند. ملكى صفت‌اند و گدا صورت. سلاطين راهند در لباس مساكين روندگان‌اند و مسافت در ميان نه، پرندگان‌اند و علّت پر و بال نه، مستان‌اند از شراب عشق، زندگان‌اند بحياة قرب:

قومى كه ز هر چه دون ما پاك	آتش ز غمان دل در افلاك زدند

زدند بر عرش رسیده خیمه بر خاك
از هر چه برون ماست چون دور زدند.
شدند

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا چون میدانی که خدای جهان و جهانیان اوست، دارنده بندگان و پرورنده ایشان اوست، کاردان و نگهبان اوست، او را وکیل و کارساز خود دان که بسنده‌تر از همه کار سازندگان اوست. از تکاپوی خود و شغل خود یکسر بیرون آی و خود را یکسر بدو سپار، روی از همه بگردان و تکیه بر ضمان او کن، و دل از خلق بردار و تدبیر بگذار، همگی خود در دست تقدیر او نه تا راه طلب بر تو روشن شود. او خداوند یگانه است، بنده یك همّت یك طلب خواهد، از مرد هر جایی و هر دری این حدیث درست ناید: فكن رجلا رجله في الثّری و هامة همّته في الثّريا:

مرد یگانه را سر عشق میانه نیست عشق میانه در خور مرد یگانه نیست
یا عشق، یا ملامت، یا راه عافیت جز جان مرد تیر بلا را نشانه نیست

آن مهتر عالم و سیّد ولد آدم (ص) در نگر تا چه خطاب بدو رسید: وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا «وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ» «فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا» «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا». چند جایگاه در قرآن آن مهتر عالم را صبر فرمود، زیرا که تریاق زهر بلا صبر است. و نشان اهل محبّت و لا صبر است، آن صبر در محنت بس کاری نیست که آن خود خلق را عادتست، مرد مردانه آنست که در نعمت صبر کند و قدم بر جادّه عبودیّت نگاه دارد و از رقم خویش در نعمت پای برون ننهد. آن نمرود و قارون و فرعون و هامان و امثال ایشان که غرقه دریای هلاك شدند، همه نتیجه بی صبری بود در نعمت آدمی کفور و کنود است، در نعمت قدمش بر جای بنماند و از حدّ خویش درگذرد و اشر و بطر پیش آرد. اینست که ربّ العزّة گفت: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى. لا جرم در دنیا سرانجام کارشان این بود که: وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها... الآية، و در عقبی آنچه ربّ العالمين گفت درين سوره: إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَ جَحِيماً. وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ وَ عَذاباً أَلِيماً.

74- سورة المدثر- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان.
يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) اى جامه در خويشتن كشيده.
قُمْ فَأَنْذِرْ (2) خيز و مردمان را آگاه كن.
وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) خداوند خويش را بزرگ دان.
وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ (4) جامه خويش پاك دار.
وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) و از بدنامى دورى جوى.
وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) و چيز مده تا ترا به از آن دهند، سپاس منه بكردار خويش بآنكه فعل خويش پسندى و آن را فراوان دارى.
وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) و از بهر خداوند خويش شكيبايى كن.
فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) آن گه كه دردمند در صور.
فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ آن روز هن يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) روزى دشوار است.
عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10) بر كافران نه آسان است.
ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (11) گذار مرا و آن مرد كه او را بيافريدم و او تنها بود بى كس و بى چيز.
وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً (12) و مال دادم پيوسته در زيادت و بر افزونى.
وَ بَنِينَ شُهُوداً (13) و پسران دادم پيش او بهم.
وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (14) و او را مهترى دادم و كار ساختم كار ساختنى
ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) و آن گه بس مى اوميد دارد كه تا افزايم.
كَلَّا نيفزايم إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً (16) او از سخن و پيغام ما باز نشست و گردن كشيد.
سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (17) آرى فرا سر او نشانم عذابى سهمگين سخت.
إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (18) او در انديشيد و باز انداخت با خود.
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) بنفريدند او را چون باز انداخت با خود.
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) و باز نفريدند او را چون باز انداخت با خود.
ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (22) پس نگرست
و روى ترش كرد و ناخوش.
ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (23) انگه پشت برگردانيد و گردن كشيد.
فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) و گفت: اين نيست مگر جادويى كه از كسى مى و از گويند و مى‌آموزند.
إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) نيست اين مگر قول مردمان.
سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) آرى سوختن را بسقر رسانيم او را.
وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ (27) و چه دانا كرد ترا و چون نيك دانى كه سقر چيست؟
لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ (28) نه گوشت گذارد ناسوخته و نه استخوان.
لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) روى و پوست و دست و پاى سياه مى‌كند و مى‌سوزد.
عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ (30) بر تاويدن دوزخ و عذاب كردن اهل آن را از فريشتگان نوزده سالار است.
وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً و دوزخ سازان جز از فريشتگان نيافريديم وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ و اين شماره نوزده ايشان نكرديم. إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا مگر شورانيدن دل ناگرويدگان را. لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ تا بيگمان گردند ايشان كه ايشان را تورات دادند. وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً (31) و مؤمن بپذيرد تا بر ايمان ايمان افزايد. وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ (32) و نه تورات خوانان را گمان ماند و نه قرآن خوانان را وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ و تا منافقان بيماردلان گويند و ناگرويدگان ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا (33) اين سخن بر چه سان است كه الله ميگويد كَذلِكَ

يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ آری چنان گمراه کند آن را که خواهد و راه نماید آن را که خواهد. وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ و شمار سپاه خداوند تو جز از خداوند تو نداند. وَ ما هِيَ إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ (34) و نیست دوزخ و سخن آن مگر پند مردمان را.
«كَلَّا» براستی كه نه چنانست كه ایشان میگویند وَ الْقَمَرِ (35)
وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (36) بماه و بشب تاريك كه از پس روز میآید.
وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ (37) و بامداد كه روشن شود.
إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ (38) باين سوگندان كه دوزخ از بزرگها و مهینها یكی است.
نَذِيراً لِلْبَشَرِ (39) بيم نمودنی مردمان را.
لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ هر كس را كه خواهد از شما أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (40) هر كه پای فرا پیش نهد يا پای با پس نهد.
كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ هر تنی بكرد خويش گروگان است.
إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ (41) مگر اصحاب راست دست.
فِي جَنَّاتٍ ايشان در بهشتهای‌اند يَتَساءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ (42) می پرسند از دوزخيان.
ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (43) چه چيز شما را در دوزخ كرد.
قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (44) گويند: ما از نماز گران نبوديم.
وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (45) و درويش را طعام نداديم.
وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ (46) و با خداوندان باطل در باطل ميرفتيم.
وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (47) و روز شمار دروغ زن ميگرفتيم.
حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ (48) آن گه كه كی بی گمان بما آمد.
فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ (49) فردا سود ندارد ايشان را شفاعت شفاعت خواهان.
فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (50) چه رسيدست ايشان را كه از چنين پند روی گردانيده دارند
كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (51) گويی خرانند رمانيده و ترسانيده
فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (52) كه از شير گريخته يا در دشت از صياد گريخته.
بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بلكه ميخواهد هر يكی از مشركان قريش أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً (53) كه ببالين هر يكی نامه‌ای بنهند گشاده و مهر برگرفته.
«كَلَّا» نبود و نكنند اين بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ (53) بلكه ايشان از رستاخيز نمی‌ترسند.
كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ براستی كه اين پند دادنی است و در ياد دادنی.
فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (54) تا هر كه خواهد آن را ياد دارد و ياد كند.
وَ ما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ و ياد نكنند و ياد ندارند مگر كه اللَّه خواهد، هُوَ أَهْلُ التَّقْوى او بجای آنست و سزای آنست كه بپرهيزند از معصيت او وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (55) و بجای آنست و سزای آنست كه بيامرزد او را كه معصيت كند.

النوبة الثانية

اين سوره هزار و ده حرفست، دويست و پنجاه و پنج كلمت، پنجاه و شش آيت.
جمله به مكّه فرو آمده باجماع مفسّران. و درين سوره يك آيت منسوخ است: ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً در شأن وليد بن المغيرة فرو آمد، على الخصوص، پس حكم آن عام گشت در وليد و در غير او، آن گه منسوخ گشت بآيت سيف. و عن ابىّ ابن كعب قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمّد و كذّب به».
يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ هذا خطاب النّبي (ص) و الْمُدَّثِّرُ المتدثّر ادغم التّاء في الدّال لقرب مخرجيهما. و السّبب فيه
انّ رسول اللَّه (ص) كان يذهب الى حراء قبل النّبوّة، فلمّا رأى جبرئيل (ع) في الهواء اوّل ما بدا له

رجع الى بيت خديجة و قال: «دثّرونى دثّرونى» فتدثّر بثوبه.
قيل: القى عليه قطيفة فنزل جبرئيل و قال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ بثيابه.
و هذه السّورة من اوائل ما انزل من القرآن. قال يحيى بن ابى كثير: سألت ابا سلمة بن عبد الرّحمن عن اوّل ما نزل من القرآن. فقال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قلت: يقولون: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»؟!.
فقال ابو سلمة: سألت جابر بن عبد اللَّه عن ذلك. قلت له: مثل الّذى قلت، فقال جابر: لا احدّثك الّا ما حدّثنا رسول اللَّه (ص)، قال: جاورت بحراء شهرا فلمّا قضيت جوارى هبطت فنوديت، فنظرت عن يمينى فلم ار شيئا. و نظرت عن شمالى فلم ار شيئا. و نظرت خلفى فلم ار شيئا، فرفعت رأسى فاذا هو على العرش في الهواء.
قال اهل التّفسير يعنى جبرئيل (ع). و في بعض الرّوايات رفعت رأسى فاذا الرّبّ عزّ و جلّ على العرش فاتيت خديجة فقلت: «دثّرونى دثّرونى» قال: فدثّرونى فنزلت يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ و عن ابن شهاب قال: سمعت ابا سلمة، قال: اخبرنى جابر بن عبد اللَّه انّه سمع رسول اللَّه (ص) يحدّث عن فترة الوحى: «فبينا انا امشى سمعت صوتا من السّماء فرفعت بصرى، فاذا الملك الّذى جاءنى بحراء قاعد على كرسىّ بين السّماء و الارض فجئت منه رعبا حتّى هويت الى الارض، فجئت اهلى فقلت: زمّلونى زمّلونى، فزمّلونى فانزل اللَّه يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ الى قوله: فَاهْجُرْ.
قيل: معناه لا تنم عمّا امرتك به و لا تستعمل الهوينا فيه بل قم و ارفض الرّاحة و بلّغ الرّسالة و انذر الكفرة موضع المخافة ممّا هم عليه ليتّقوه بطاعتى و انذرهم عذاب اللَّه و وقايعه في الامم الخالية. و قيل: اشتقاق المدّثّر من الدّثار و هو الثّوب على البدن و الشّعار ما تحته، فكانّه لمّا آذاه قريش رجع الى بيت خديجة فتدثّر بثيابه استراحة الى النّوم من الغمّ. فقيل له: ايّها الطّالب صرف الاذى بالدّثار اطلبه بالانذار. و قال عكرمة: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ بالنّبوّة و اثقالها قد تدثّرت هذا الامر فقم به.
وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ ايّاه فقدّس و شأنه فعظّم حتّى يصغر عندك في عظمته العدوّ و كيده و ما يعبد دونه.
وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ قال قتادة و مجاهد: اى نفسك فطهّر من الذّنب، فكني عن النّفس بالثّوب و هذا في كلام العرب كثير. يقال في وصف الرّجل بالصّدق و الوفاء: انّه طاهر الثّياب، و لمن غدر: انّه لدنس الثّياب. قال الشّاعر:

و انّى بحمد اللّه لا ثوب فاجر لبست و لا من غدرة اتقنّع

و قال آخر يمدح رسول اللَّه (ص):

ضخم الدّسيعة من ذوابة هاشم قدما تازر بالمكارم و ارتدى.

و من هذا الباب
قول رسول اللَّه (ص): «الكبرياء رداؤه، و العظمة ازاره»، و قال صلّى اللَّه عليه و سلّم: «سبحان من تعطّف بالعزّ»
و العطاف الرّداء. و سئل ابن عباس عن قوله تعالى: وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ فقال: لا تلبسها على معصية و لا على غدر. و قال ابىّ بن كعب لا تلبسها على غدر و لا على ظلم و لا اثم، البسها و انت برّ طاهر و قال الضّحاك: وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ اى عملك فاصلح، و في الخبر عن النّبي صلّى اللَّه عليه و سلّم: «يحشر المرء في ثوبيه اللّذين مات فيهما»
يعنى: عمله الصّالح او الطّالح. و قال سعيد بن جبير: كنى بالثّياب عن القلب، و المعنى: و قلبك و نيّتك فطهّر عمّا سوى اللّه. و قال الحسن: معناه: و خلقك فحسّن، و في الخبر: «حسّن خلقك و لو مع الكفّار تدخل مداخل الأبرار».
و قيل: معناه: و اهلك فطهّرهم من الخطايا بالوعظ و التّأديب، و العرب تسمّى الاهل ثوبا و لباسا، قال اللَّه تعالى: هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ. و قال ابن سيرين و ابن زيد امر بتطهير الثّياب من النّجاسات الّتى لا يجوز الصّلاة معها و ذلك انّ المشركين كانوا لا يتطهّرون و لا يطهّرون ثيابهم. و قال طاوس: معناه: و ثيابك فقصّر. فانّ تقصير الثّياب تطهير لها. قوله: وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ. قرأ ابو جعفر و حفص عن عاصم و يعقوب وَ الرُّجْزَ بضمّ الرّاء و قرأ الآخرون بكسرها. و هما لغتان بمعنى واحد، و المراد

بالرّجز: الاوثان، اى اهجرها و لا تقرّبها. و قيل: الرُّجْزَ بالضّمّ: الاوثان، و بالكسر: العذاب، اى اجتنب المعاصى و كلّ ما يقضى الى العذاب. و قيل: الرّجز الشّيطان اى لا تطعه.
وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ اى لا تعط عطيّة لتعطى اكثر منها و هذا نهى تحريم للنّبى (ص) خاصّة و لغيره على جهة النّدب و الاستحباب: و قيل: معناه: لا تستكثر عملك فتكون منّانا به، انّما عملك من اللّه منّة عليك، و قيل: لا تمنن بالنّبوة على النّاس فتأخذ عليها اجرا و عرضا من الدّنيا. و قيل: لا تضعف ان تستكثر من الخير. دليله قراءة ابن مسعود: و لا تمنن ان تستكثر.
وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ اى فاصبر على طاعته و اوامره و نواهيه لاجل ثواب اللّه. و قيل: فاصبر على ما اوذيت في ذات اللّه، و قيل: لوعد اللّه و لوجه اللّه. فاصبر على اداء الرّسالة و تعليم الحقّ. و قيل: فاصبر تحت موارد القضاء لاجل اللّه.
فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ اى نفخ في الصّور و هو القرن الّذى ينفخ فيه اسرافيل يعنى النّفخة الثّانية الّتى يحيى عندها النّاس فذلك يعنى ذلك النّفخ.
يَوْمَئِذٍ يعنى: يوم القيامة يَوْمٌ عَسِيرٌ شديد على الكافرين يعسر فيه الامر عليهم غير يسير غير هيّن.
ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومى، اى لا تهتمّ لاجله و كل امره الىّ و قوله: خَلَقْتُ وَحِيداً. فيه وجهان. احدهما: خلقته وحدى لم يشاركنى في خلقه احد فيكون وَحِيداً نصبا على الحال. و الثّاني، خلقته وحده لا ناصر له معه و لا مال له و لا ولد. فيكون نصبا بوقوع الخلق عليه. و قيل: وحيدا لغير رشدة كما نزل فيه زنيم اى ملحق بالقوم ليس منهم. و قال «الحسن» كان يسمّى الوحيد في قومه.
وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً اى كثيرا له مدد يأتى شيئا بعد شىء من العروض و الذّهب و بساتينه الّتى بالطّائف. قال مقاتل: كان له بستان بالطّائف لا تنقطع ثمارها شتاء و لا صيفا. و قيل: المال الممدود: الانعام تنمى بالنّتاج و تمدّد في الارض بالرّعى. و قيل: ارض مغلّة لا تنقضى لها غلّة حتّى تأتى لها اخرى.
وَ بَنِينَ شُهُوداً اى حضورا معه بمكّة يستمتع برؤيتهم و يستمتعون به لا يغيبون عنه في طلب المعاش لغناه. و قيل: «شهودا» اى نجباء يشهدون مواضع الفخار و بقاع النّزال اذا ذكر ذكروا معه و كانوا عشرة. و قال مقاتل: كانوا سبعة، و هم الوليد بن الوليد، و خالد، و عمارة، و هشام، و العاص، و قيس، و عبد شمس اسلم منهم ثلاثة: خالد، و هشام، و عمارة.
وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً اى بسطت له من العيش و طول العمر في صحّة من البدن مع الرّياسة في قومه. و قيل: التّمهيد تسهيل التّصرف في الامور.
ثُمَّ يَطْمَعُ تقديره فعاند و كفر ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ فحذف لان اوّل الكلام يدلّ عليه، اى يطمع ان ادخله الجنّة، و قيل: يطمع ان ازيده من المال و الولد.
«كلّا» ردع و زجر، اى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر و المزيد من النّعم فلم يزل بعد نزول هذه الآيات في نقصان من المال و الجاه و الولد و مات فقيرا.
إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً معاندا جاحدا لها.
سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً الارهاق التّحميل و التّكليف و الصّعود العذاب الشّاقّ، و المعنى: ساكلّفه مشقّة من العذاب لا راحة فيها. و في الخبر يكلّف ان يصعد عقبة في النّار ملساء، فاذا وضع يده عليها ذابت، فاذا رفعها عادت، و اذا وضع رجله ذابت، و اذا رفعها عادت. و قيل: يجذب من امامه بسلاسل الحديد. و يضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدها في اربعين عاما، فاذا بلغ ذروتها رمى به الى اسفلها فذلك دابه ابدا.
إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ سبب نزول اين آيات بقول مفسّران آن بود كه: جبرئيل (ع) فرو آمد و سورة حم تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ الى قوله: إِلَيْهِ الْمَصِيرُ فرو آورد، و رسول خدا (ص) در مسجد باز ميخواند و وليد مغيرة قراءت رسول (ص) مى‌شنيد. رسول چون بدانست كه وليد مى‌نيوشد آواز بركشيد و آيت باز ميخواند. وليد را آن عجب آمد، بقوم خويش بنى مخزوم باز گشت، سرگردان و متحيّر، ايشان را گفت: و اللّه كه از محمّد اين ساعت سخنى شنيدم كه نه سخن آدميان بود و نه سخن پريان، نه هيچ بشر طاقت دارد كه چنان سخنان گويد، انّ له لحلاوة و انّ عليه لطلاوة و انّ

اعلاه لمثمر و ان اسفله لمعذق و انّه يعلو و ما يعلى.
شيرين سخنى پر آفرين! سخنى كه آن را شكوهى است و رونقى. بالاش چون درخت ميوه دار زيرش چون چشمه آب حيات. بر هر سخنى بالا افتد و هيچ سخن بر بالاى وى نرسد. آن گه سرگردان بخانه خويش باز شد. قريش گفتند: و اللَّه كه وليد صابى گشت، و او مهتر قريش است، اكنون همه قريش صابى شوند، دين خود بگذارند و بدين محمّد باز گردند. و كان يقال للوليد ريحانة قريش. اين خبر به بو جهل رسيد، برخاست و بيامد غمگين و اندوهگن. وليد گفت: ما لى اراك حزينا يا بن اخى؟ چه افتادست كه ترا بس حزين و غمگين مى‌بينم؟ بو جهل گفت: و ما يمنعنى ان لا احزن؟
چرا غمگين نباشم و قريش ميگويند: تو سخنان محمّد را پسند ميدهى و آن را بزرگ ميدارى و ثنا مى‌گويى تا از فضله طعام ايشان بهره‌اى بردارى! اگر چنين است تا هم قريش فراهم شوند و ترا كفايتى حاصل كنند، تا از طعام ايشان بى نياز شوى؟! وليد چون اين سخن از بو جهل بشنيد، در خشم شد گفت: الم تعلم قريش انّى من اكثرهم مالا و ولدا؟ قريش را معلوم نيست كه در عرب از من توانگرتر بمال و فرزند كس نيست؟ ده فرزند دارم هر يكى كان سخاوت و معدن جود و اين اصحاب محمّد خود هرگز از طعام سير نشوند و از فقر وفاقه هرگز نياسايند، چه صورت بندد كه ايشان را فضله طعام بود تا بديگرى دهند! پس هر دو برخاستند و بانجمن قريش شدند. وليد گفت: شما كه قريش ايد بدانيد كه حال و كار اين محمّد در عرب منتشر گشت و موسم نزديك است. عرب آيند و از حال وى پرسند، جواب ايشان چه خواهيد داد؟ اگر گوئيد ديوانه است، شما را دروغ زن كنند، كه سخن وى سخن عاقلان است و از جنون در وى هيچيز نيست، و اگر گوئيد شاعر است، عرب شعر نيكو دانند و شناسند، دانند كه سخن وى شعر نيست و شما دروغ زن شويد. و اگر گوئيد كاهن است، ايشان دانند كه در سخن كاهنان ذكر اللَّه نبود و ان شاء اللَّه نگويند و محمّد ان شاء اللَّه بسيار گويد. و اگر گوئيد كذّاب است ايشان قبول نكنند كه از محمّد هرگز دروغ نشنيده‌اند و در عرب معروفست كه هرگز دروغ نگويد، پس قريش گفتند: اكنون راى تو چيست؟ يا ابا المغيرة؟ تو چه گويى و سخنان وى بر چه نهى؟ او در خود افتاد و تفكّر ميكرد و با خود ميانداخت كه در كار وى چه تقدير كند و چه گويد؟!
اينست كه ربّ العالمين گفت: إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ تفكّر في نفسه ما يقول فيه و قدّر في نفسه ما ذا يمكنه ان يقول فيه. و في القرآن قال اللَّه عزّ و جلّ: فَقُتِلَ اى لعن و عذّب و عوقب كَيْفَ قَدَّرَ.
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ استفهام على وجه التّعجيب و الانكار، و التّكرار للتّأكيد.
و قيل: احدهما لتقديره القول في محمّد و الثّاني لتقديره و القول في القرآن. و قيل احدهما لنفيه عنه الجنون و الكهانة و الشّعر و الكذب لا على وجه قصد به الايمان و الثّاني لاثبات صفة السّحر له.
ثُمَّ نَظَرَ فيما قدّر معجبا بذلك نظرة تفكّر.
ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ اى قبض ما بين عينيه و اظهر الكراهية في وجهه حيث عجز عن القول فيهما. و قيل: تكرّها في وجوه المؤمنين.
ثُمَّ أَدْبَرَ اى ولّى الى قومه وَ اسْتَكْبَرَ اى تكبّر عن الايمان.
فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ اى ما هذا الّذى يقوله محمّدا الّا سحر يروى، اى يأثره قوم عن قوم. قالوا له: و ما السّحر؟ قال: شى‌ء يكون في النّاس عن علمه فرّق به بين المرء و زوجه، اما رأيتموه فرّق بين فلان و اهله، و بين فلان و ولده و بين فلان و اخيه و بين فلان و مواليه، فذلك قوله: إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ. و ابو نهيكة يأتيه به من مسيلمة الكذّاب. و قيل: يرويه محمّد عن جبير و يسار و قيل عن اهل بابل.
إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ اى ما هذا الّا قول البشر تعلّمه من غلام رومى يكنى ابا نهيك كقوله: «إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ» قال اللَّه تعالى: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ سقر اسم من اسماء جهنّم. و قيل: اسم للدّرك الرّابع منها و اشتقاقه من سقرته الشّمس، اى اذا بته.
وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ تفخيم لشأنها.
لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ اى لا تبقى لحما و لا تذر عظما الّا اكلته و حطمته.
و قيل: لا تبقى حيّا و لا تذر ميّتا كقوله: «لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى».
لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ اى مسوّدة لها. و قيل: تحرق الجلد حتّى تسوّده و البشر جمع بشرة و هي ظاهر الجلد.

يقال: لاحته الشّمس و لوّحته اذا غيّرته.
قال ابن كيسان: تلوح لهم جهنّم حتّى يروها عيانا كقوله: «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ».عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ اى على سقر من الخزنة تسعة عشر، و قيل: تسعة عشر صنفا من الملائكة، و قيل: تسعة عشر صنفا منهم. و قيل: تسعة عشر ملكا مالك و معه ثمانية عشر جاء في الاثر اعينهم كالبرق الخاطف و انيابهم كالصّياصى يخرج لهب النّار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرّحمة، يرفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم. و قال عمرو بن دينار: انّ واحدا منهم يدفع بالدّفعة الواحدة في جهنّم اكثر من ربيعة و مضر. فلمّا نزلت هذه الآية قال ابو جهل: زعم ابن ابى كبشة انّ خزنة النّار تسعة عشر و انتم الدّهماء أ فيعجز كلّ عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنّم. فقال ابو الاشدّين كلدة بن خلف الجمحىّ، و كان يوصف بالقوّة: انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى و سبعة على بطنى فاكفونى انتم اثنين، و روى انّه قال: انا امشى بين ايديكم على الصّراط فارفع عشرة بمنكبى الايمن و تسعة بمنكبى الايسر في النّار و نمضى ندخل الجنّة فانزل اللَّه عزّ و جلّ: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ اى خزنة اصحاب النّار، فحذف المضاف الى ملائكة لا رجالا آدميّين فمن ذا الّذى يغلب الملائكة و الواحد منهم يأخذ ارواح جميع الخلق. و للواحد منهم قوّة الثّقلين، هذا كقوله: «عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ» وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ اى عددهم في القلّة إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اى ضلالة لهم حتّى قالوا فيهم ما قالوا. و قيل: محنة ليظهر ما يقول كلّ واحد منهم و يعتقده.
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لانّه مكتوب في التّورات و الانجيل انّ خزنة جهنّم تسعة عشر. و قيل: ليستيقنوا انّ محمّدا نبىّ صادق حين اخبرهم بما يوافق كتبهم و هو امّىّ لا يكتب و لا يقرأ من الكتاب. وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً يعنى: من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد (ص) و يزدادوا يقينا الى يقينهم وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ اى لا يشكّوا في انّ عددهم على ما اخبر به محمّد (ص) عن الوحى و انّ القرآن وافق ما في كتابهم.
وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اى شكّ و نفاق. و قال الحسين بن الفضل: المرض في هذه الآية الخلاف لا النّفاق لانّ السّورة مكيّة و لم يكن حينئذ نفاق. وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا انّما قالوا مشركو مكة و ليس في الآية مثل و لكنّهم استغربوا هذا العدد فقالوا: لعلّه مثل مضروب و في تخصيص خزنة النّار بهذا العدد اقوال، احدها: انّ جهنّم اطباق سبعة و مالك خازن النّار في الطّبقة الاولى و فيها المذنبون من المؤمنين فيرفق بهم الى ان يخلّصهم اللَّه منها ثمّ في كلّ طبقة منها ثلاثة منهم يعذّبون اهلها بانواع العذاب و مجموعهم تسعة عشر، الثّاني بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم تسعة عشر حرفا. و عدد الزّبانية تسعة عشر ملكا فيدفع المؤمن بكلّ حرف منها واحدا منهم و قد سبقت رحمته غضبه. الثّالث انّ ساعات اللّيل و النّهار اربع و عشرون ساعة، خمس منها جعلت للصّلوات الخمس و بقيت تسع عشرة ساعة فمن ضيّعها عذّب بتسعة عشر ملكا في النّار و من حفظها بذكر اللَّه ذبّت كلّ ساعة عنه ملكا منهم. الرّابع جعل اللَّه اوتاد الارض و هى الجبال تسعة عشر جبلا كذلك جعل اوتاد النّار تسعة عشر ملكا. و زعم هذا القائل انّ جبال الارض تسعة عشر و الباقى تشعّب عنها و قد عدّت جبال الارض المتشعّبة عنها فبلغت مائة و تسعين جبلا.
كَذلِكَ اى كما اضلّ اللَّه من انكر عدد الخزنة و هدى من صدّق.
كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ قال مقاتل: هذا جواب ابو جهل حين قال: اما لمحمّد اعوان الّا تسعة عشر.
قال عطاء: وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ، يعنى: من الملائكة الّذين خلقهم لتعذّب اهل النّار لا يعلم عدّتهم الّا اللَّه، و المعنى: انّ تسعة عشرهم خزنة النّار و لهم من الاعوان و الجنود من الملائكة ما لا يعلمهم الّا اللَّه عزّ و جلّ، و قيل: لا يعلم جميع الخلائق كنههم و كيفيّتهم و كمّيّتهم الّا اللَّه عزّ و جلّ. يروى في بعض الاخبار: انّ الآدميّين مائة و خمسة و عشرون صنفا: مائة منهم في بلاد الهند و منهم يأجوج و مأجوج و تاريس و منسك. لا يعلم عددهم الّا اللَّه. كلّهم كفّار و مصيرهم الى النّار. و اثنا عشر صنفا في بلاد الرّوم. منهم: النسطوريّة، و اليعقوبيّة و الملكائيّة كلّهم كفّار و مصيرهم الى النّار و ستّة اصناف في ناحية المشرق منهم: التّرك خاقان و خلج و خزر و صقلاب و الرّوس و غور كلّهم كفّار و مصيرهم الى النّار. و ستّة اصناف في ناحية المغرب، منهم الزّنج و الحبش، و النّوبة و النّبطية كلّهم كفّار و

مصيرهم الى النّار. و بقى جزء واحد و هم المؤمنون فالمؤمنون في الكفّار كشعرة بيضاء في جنب ثور اسود، ثمّ جميع الآدميّين في الجنّ جزء واحد من عشرة اجزاء ثمّ جميع الآدميّين و الجنّ في الشّياطين جزء واحد من عشرة اجزاء ثمّ جميع الآدميّين و الجنّ و الشّياطين في ملائكة السّماء الدّنيا جزء من عشرة اجزاء. ثمّ جميع ما ذكرنا مع ملائكة السّماء الدّنيا في ملائكة السّماء الثّانية جزء من عشرة اجزاء حتّى يبلغ سبع سماوات ثمّ جميع الآدميّين و الجنّ و الشّياطين و ملائكة سبع سماوات في الزّبانية جزء من عشرة اجزاء ثمّ هؤلاء كلّهم في ملائكة الرّحمة جزء من عشرة اجزاء ثمّ هؤلاء في الكرّوبيّين جزء من عشرة اجزاء ثمّ في الرّوحانيّين جزء من عشرة اجزاء، ثمّ في الحافّين جزء من عشرة اجزاء ثمّ هؤلاء في الرّوح، و هم جنس من الملائكة جزء من عشرة اجزاء. هذا قول كعب الاحبار فقيل لكعب: ذكرت جنود اللَّه. و قال تعالى: وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ فضحك كعب و قال: اين انت؟ من قوله تعالى: وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ فخلق فوقنا خلقا لا يراهم احد و خلق تحتنا خلقا لا يراهم احد، و في البر و البحر خلق لا يراهم احد ثم رجع الى ذكر سقر فقال. وَ ما هِيَ يعنى: النّار إِلَّا ذِكْرى‏ لِلْبَشَرِ اى: الّا تذكرة و عظة للخلق. و قيل: يريد بها النّار الّتى في الدّنيا اى خلقت النّار في الدّنيا عبرة و تذكرة تذكر بها النّار في الآخرة.

و قيل: يعنى الجنود ذكرى للبشر ليس انّ اللَّه يحتاج الى ناصر و معين، تعالى عن ذلك.

كَلَّا ردع لمن زعم انّ جنوده لحاجته اليهم. و قيل: ردع لمن زعم انّه يكفى امر الخزنة فيخرج منها و هو ابو جهل و ابو الاشدّين. و قيل: معنى «كلّا» اى حقّا «وَ الْقَمَرِ» اقسم بالقمر يعنى: الهلال بعد ثالثه.

وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ قرأ نافع و حمزة و حفص و يعقوب «اذ» بغير الف «ادبر» بالالف. و قرأ الآخرون «اذا» بالالف «دبر» بلا الف. و دبر و ادبر لغتان. يقال: دبر اللّيل و ادبر اذا ولّى ذاهبا. و قيل: دبر انقضى و ادبر اى اخذ في الادبار. و قيل: دبر جاء بعد النّهار و في دبره يقال: دبرنى فلان و خلفنى، اى جاء بعدى و خلفى.

وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ اى أضاء و تبيّن انّها، يعنى: انّ سقر لاحدى الكبر و الكبر العظائم واحدتها الكبرى و هي جماعة اطباق النّار جهنّم ثمّ لظى، ثمّ الحطمة، ثمّ السّعير. ثمّ سقر، ثمّ الجحيم، ثمّ هاوية، و قيل: انّ دركة سقر و النّار المذكورة لاحد الدّواهى و انّها لكبيرة العذاب و قيل: انّ هذه الآية لاحدى الكبر بذكر اليم عذاب اللَّه. و قيل: انّ تكذيبهم لمحمّد (ص) لاحدى الكبر، اى لكبيرة من الكبائر.

نَذِيراً لِلْبَشَرِ اى النّار لاحدى الكبر في حال الانذار و التّخويف للبشر و انّما ذكر النّذير لانّه اراد به العذاب و يجوز ان يكون من باب النّسبة، اى ذات انذار لهم، كقولهم: امرأة طالق. و قيل: انّ نذيرا متعلّق باوّل السّورة على معنى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قم نذيرا اى منذرا للبشر.

لِمَنْ شاءَ بدل من قوله للبشر مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ في الخير و الطّاعة أَوْ يَتَأَخَّرَ عنها في الشّرّ و المعصية و المعنى: انّ الانذار قد حصل لكلّ واحد ممّن آمن او كفر. و قيل: المشيّة متّصلة باللَّه، اى لمن شاء اللَّه أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ.

و هذا تهديد من اللَّه و اعلام انّ من تقدّم الى الايمان لمحمد (ص) جوزى بثواب لا ينقطع و من تأخّر عن الطّاعة و كذب محمدا عوقب عقابا لا ينقطع.

كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ اى مرتهنة في النّار بكسبها مأخوذة بعملها و قيل: عند الحساب مرهونة بعملها امّا يخلّصها و امّا يوبقها ثمّ استثنى فقال: إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ فانّهم ليسوا مرتهنين بذنوبهم في النّار و لكن يغفرها اللَّه لهم و هم الّذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق حين قال لهم اللَّه: هؤلاء في الجنّة و لا ابالى. و قيل: هم الّذين يعطون كتبهم بايمانهم. و قال الحسن: هم المسلمون المخلصون. و قال على بن ابى طالب (ع): هم اطفال المسلمين.

و قال ابن عباس: هم الملائكة. و قيل: كلّ نفس مأخوذة بكسبها من خير او شرّ الّا من اعتمد على الفضل.

فكلّ من اعتمد على الكسب فهو رهين به. و من اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ.

فِي جَنَّاتٍ يَتَساءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ اى يسألون الملائكة. و الملائكة يسألون المجرمين: ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ اى ما ادخلكم في سقر فاجابوا.

و قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ لله يعنى. الصّلوات المفروضة اى لم نعتقد وجوبها و فرضها.
وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ كانوا يقولون: «أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ».
وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ اي كنّا نشرع في الباطل مع الشّارعين فيه، اى كلّما غوى غاو بالدّخول في الباطل غوينا معه. قال عبد الله: اكثر النّاس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل. و قال النّبي (ص): «اكثر النّاس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا في معصية اللَّه».
وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ اى بيوم الجزاء.
حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ و هو الموت، و قيل: البعث و اليقين: العلم الّذى معه يوجد ثقة القلب. و قيل: اصحاب النّار يومئذ اربعة اصناف و كلّ واحد من هذه الاربعة كلام صنف منهم. قال اللَّه تعالى: فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ اى ليس لهم من الملائكة و النّاس شفيع. قال عبد اللَّه بن مسعود: يشفع الملائكة و النبيّون و الشّهداء و الصّالحون و جميع المؤمنين فلا يبقى في النّار الّا اربعة ثمّ تلا: قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الى قوله: بِيَوْمِ الدِّينِ و قال عمران بن الحصين: الشّفاعة نافعة لكلّ احد دون هؤلاء الّذين تسمعون و عن انس قال: قال رسول اللَّه (ص): «يصف اهل النّار فيعذّبون، قال: فيمرّ بهم الرّجل من اهل الجنّة فيقول الرّجل منهم: يا فلان اما تعرفنى؟ انا الّذى سقيتك شربة، و قال بعضهم: انا الّذى وهبت لك وضوءا فيشفع له فيدخله الجنّة يوم القيامة».
و في رواية اخرى قال صلّى اللَّه عليه و سلّم: «يقول الرّجل من اهل الجنّة يوم القيامة»
اى ربّ عبدك فلان سقانى شربة من ماء في الدّنيا فيشفّعنى فيه فيقول: اذهب فاخرجه، فيذهب حتّى يخرجه منها» و قال ابن عباس: انّ محمدا (ص) يشفع ثلاث مرّات ثمّ تشفع الملائكة ثمّ الانبياء، ثمّ الآباء ثمّ الأبناء ثمّ يقول اللَّه عزّ و جلّ: بقيت رحمتى و لا يدع في النّار الّا من حرمت عليه الجنّة.
فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ اى عن تذكيرك ايّاهم بالقرآن معرضين و الاعراض عن القرآن من وجهين: احدهما: الجحود و الانكار، و الآخر: ترك العمل بما فيه و قيل: التّذكرة الاسلام و النّبي عليه الصّلاة و السّلام. و «معرضين» نصب على الحال.
كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ جمع حمار مُسْتَنْفِرَةٌ قرأ نافع و ابن عامر بفتح الفاء و قرأ الآخرون بكسرها، فمن فتح فمعناه منفّرة مذعورة و من كسر فمعناه نافرة نفر و استنفر، بمعنى واحد، كما يقال: عجب و استعجب.
فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ يعنى: الاسد. و قيل: كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ يعنى: العير في البرّيّة نافرة فرّت من الرّماة الّذين يتصيّدون. و عن ابن عباس قال: القسورة ركز النّاس اى صوتهم و حسّهم. و قيل: القسورة سواد اوّل اللّيل و لا يقال لسواد آخر اللّيل قسورة. و قيل: كلّ ضخم شديد عند العرب، فهو قسورة و بهذا فسّر زيد بن اسلم اى فرّت من رجال اقوياء. و قيل: القسورة حبال الصّيادين. قوله: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً هذا جواب الّذين قالوا: لن نؤمن لرقيّك حتّى تنزل علينا كتابا نقرأه كما سألته اليهود ان ينزّل عليهم كتابا من السّماء. و قال ابن عباس: كان المشركون يقولون: ان كان محمّد صادقا فلتصبح عند رأس كلّ رجل منّا صحيفة فيها براءة من النّار كما كان عند رأس كلّ رجل من بنى اسرائيل صحيفة فيها براءة من النّار كما كان عند رأس كلّ رجل من بنى اسرائيل صحيفة فيها ذنبه و كفّارته اذا اصبح. قال مطر الورّاق: كانوا يريدون ان يؤتوا براءة بغير عمل. و قيل: كانوا يقولون: يا محمّد ان سرّك ان نتّبعك فاتنا بكتب من اللَّه فيها من اللَّه الى فلان بن فلان ان اتّبع محمّدا و الصّحف: الكتب، و هى جمع الصّحيفة و منشّرة: منشورة مبسوطة، فقال اللَّه عزّ و جلّ: كَلَّا ردع عن اقتراح الكتب. و قيل: اعلام انّهم لا يؤمنون و ان جاءهم الكتاب كقوله: وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ... الآية.
بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ اى لا يخافون عذاب الآخرة و لا يقدّرون وقوعها و كونها، و المعنى: انّهم لو خافوا النّار و عذاب الآخرة لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلّة. كَلَّا ردع و قسم، اى حقّا انّه تذكرة، اى القرآن تذكير للخلق وعظة.
فَمَنْ شاءَ اتّعظ به و ذَكَرَهُ اذ يسّره للخلق.
وَ ما يَذْكُرُونَ قرأ نافع و يعقوب تذكرون بالتّاء، و الآخرون بالياء، اى لا يؤمنون الّا بمشيّة اللَّه و ارادته. قال مقاتل: لا يذكرون الا ان يشاء اللَّه لهم الهدى هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ اى اهل ان تتّقى محارمه و اهل ان يغفر لمن اتّقاه. و قيل: اهل ان يتّقى فلا يعصى و اهل ان يغفر لمن عصى.
روى عن ثابت عن انس: انّ رسول اللَّه (ص) قال في هذه الآية: هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ قال

ربّكم عزّ و جلّ: انا اهل ان اتّقی و لا یشرك بی غیری و انا اهل لمن اتّقی ان یشرك بی ان اغفر له.
و روی عن عبد القدّوس بن بكر قال: سمعت محمد بن النضر الحارثی یذكر في قوله عزّ و جلّ هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ قال: انا اهل ان یتّقینی عبدی فان لم یفعل كنت انا اهلا ان اغفر له.

النوبة الثالثة

قوله تعالی، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ:

محوت اسمی و رسم جسمی و غبت عنّی و دمت انتا
و في فنایی فنی فنایی و في ورائی وجدت انتا
تا خاك تو از باك تو مفرد نشود در نفی تو اثبات تو مرتد نشود
تا فقر و غنا هر دو ترا ردّ نشود توحید تو از شرك مجرّد نشود.

از هر دو سرای سرّ خویش مجرّد كن، تا گردی از میدان درگاه بسم اللَّه بر رخسار روزگارت نشیند و سعید ابد گردی هر چه معانی بشریّت است و اندیشه طبیعت در آتش محبّت بسوزد، تا چون نام او گویی سینه تو از حدیث او خبر دارد. یك قدم از خود فرا نه، تا جمال این نام نقاب عزّت بگشاید و بر دلت متجلّی شود.
اندوه و شادی این نام بود كه بر تخت سلیمان تافت تا جنّ و انس و طیور و وحوش كمر خدمت وی بربستند شطیّه‌ای از حقیقت این نام بر كنگره طور تافت. طبق طبق از هم فرو ریخت. حشمت این نام روز قیامت رسول خدا را گوید: تو با شفاعت گرد ایشان گرد كه با ما شمار ندارند و اینان را بما بگذار كه ما ایشان را جمله در حمایت خود میداریم. آن سوختگان اهل توحید، عاصیان مفلس، قدم در آتش نهند و گویند: «بسم اللَّه» آتش میگریزد و میگوید: «جز یا مؤمن فقد اطفأ نورك ناری».
قوله یا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ای مركز اقبال و منبع افضال، ای مطلع جمال و مختار ذو الجلال، ای چادر بشریّت در سر كشیده و در گلیم انسانیت پوشیده شده، اگرت قرب ما آرزوست «قُمْ» بنا و اسقط عنك ما سوانا، از خود برخیز و از برخاستن خود برخیز در حریم عزّت ما گریز. چادر بشریّت از خود باز كن. گلیم انسانیّت از راه دل بردار تا دل صحرایی شود، مرغ وار در عالم ارادت بر هواء طلب پرواز كند، بآشیان قرب رسد.
بزرگی را پرسیدند كه: معنی قرب چیست؟ اگر قرب بنده مر حق را می‌گویی، عبارت از او آسانست و اشارت بدو روان، خدمتی است در خلوت از خلق نهان، مكاشفتی در حقیقت از فریشته نهان، استغراقی در صحبت از خود نهان. و اگر قرب حقّ مر بنده را می‌گویی، آن نه بطاقت گفتارست و نه عبارت و اشارت را بدو راهست جز آن نیست كه خود میگوید جلّ جلاله: «فَإِنِّي قَرِيبٌ» من ناجسته و ناخوانده و نادریافته نزدیكم در نزدیكی من سیاهی چشم از سپیدی دور است و من از آن نزدیكترم نفس از لب دور است، و من از آن نزدیكترم نه بحرز عقل تو نزدیكم كه بنعت خود در اوّلیت خود در صفت خود نزدیكم.
پیر طریقت گفت: «اگر مردمان نور قرب در عارف ببینند، همه بسوزند، ور عارف نور قرب در خود بیند بسوزد. علم قرب در میان زبان و گوش نگنجد، كه آن راهی تنگ است و از همراهی آب و گل زبان قرب را ننگ است، هر گه كه قرب روی نمود عالم و آدم را چه جای درنگ است:

تا با تو تویی، ترا بدین حرف چه كار؟ كین عین حیاتست وز عالم بیزار!.

یا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ای جبرئیل امین و ای كرّوبیان سماوات و ای مقرّبان درگاه، آفرینش را بشارت دهید كه محمد مصطفی را (ص) لباس نبوّت پوشیدند و بر مركب رسالت نشاندند. ای آسمان تو قندیل‌ها بیفروز. ای بیت المعمور تو محراب اهل ایمان گرد. ای كعبه معظّم محترم تو قبله سپاه اهل اسلام شو. ای خاك زمین تو مسجد اهل «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» شو كه آن مهتر عالم را و سیّد ولد آدم را باین خطاب تشریف مخصوص كردند كه: یا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ و نگر تا ظنّ نبری كه پیش ازین خطاب پیغمبر نبود كه میگوید، صلوات اللَّه و سلامه علیه: «كنت نبیّا و آدم بین الماء و الطّین و الرّوح و

الجسد».
هنوز نه آب و نه خاك كه تخت عهد دولت نبوّت نهاده و مهتر صلّى اللَّه عليه و سلّم بر آن تخت نشسته، و ارواح صد و بيست و چهار هزار پيغامبر بخدمت ايستاده و اين چهار سرهنگ كه خاصگيان درگاه نبوّت‌اند، صدّيق و فاروق و ذو النّورين و مرتضى (ع) صف كشيده پيش خدمت آن مهتر، و گفت: يا ايمان پاك بحجره دل صديق فرو آى و پوشيده مى‌باش تا او در اصلاب ميگردد. و چون ما سر از ميان خاك حجاز برآريم، تو از حجره سينه صدّيق بر بالاى زبان او آى و با ما عهد درست كن، پيش از آنكه جهانيان بدانند تا ما اين تاج كرامت بر فرق صدّيق نهيم كه «خلقت انا و ابو بكر من طينة واحدة فسبقت بالنّبوة فلم يضرّه و لو سبقنى بها لم يضرّنى».
و يا عزّ اسلام تو كمر شجاعت بر بند و بسينه عمر فرو آى و با ما باش صلح ده تا اين طغرا بر روزگار او كشيم كه: «لو لم ابعث لبعثت يا عمر».
و يا اخلاص تو تاج حيا بر سر نه و كمر رضا بر بند و بسينه عثمان فرو آى تا بدار دنيا در عالم بيعت بداريم و اين رقم كشيم كه: أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا. و اى علم تو لباس عقل درپوش و در صومعه دل على شو، بر قدم انتظار مى‌باش تا فردا كه عقل انبياء از در حجره ما درآيد، ما درو نگاه كنيم، او از علم آيينه سازد و از عقل ديده، و درين آيينه نگاه كند، ما را باز شناسد و ما او را اين توقيع زنيم كه: «انت منّى بمنزلة هارون من موسى».
قوله: وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ يا محمّد خداوند خود را بزرگوار دان و بزرگوار شناس، بذات از همه چيزها و بقدر از همه نشانها برتر، و بعزّ از همه اندازه‌ها زبر. يا محمد همه قدرها در مقابله قدر او غدر بين، همه جلالها در عالم جلال او زوال دان، همه كمال‌ها در جنب كمال او نقصان و همه دعويها تاوان، كه با كمال او كس را كمال نيست، و با جمال او كس را جمال مسلّم نيست الا كلّ شى‌ء ما خلا اللَّه باطل. برهان كبرياء او هم كبرياى او. دليل هستى او هم هستى او، عبارت از مدح و ثناء او بدستورى او، يادداشت و ياد كرد او بفرمان او، طلب او بكشش او، يافت او بعنايت او.
جوانمردى از عزيزان راه حقّ گفته كه درگاه ربوبيّت نظاره گاه ارواح است.
و آن درگاه را بسيار معارف فروگرفته، عزّت از يمين و جلالت از يسار، و قهر و كبريا و عظمت در ساحت آن حضرت فرو آمده تا هر نامحرمى را زهره آن نباشد كه قصد وصال آن حضرت كند:

هر كه او را دلى و جانى بود شد بميدان عاشقى كويش
كشته گشتند عاشقان و هنوز نشنيدست هيچكس بويش
رحلت عاشقان ز هر سويى نيست از قصد دل مگر سويش.

وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ يك قول از اقوال مفسّران آنست كه: و قلبك فطهّر عمّا سوى اللَّه. اى محمد دل خود را از اغيار صافى دار و از هر چه ما دون اللَّه بيزار شو و دوست را يكتا شو، با خلق عاريت باش، و با خود بيگانه، و از تعلّق آسوده. و سبب اين خطاب آن بود كه چون وحى آمد از حقّ جلّ و علا كه: قُمْ فَأَنْذِرْ خيز و خلق را بدرگاه ما دعوت كن، بر خاطر وى بگذشت كه الحمد للَّه كه ما را اين منزلت ميان عشيرت خود آمد كه همه بامانت و ديانت من مقرّ آمده‌اند و مرا تصديق كنند چون بر خاطرش اين قدر بگذشت و اين مقدار اعتماد افتاد، قصّه برگشت. هر چند دعوت بيش كرد خويشان از وى نفورتر بودند و از قبول دورتر. اى عجبا تا دعوت نبود بنزديك شما امين بودم، و اكنون كه علم رسالت بدرگاه دولت ما زدند خائن گشتم!

اشاعوا لنا في الحيّ اشنع قصّة و كانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا

آرى ما آن كنيم كه خود خواهيم، از عين خوف رجا برآريم، و در عين رجا خوف تعبيه كنيم كن لما لا ترجو ارجى منك لما ترجو. اى محمد آنها كه دل بر ايشان نهادى كه بدعوت تو آشنا گردند، ميان تو و ايشان صد هزار خيمه هجران بزنيم، و آنها كه بايشان اميد نداشتى ميان تو و ايشان صد هزار قبّه وصال بربنديم. اى محمد خويشان و تبار را بر تو بيرون آوريم تا چون از نزديكان جفا بينى دل بر دوران ننهى.

ما نپسنديم كه در هر دو كون اعتماد تو جز بر ما بود، همه را بر تو بيرون آورديم تا در هر دو كون جز از مات ياد نيايد. همين است حديث يعقوب (ع)، چون دل بر پسر نهاد و اعتماد بر وى كرد، ربّ العزّة خويشان و نزديكان را برگماشت تا از پيش پدرش بربودند و بچاه افكندند و بفروختند، و اين همه بآن كرديم تا سرّ وى از همه بريده گردد و بداند كه چون از خويشان وفايى نيايد از دوران و بيگانگان اولى تر كه نيايد، يكسر دل و اما دهد و اعتماد بر ما كند: پير طريقت گفت: الهى وا درگاه آمدم بنده وار، خواهى عزيز دار خواهى خوار. اى مهربان فرياد رس، عزيز آن كس كش با تو يك نفس، اى همه تو و بس. با تو هرگز كى پديد آيد كس.

75- سورة القيمة- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان

لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (1) سوگند ميخورم بروز رستاخيز.

وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) و سوگند ميخورم بتن نكوهنده.

أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ مى‌پندارد اين مردم أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ (3) كه ما فراهم نياريم اندامان و استخوانهاى او ؟

بَلى قادِرِينَ آرى كنيم و آن را توانايانيم عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (4) بر آنكه راست كنيم اندامان او تا بندهاى انگشتان او هم چنان كه بود.

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ (5) آرى ميخواهد اين مردم كه دروغ شمرد هر چه فرا پيش اوست.

يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ (6) مى‌پرسد كه روز رستاخيز كى؟

فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) آن گاه كه چشم در چشم خانه روشن بتاود.

وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (8) و در چشم او ماه تاريك گردد.

وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (9) و روز و شب باو يكسان.

يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ مردم ميگويد آن روز أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كجا گريزم؟

كَلَّا نگريزد و نتواند لا وَزَرَ (11) پناه جاى نيست او را.

إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12)

با خداوند تو است آن روز شدن و آراميدن و باز گشتن.

يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ آگاه كنند آن روز مردم را بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (13) بهر چه از پيش فرستاد از كرد و كار، يا از پس خويش گذاشت از نهاد بد يا نيك.

بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) اين آدمى خود را نيك شناسد و در خود نيك داند.

وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ (15) و هر چند كه خود را مى‌حجّت و عذر آرد و مى‌سازد.

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) زبان خود مجنبان شتابيدن را به قرآن.

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (17) بر ما كه قرآن بر تو خوانيم و در ياد تو داريم.

فَإِذا قَرَأْناهُ چون ما بر تو خوانديم فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) آن گه تو از پس وا ميخوان.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (19) و آن گاه بر ما كه احكام آن پيغام خويش ترا پيدا كنيم.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ (20) آرى شما مى‌دوست داريد اين جهان نزديك فرادست و شتابنده بخلق.

وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) و جهان پسين مى‌گذاريد.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ (22) رويهاست آن روز از شادى تازه.

إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ (23) بخداوند خويش نگران.

وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ (24) و رويهاست آن روز از اندوه گرفته و فراهم كشيده.

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ (25) كه درست ميداند كه هر چه بتر بود باو ببود.

كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ (26) براستى آن وقت كه جان بچنبر گردن رسد

وَ قِيلَ مَنْ راقٍ (27) و مى‌گويند كدام پزشك است كه افسون كند؟

وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ (28) و بدانست مردم كه از دنيا مى‌جدا شود.

وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) و پاى او در كفن مى‌پيچيدند و گور را بساختند.

إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ او را بسوى خداوند تو راندند و با او بردند.

فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى (31) صدقه و زكاة نداد و نماز نكرد.

وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (32) لكن دروغ زن گرفت و از پذيرفتن برگشت.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33) آن گه با كسان خويش شد خرامان.

أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (34) در رسيد آنچه از آن ميترسيدى گريز.

ثُمَّ أَوْلى‏ لَكَ فَأَوْلى‏ (35) باز در رسيد آنچه از آن مى‏ترسيدى گريز.
أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ مى‏پندارد مردم أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (36) كه او را فرو گذارند نا انگيخت و ناپرسيد؟
أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى‏ (37) نه نطفه‏اى بود نخست كه بيفكندند.
ثُمَّ كانَ عَلَقَةً آن گه پس از آن خونى بسته فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) خداوند تو آن را بيافريد و صورت و اندام راست كرد.
فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى‏ (39) و از آن دو همتا آفريد نر و ماده.
أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى‏ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى‏ (40) او كه آن را كرد نه توانا است و قادر بر آنكه مردگان را زنده كند.

النوبة الثانية

اين سوره بعدد كوفيان چهل آيت است، صد و نود و نه كلمت، ششصد و پنجاه و دو حرف جمله به مكه فرو آمد باتّفاق مفسّران. و درين سوره يك آيت منسوخ است: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ
نسخ ذلك بقوله: «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى‏» و عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ سورة القيامة شهدت انا و جبرئيل له يوم القيامة انّه كان مؤمنا بيوم القيامة و جاء و وجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».
لا أُقْسِمُ لا خلاف بين النّاس انّ معناه: اقسم، و اختلفوا في تفسير لا فقيل: هي تأكيد للقسم كقول العرب: لا و اللَّه لأفعلنّ كذا. لا و اللَّه ما فعلت كذا. و قيل: انّها صلة كقوله تعالى: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ اى لان يعلم اهل الكتاب و قيل: هى ردّ على منكرى البعث، فانّها و ان كانت رأس السّورة فالقرآن متّصل بعضه ببعض كلّه كالسّورة الواحدة و المعنى: ليس الأمر كما قلتم: اقسم بيوم القيامة أنّكم تبعثون. قرأ الحسن و الاعرج و ابن كثير في رواية القوّاس عنه لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ بلا الف قبل الهمزة.
وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ على معنى انّه اقسم بيوم القيامة و لم يقسم بالنّفس اللّوّامة. و الصّحيح انّه اقسم بهما جميعا و لا صلة فيهما، قال الشّاعر:

تذكّرت ليلى فاعترتنى صبابة و كاد ضمير القلب لا يتقطّع

اى يتقطّع. قال المغيرة بن شعبة: يقولون القيامة القيامة و انّما قيامة احدهم موته. و شهد علقمة جنازة فلمّا دفن قال: اما هذا فقد قامت قيامته و النفس اللوامة هى الّتى تلوم نفسها على ما جنت و تأتى يوم القيامة كلّ نفس برّة او فاجرة تلوم نفسها البرّة على ما قصّرت و لم تستكثر كقوله تعالى: يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي و الفاجرة على ما جنت كقوله: «يا حَسْرَتى‏ عَلى‏ ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ». قال سعيد ابن جبير و عكرمة تلوم على الخير و الشّرّ و لا تصبر على السّرّاء و الضّرّاء و قال الحسن: هى النّفس المؤمنة. قال: انّ المؤمن و اللَّه ما تراه الّا يلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت بأكلتى ما اردت بحديث نفسى و انّ الفاجر يمضى قدما لا يحاسب نفسه و لا يعاتبها.
و قال مقاتل: هى النّفس الكافرة انّ الكافر يلوم نفسه في الآخرة على ما فرّط في امر اللَّه في الدّنيا.
قوله: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ أ يظنّ الكافر ان لن نجمع عظامه عند البعث بعد ما صار رميما. أ يظنّ ان لا نقدر على ذلك. نزلت في عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة ختن الاخنس بن شريق الثّقفى. و كان رسول اللَّه (ص) يقول: «اللّهم اكفنى جارىّ السّوء»
يعنى عديّا و الاخنس و ذلك
انّ عدى بن ربيعة اتى النّبي (ص) فقال: يا محمد حدّثنى عن يوم القيامة متى يكون و كيف امره و حاله؟ فاخبره النّبي (ص) فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم اصدّقك يا محمد و لم اومن بك او يجمع اللَّه العظام
فانزل اللَّه تعالى: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ يعنى الكافر أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ بعد تفرّقها و بلاها فنحييه و نبعثه بعد الموت. ذكر العظام و اراد نفسه كلّها، لانّ العظام قالب النّفس لا يستوى الخلق الّا باستوائها. و قيل: هو خارج على قول المنكر او يجمع اللَّه العظام كقوله: «قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ: بَلى‏ قادِرِينَ اى نقدر استقبال صرف الى الحال و المعنى: بلى نقدر على جمع عظامه و على ما هو اعظم من ذلك و هو

أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ فنجعل اصابع يديه و رجليه شيئا واحدا كخفّ البعير او كحافر الحمار فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا و لكنّا فرقنا اصابعه حتّى يأخذ بها ما شاء و يقبض اذا شاء و يبسط اذا شاء فحسّنّا خلقه. هذا قول عامة المفسّرين و قال الزجاج و ابن قتيبة: معناه ظنّ الكافر انّا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر ان نعيد السّلاميات على صغرها فنؤلّف بينها حتّى نسوّى البنان فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها اقدر.

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ يقول تعالى ذكره: ما يجهل ابن آدم ان ربه قادر على جمع عظامه بعد الموت و لكنه يريد ان يفجر امامه‌اى يمضى قدما قدما في معاصى اللَّه راكبا رأسه لا ينزع عنها و لا يتوب. اين مردم نه از آنست كه نمى‌داند كه اللَّه قادرست كه مرده زنده كند، لكن ميخواهد كه بباطل و معصيت سر درنهد، هميشه در ناپسند مى‌رود روى نهاده چنان كه ميآيد و هر چه آيد و هر جاى كه رسد بى هيچ واگشتن. و قيل: يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ ليقدّم الذّنب و يؤخّر التّوبة، يقول: سوف اتوب، حتّى يأتيه الموت على شرّ احواله و اسوأ اعماله. ميخواهد اين مردم كه همه گناه فرا پيش دارد و توبه وا پس ميدارد، هميشه توبه در تأخير مينهد و وعده ميدهد كه: سوف اتوب، تا ناگاه مرگ آيد و او بر سر معصيت بر بتر حالى و زشتر عملى.

و قيل: لِيَفْجُرَ أَمامَهُ اى ليكذّب بما امامه من البعث و الحساب يقال للكاذب و المكذّب فاجر. قال الشّاعر: «اغفر له اللّهم ان كان فجر». اى كذب.

ميخواهد اين مردم كه هر چه فرا پيش است از بعث و نشور و حساب و جمله احوال رستاخيز دروغ شمرد. و قال الضحاك: هو الأمل يأمل. و يقول اعيش من الدّنيا كذا و كذا و لا يذكر الموت.

يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ اخذ «ايّان» من اين فاذا شدّدت و زيد فيها الالف وضعت موضع متى، اى متى تكون السّاعة؟ و متى يكون البعث؟ يسأله استبعادا و استهزاء و تكذيبا به. قال اللَّه تعالى: فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ بكسر الرّاء على معنى فزع و تحيّر و قرأ نافع بفتح الرّاء من البريق اى شخص بصره عند النّزع و وقوع الهول به حتّى لا يكاد يطرف و قال الكلبى: عند رؤية جهنّم برق ابصار الكفّار و في هذا جواب هذا السّائل اى انّما تكون السّاعة اذا برق البصر.

وَ خَسَفَ الْقَمَرُ اظلم و ذهب ضوءه.

وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ اى جمعا في ذهاب ضوءهما. و قيل: يجمعان كانّهما ثوران عقيران ثمّ يقذفان في البحر فيكون نار اللَّه الكبرى. و قال على (ع) و ابن عباس: يجعلان في نور الحجب. و قيل: يكوّران من قوله: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ و لم يقل: جمعت الشّمس لانّ معناه: جمع بينهما و قيل: المراد بهما اللّيل و النّهار فكنى عن النّهار بآيته و عن اللّيل بآيته. باين قول معنى آنست كه كافر را بوقت جان كندن چشم وى در چشم خانه خيره بماند و ماه در چشم وى تاريك گردد و روز و شب او را يكسان نمايد.

يَقُولُ الْإِنْسانُ اى الكافر يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ اى المهرب لشدّة ما يراه من العقوبة.

كَلَّا ردع عن تمنّى الفرار لا وَزَرَ اى لا حصن و لا حرز، و الوزر ما لجاء اليه الانسان من ملجاء او منجى او جبل.

إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ

اى المنتهى اذا جعلته مصدرا كقوله: و انّ الى ربّك المنتهى. انّ الى ربّك الرّجعى و ان جعلته مكانا فالجنّة و النّار، اى لا ينزل احدا منزلة الّا اللَّه.

يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ

قال ابن مسعود و ابن عباس: بما قدّم قبل موته من عمل صالح و سيّئ و اخّر بعد موته من سنّة حسنة او سيّئة يعمل بها، و في رواية عطيّة عن ابن عباس: بما قدّم من المعصية و اخّر من الطّاعة. و قيل: بما قدّم من الذّنب و اخّر من التّوبة. و قيل: بما قدّم من ماله لنفسه و ما اخّر منه لورثته. و قيل: ما قدّم لدنياه و ما اخّر لآخرته و هو مسئول عن الجميع لانّ اللّفظ عامّ. و في الحديث الصّحيح: «ما منكم من احد الّا سيكلّمه ربّه ليس بينه و بينه ترجمان و حجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى الّا ما قدّم من عمله و ينظر اشأم منه فلا يرى الّا ما قدّم و ينظر بين يديه فلا يرى الّا النّار تلقاء وجهه فاتّقوا النّار و لو بشقّ تمرة.

بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ

اى هو على نفسه بصير بعمله شاهد على نفسه.
و التّاء دخلت للمبالغة كما يقال: رجل نسّابة و علامة. و قيل: معناه على نفسه عين بصيرة فحذف الموصوف و اثبتت الصّفة. و قيل: على نفسه ذو بصيرة فحذف المضاف، اى يعلم انّه في الدّنيا جاحد كافر مذنب مسيء و في الآخرة يعلم انّه اىّ شيء فعل و ان اعتذر. ميگويد: آدمى بخود سخت داناست و از خود سخت آگاه است، ميداند كه در دنيا كافر و جاحد و بدكردار بوده و در عقبى ميداند كه چه آورده از فعل بد.
وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ و اگر چه خود را حجّت ميآرد و عذر باطل ميسازد.
و گفته‌اند: معاذير جمع معذار است. و المعذار: السّتر، لغة حميريّة. يعنى آدمى خود را نيك شناسد و هر چند كه پيش خويش مى‌ورايستد و پرده فريب بر چشم خويش افكند. و گفته‌اند: و او زيادتست. المعنى. عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ يعنى: اين مردم در خويشتن نيك داند، اگر بهانه بيفكند و عذر باطل بگذارد و پرده فريب از پيش خويش بيفكند. قيل: بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ
اى على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله و يشهدون عليه به و هي سمعه و بصره و يداه و رجلاه و جميع جوارحه، كقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ... الآية.
وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ اى يشهد عليه الشّاهد و لو اعتذر و ادلى بكلّ حجّة و عذر فلا ينفعه ذلك، فله من نفسه شهود و حجّة. ميگويد: اين آدمى بر وى رقيبى است و نگهبانى بس بينا و آگاه تا گوش بوى ميدارد و فردا بر وى گواه بود، اگر چه عذر باطل آرد و گويد: «إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» اين عذر او را سود ندارد و عذاب از وى باز ندارد. كقوله: «يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ». و قيل: وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ
اى و لو اسبل السّتر ليخفى ما يعمل فانّ نفسه شاهدة عليه. و قيل: بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ اى من يبصر امره يعنى الملكين الكاتبين، كقوله: «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ». قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ اى لا تحرّك بالقرآن لسانك استعجالا بتلقّنه. كان جبرئيل (ع) يقرأ عليه القرآن فيقرأه رسول اللَّه (ص) معه مخافة ان لا ينفلت منه و كان يناله منه شدّة فنهاه اللَّه عن ذلك. و قال: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ اى جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك.
فَإِذا قَرَأْناهُ اى اذا جمعناه في قلبك. و قيل: اذا قرأه جبرئيل و اضافه الى نفسه على جهة التّخصيص فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ
اى اتّبع قرآنه، اى اذا فرغ جبرئيل من قراءته فاقرأ انت على اثره.
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ هذا مردود على الكلام الاوّل، انّ علينا جمعه و قرآنه، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ اى علينا ان نبيّن لك احكامه من الحلال و الحرام و نبيّن لك معناه اذا حفظته. و قال الحسن: انّ علينا ان نجزى به يوم القيامة على ما قلنا في الدّنيا من الوعد و الوعيد و القرآن مصدر كالرّجحان و الغفران، تقول: قرأت قراءة و قرآنا و كان رسول اللَّه (ص) بعد نزول هذه الآية اذا اتاه جبرئيل اطرق فاذا ذهب قراه كما وعده اللَّه عزّ و جلّ. و قيل: هذا خطاب للعبد يوم القيامة و الهاء تعود الى كتاب العبد، اى لا تعجل فانّ علينا ان نجمع افعالك في صحيفتك و قد فعل و علينا ان نقرأ عليك كتابك.
فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ هل غادر شيئا او احتوى على زيادة ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ اظهار جزاء عليه.
«كَلَّا» افتتاح كلام بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ قرأ اهل المدينة و الكوفة تحبّون و تذرون بالتّاء فيهما و قرأ الآخرون بالياء، اى يختارون الدّنيا على العقبى و يعملون لها، يعنى كفّار مكة. و من قرأ بالتّاء، فعلى تقدير قل لهم يا محمد تحبّون الدّنيا و شهواتها و تذرون الدّار الآخرة و نعيمها.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ يعنى: يوم القيامة، «ناضرة» ناعمة مشرقة حسنة نضرت بنعيم الجنّة. قال مقاتل: بيض يعلوها النّور، يقال: نضر وجهه ينضر نضرة و نضارة. قال اللَّه تعالى: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ. قال ابن عباس: تنظر الى ربّها عيانا بلا حجاب. قال الحسن: تنظر الى الخالق و حقّ لها ان تنظر و هي تنظر الى الخالق
روى عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه (ص): «انّ ادنى اهل الجنّة منزلة لمن ينظر الى خزّانه و ازواجه و سرره و نعيمه، و خدمه مسيرة الف سنة و اكرمهم على اللَّه لمن ينظر الى وجهه تبارك و تعالى. غدوة و عشيّة». ثمّ قرأ رسول اللَّه (ص) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ.

و عن جابر قال: قال رسول اللَّه (ص): «يتجلّى ربّنا عزّ و جلّ حتّى ينظروا الى وجهه فيخرّون له سجّدا، فيقول: ارفعوا رؤسكم فليس هذا بيوم عبادة.
و عن عمّار بن ياسر قال: كان من دعاء النّبي (ص) «اسألك النّظر الى وجهك و الشّوق الى لقائك في غير ضرّاء مضرّة و لا فتنة مضلّة».
و قال اهل العلم: النّظر اذا قرن بالوجه و عدّى بحرف الجرّ و هو الى لم يعقل منه الّا الرّؤية و العيان.
وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ عابسة، كالحة، كريهة.
«تَظُنُّ» اى يتيقّن أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ داهيه عظيمة من العذاب و الفاقرة الدّاهية العظيمة و «الأمر الشّديد الّذى يكسر فقار الظّهر و منه سمّى الفقر فقرا لانّه يكسر الفقار لشدّته. قال ابن زيد: هى دخول النّار. و قال الكلبى: هى ان تحجب عن رؤية الرّبّ عزّ و جلّ.
«كَلَّا» افتتاح كلام إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ اى بلغت الرّوح عند الموت الى التّراقى، كنى عنها و لم يتقدّم ذكرها لانّ الآية تدلّ عليها. و التّراقى جمع ترقوه و هى العظم المشرف على الصّدر و هما ترقوتان.
وَ قِيلَ مَنْ راقٍ اى يقول اهله هل من راق يرقيه و هل من طبيب يداويه، مشتقّ من الرّقية. و قيل: انّ ملائكة الرّحمة و ملائكة العذاب اذا اجتمعوا، يقول بعضهم لبعض من الّذى يرقى بروحه أ ملائكة الرّحمة ام ملائكة العذاب. مشتقّ من الرّقى.
وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ اى و تيقّن انّه مفارق للدّنيا.
روى انس بن مالك قال: قال رسول اللَّه (ص): «انّ العبد ليعالج كرب الموت و سكراته و انّ مفاصله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السّلام تفارقنى و افارقك الى يوم القيامة».
قوله: وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ اى التصقت احديهما بالآخرى عند الموت.
قال قتادة: أ ما رأته اذا ضرب برجله رجله الأخرى، و قال الحسن: هما ساقاه اذا التفّتا في الكفن و قيل: ماتت رجلاه فلم تحملاه الى شيء و كان عليهما جوّالا، و قيل: كنى عن شدّة الأمر بالسّاق اى اتاه اوّل شدّة امر الآخرة و آخر شدّة امر الدّنيا، فالنّاس يجهزون جسده و الملائكة يجهزون روحه فاجتمع عليه أمران شديدان.
و قال ابن عطاء: اجتمع عليه شدّة مفارقة الوطن من الدّنيا و الاهل و الولد و شدّة القدوم على ربّه عزّ و جلّ، لا يدرى بماذا يقدم عليه لذلك. قال عثمان: ما رأيت منظرا الّا و القبر افظع منه لانّه آخر منازل الدّنيا و اوّل منازل الآخرة. و قال يحيى بن معاذ: اذا دخل الميّت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك و احد عند رأسه و الثّاني عند رجله. و الثّالث عن يمينه و الرّابع عن يساره، فيقول الّذى عند رأسه: يا بن آدم ارفضّت الآجال و انضيت الآمال، ارفضّت، اى تفرّقت و انضيت، اى هزلت و يقول الّذى عن يمينه: ذهبت الاموال و بقيت الاعمال و يقول الّذى عن يساره: ذهب الاشغال و بقى الوبال و يقول الّذى عند رجليه: طوبى لك ان كان كسبك من الحلال و كنت مشتغلا بخدمة ذى الجلال.
إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ اى مرجع العباد الى حيث امر اللَّه امّا الى جنّة و امّا الى نار و امّا الى علّيّين و امّا الى سجّين، و قيل: تسوق الملائكة روحه الى حيث امرهم اللَّه.
فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى نزلت في ابى جهل و لا بمعنى لم، اى لم يصدّق بكتاب اللَّه و لا بنبيّه و لم يصل للَّه عبادة، و قيل: هو من التّصدّق. و قال الحسن: هو من الصّدقة و حسن دخول لا على الماضى تكراره، كما تقول: لا قام و لا قعد و قلّما تقول العرب لا وحدها حتّى تتبعها اخرى تقول: لا زيد في الدّار و لا عمرو.
وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى اى كذّب باللّه و اعرض عن الايمان و الطّاعة له.
ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى اى مضى يتبختر و يختال في مشيه حين وعظه النّبي (ص) بالقرآن. يتمطّى اصله يتمطّط اى يتمدّد و المطّ هو المدّ و يقال: اصله من المطا، اى يلوى مطاه تبخترا و في الخبر اذا مشيتم المطيطاء يعنى التّبختر و الخيلاء و خدمتكم فارس و الرّوم فقد اقتربت السّاعة.
قوله: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى هى كلمة تهديد و وعيد يقال للمشرف على الهلكة، روى انّ رسول اللَّه (ص) لقى ابا جهل فاخذ ببعض جسده و قال له: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى فنزل به القرآن
و روى انّ ابا جهل قال: أ تخوّفنى يا محمد؟ و اللَّه ما تستطيع انت و لا ربّك ان تفعلا بى شيئا و انّى لا عزّ من مشى بين جبليها فلمّا كان يوم بدر صرعه اللَّه شرّ مصرع و قتله اسوأ قتل، اقصعه ابنا عفراء،

و اجهز عليه ابن مسعود
و كان نبىّ اللَّه (ص) يقول: «انّ لكلّ امّة فرعونا و انّ فرعون هذه الامّة ابو جهل».
و اصل الكلمة من الولى و هو القرب تأويله ما ربحك ما تكره فاحذره، و التّكرار تأكيد للوعيد و قيل: معناه انّك اجدر بهذا العذاب و احقّ و اولى، يقال للرّجل يصيبه مكروه و يستوجبه. و قيل: معناه الويل لك حين تحيى و الويل لك حين تموت و الويل لك حين تبعث و الويل لك حين تدخل النّار. قالت الخنساء:

همّمت بنفسى بعض الهموم فاولى لنفسى اولى لها

أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ يعنى ابا جهل أَنْ يُتْرَكَ سُدىً اى مهملا لا يؤمر و لا ينهى و لا يبعث و لا يجازى بعمله، و قيل: أ يظنّ انّه لا يعاقب على معاصيه و كفره و ايذاء الرّسول (ص) و المؤمنين، و قال الحسن: يُتْرَكَ سُدىً اى سرمدا في الدّنيا دائما لا يموت. الاسداء: من الاضداد. يقال اسدى الىّ معروفا و في الخبر من اسدى اليه معروف فليكافئه فان لم يستطع فليشكره. و تقول: اسديت حاجتى و شدّيتها، اى اهملتها و لم تقضها.
أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى اى يصبّ في الرّحم. قرأ ابو عمرو و حفص و يعقوب بالياء لاجل المنيّ و قرأ الآخرون بالتّاء لاجل النّطفة.
ثُمَّ كانَ عَلَقَةً اى صار المنىّ قطعة دم جامد بعد اربعين يوما. فَخَلَقَ فَسَوَّى خلقه في الرّحم فجعل منه الزّوجين، اى خلق من مائه اولادا ذكورا و اناثا، أَ لَيْسَ ذلِكَ الّذى فعل هذا بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى.
روى: انّ رسول اللَّه (ص) كان يقول عند قراءة هذه الآية: بلى و اللَّه بلى و اللَّه.
و روى عن ابن عباس قال: من قرأ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى اماما كان او غيره، فليقل: سبحان ربّى الاعلى. و من قرأ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ فاذا انتهى آخرها، فليقل: سبحانك اللّهم و بلى اماما كان او غيره.
و عن ابى هريرة قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ منكم وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ فانتهى الى آخرها «أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ» فليقل: بلى و انا على ذلك من الشّاهدين. و من قرأ: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ فانتهى الى أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى فليقل: سبحانك بلى و من قرأ: وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فبلغ «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» فليقل: «آمنّا باللّه».
النوبة الثالثة
قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اسم جليل، جلاله بلا اشكال و جماله لا على احتذاء و مثال، و افعاله لا باغراض و اعتلال، و قدرته لا بجلادة و احتيال و علمه لا بضرورة و استدلال، فهو الّذى لم يزل و لا يزال، و لا يجوز عليه الفناء و الزّوال. عزيز صمدىّ الذّات، قديم سرمدىّ الصّفات، مرئىّ الذّات بالابصار، نعمة منه و لطفا بالابرار في دار القرار:

تعاليت معبودا، تعاليت قاهرا تعاليت قدّوسا، تعاليت خالقا
تعاليت من ربّ رفيع مكانه تعاليت رزّاقا وسعت الخلائقا
تعاليت اوسعت البريّة برّها و فاجرها رزقا تعاليت رازقا

بنام او كه عالى ذات است و صافى صفات، مقدّس و منزّه از بنين و بنات، كاشف الظّلمات، ساتر السيّئات، مجيب الدّعوات، مقيل العثرات، خالق الارض و السّماوات، رازق الوحوش و الحشرات:

اى زهر غم تو در دلم آب حيات و اى عشوه عشق تو مرا راه نجات
گفتى: ببرم جان تو اى حور صفات؟ جان از تو مرا دريغ باشد؟ هيهات!

لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ ربّ العالمين قسم ياد ميكند بروز رستاخيز، آن روز كه سرادقات استحقاق ربوبيّت باز كشند و بساط جلال و عظمت بگسترانند، و علم جبّارى بصحراء قهّارى برون آرند ايوان كبريا بر كشيده، ميزان عدل در آويخته، و سياست جبروت عزّت همه را مدهوش و بيهوش كرده انبيا با كمال حال خود ميآيند و حديث علم خود در باقى كرده كه: «لا عِلْمَ لَنا»، ملائكه ملكوت ميآيند و صومعه‌هاى عبادت خود آتش در زده كه: «ما عبدناك حقّ عبادتك»

عارفان و موحّدان می‌آیند و از معرفت خود بیزار گشته که: «ما عرفناك حقّ معرفتك».
ای بزرگا حسرتا اگر آن روز فضل او ترا دست نگیرد. ای عظیما: مصیبتا اگر در آن مجمع کرم او ترا فریاد نرسد. اگر عنایات او دستگیر نبود، از طاعت تو چه آید؟ ور عدل او روی نماید هلاك از تو برآید.
پیر طریقت گفت: «الهی دانی که نه بخود باین روزم و نه بکفایت خویش شمع هدایت میافروزم، از من چه آید و از کرد من چه گشاید؟ طاعت من بتوفیق تو، خدمت من بهدایت تو، توبه من برعایت تو، شکر من بانعام تو، ذکر من بالهام تو، همه تویی من که ام اگر فضل تو نباشد، من بر چه ام؟! وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ از اقوال مفسّران یکی آنست که: نفس لوّامه نفس بنده مومن است که پیوسته بروزگار خود تحسّر میخورد و بر تقصیرها خود را ملامت میکند و خویشتن را می‌ترساند و بیم میدهد و بچشم حقارت و مذلّت در خود می‌نگرد و میگوید:

ای نفس خسیس همّت سودایی	بر هر سنگی که بر زنم قلب آیی!

ای در راه طلب حقّ باوّل قدم فرو مانده، ای با هزار مرکب میان بادیه تکلیف منقطع شده، ای با هزار شمع و چراغ سر یك موی دولت نادیده، ای در خزانه تبّت افتاده و بوی مشك بمشامت نارسیده، ای با همه غوّاصان بدریا فرو شده و هیچ چیز بدست نیاورده و خویشتن را نیز از دست بداده. ای دیر آمده و زود بازگشته، ای بجای شراب سرور سراب غرور خریده و دل و دین ببها داده «اسْتَحَبُّوا الْحَیاةَ الدُّنْیا عَلَی الْآخِرَةِ»:

سوف تری اذا انجلی الغبار	أ فرس تحتك ام حمار
تا کی از دار الغروری سوختن دار السّرور	تا کی از دار الفراری ساختن دار القرار
باش تا از صدمه صور سرافیلی شود	صورت خوبت نهان و سیرت زشت آشکار
یك تپانچه شیر و، زین مردار خواران یك جهان	ك صدای صور و، زین فرعون طبعان صد هزار.

بزرگی را پرسیدند: که راه از کدام جانب است؟ گفت: از جانب تو نیست، چون از تو درگذشت از همه جانبها را هست. روزی نگذرد که نه از عالم بینهایت این ندا می‌آید که: ای ما ترا خواسته و تو روی از ما بگردانیده، ای ما ترا بامداد و شبانگاه با دولت صحبت خوانده و تو قدم از کوی ما باز گرفته، ناگزیرت مائیم، با ما بنسازی با که سازی؟! اگر پیل نتوانی بود، باری از پشه‌ای کم مباش که در صورت پیل است، گوید: اگر بقوّت پیل نیستم که باری کشم، باری بصورت پیلم که بار خویش بر کس نیفکنم. چون بنده مؤمن نفس لوّامه را بریاضت در کشد و حقّ وی از روی عتاب و نصیحت بتمامی در کنار وی نهد و توفیق او را مدد دهد، عن قریب آن نفس لوّامه نفس مطمئنّه گردد تا خطاب ربّانی بنعت اکرام و اعزاز او را استقبال کند که: «یا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلی رَبِّكِ» ای نفس مطمئنّه و بصحبت ما آرامیده و آسوده، تا امروز از راه نفس آمدی اکنون از راه دل در آی تا بما رسی. بر درگاه ما دل را بارست و نیز هیچ چیز دیگر را بار نیست:

خون صدّیقان بپالودند و زان ره ساختند	جز بدل رفتن در آن ره یك قدم را بار نیست.

آن گه چون بما رسیدی این خلعت یابی که: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلی رَبِّها ناظِرَةٌ مثل بنده مؤمن مثل بازست. باز را چون بگیرند و خواهند که شایسته دست شاه گردد مدّتی چشم او بدوزند، بندی بر پایش نهند، در خانه‌ای تاریك باز دارند، از جفتش جدا کنند، یك چندی بگرسنگیش مبتلا کنند تا ضعیف و نحیف گردد و وطن خویش فراموش کند و طبع گذاشتگی دست بدارد. آن گه بعاقبت چشمش بگشایند، شمعی پیش وی بیفروزند، طبلی از بهر وی بزنند، طعمه گوشت پیش وی نهند، دست شاه مقرّ وی سازند. با خود گوید: در کلّ عالم کرا بود این کرامت که مراست؟ شمع پیش دیده من، آواز طبل نوای من، گوشت مرغ طعمه من، دست شاه جای من! بر مثال این حال چون خواهند که بنده مؤمن را حلّه

خلّت پوشانند و شراب محبّت نوشانند، با وی همین معامله کنند. مدّتی در چهار دیوار لحد باز دارند، گیرایی از دست و روایی از پای بستانند، بینایی از دیده بردارند، روزگاری برین صفت بگذارند آن گه ناگاه طبل قیامت بزنند، بنده از خاك لحد سر برآرد، چشم بگشاید، نور بهشت بیند. «يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» دنیا فراموش کند، شراب وصل نوش کند، بر مائده خلد بنشیند چنان که آن باز چشم باز کند خود را بر دست شاه بیند، بنده مؤمن چشم باز کند، خود را بمقعد صدق بیند سلام ملك شنود، دیدار ملك بیند. بنده میان طوبی و زلفی و حسنی شادان و نازان، در جلال و جمال حقّ نگران. اینست که ربّ العالمین فرمود: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ رویهای مؤمنان و مطیعان، رویهای صدّیقان و شهیدان، رویهای عاشقان و مشتاقان چون ماه درفشان، چون آفتاب رخشان، شادان و نازان می‌نگرند بخداوند جهانیان، نوازنده دوستان، و دلگشای مشتاقان. خوش روزی که روز وصالست، شادی آن روز بی پایانست، دولت آن روز بیکرانست. روز برّ و افضال، روز عطا و نوال، روز نظر ذو الجلال، روز شادی و پیروزی، رهی باقی و مولی ساقی، و از جناب کرم ندای کرامت روان، که: «الدّار دارکم و انا جارکم».
پیر طریقت گفت: «بهره عارف در بهشت سه چیز است: سماع و شراب و دیدار. سماع را گفت: «فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ»، شراب را گفت: «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً». دیدار را گفت: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ سماع بهره گوش، شراب بهره لب، دیدار بهره دیده. سماع واجدان را، شراب عاشقان را، دیدار محبّان را. سماع طرب فزاید، شراب زبان گشاید، دیدار صفت رباید.
سماع مطلوب نقد کند، شراب راز جلوه کند، دیدار عارف را فرد کند. سماع را هفت اندام رهی. گوش چون ساقی اوست، شراب همه نوش، دیدار را زیر هر مویی دیده‌ای روش.

76- سورة الانسان (الدهر)- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان.

هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ باش ورآمد بر مردم حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ هنگامى از گيتى لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (1) كه او چيزى ياد كرده و ياد كردنى نبود.

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ بيافريديم ما اين مردم را مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ از نطفه‌اى آميخته نَبْتَلِيهِ ما مى‌آزمائيم او را فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً (2) او را شنوايى بينا كرديم.

إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ ما راه نموديم مردم را و بر راه داشتيم. إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً (3) هر يكى را راهى نموديم، از دو راه، يا سپاس دار يا ناسپاس.

إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ ساختيم ما كافران را سَلاسِلَ وَ أَغْلالًا وَ سَعِيراً (4) زنجيرها و غلها و آتش.

إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ نيكان و مهربانان مى‌آشامند مِنْ كَأْسٍ از جامى كانَ مِزاجُها كافُوراً (5). جامى كه آميغ آن كافور است.

عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ از چشمه‌اى كه مى‌آشامند از آن بندگان اللَّه يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً (6) مى‌روانند آن روانيدنى.

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ پذيرفته‌ها و در دل كرده‌ها ميگزارند وَ يَخافُونَ يَوْماً و مى‌ترسند از روزى كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (7) كه بد آن روز هر جايى و بهر كسى رسد.

وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ و طعام دهند در وقت نياز و تنگى مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً (8) درويش را، و بى پدر را، و زندانى و گرفتار را. إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ: شما را كه طعام ميدهيم از بهر خدا ميدهيم، اميد ديدار و پاداش او را. لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً (9): از شما پاداش نمى‌خواهيم و نه سپاس دارى و نه باز گفت.

إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا ما مى‌ترسيم از خداوند خويش يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (10) در روزى ترش صعب سخت.

فَوَقاهُمُ اللَّهُ باز داشت اللَّه ازيشان شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ بد آن روز وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً (11) و ايشان را داد تازگى روى و شادى دل.

وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا و پاداش داد ايشان را بشكيبايى كه مى‌كردند جَنَّةً وَ حَرِيراً (12) بهشت و جامه حرير.

مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ تكيه زدگان در آن بهشت بر حجله‌ها لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً (13) نه آفتاب بينند در آن و نه سرما.

وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها نزديك بايشان سايه‌هاى آن وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا (14) و چيدن ميوه‌ها دستها را نزديك و آسان.

وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ و مى‌گردانند بر سرهاى ايشان بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ پيرايه‌هاى سيمين وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا (15) و پيرايه‌ها از آبگينه.

قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ آبگينه‌هايى كه گويى سيم است قَدَّرُوها تَقْدِيراً (16) بايست ايشان بر اندازه شراب راست كرده‌اند.

وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً مى‌آشامانند ايشان را مى از جام كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا (17) آميغ آن مى‌زنجبيل است.

عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18) چشمه‌اى است در بهشت كه آن را سلسبيل خوانند.

وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ و بخدمت مى‌گردد بر ايشان وِلْدانٌ غلامانى چون كودكان نوزاد مُخَلَّدُونَ آراستگان جاويد جوان إِذا رَأَيْتَهُمْ چون ايشان را بينى حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً پندارى كه مرواريداند شطره گسسته و در بهشت پراكنده.

وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ و چون بينى آنجا رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً (20) ناز بينى و پادشاهى جاويد.

عالِيَهُمْ زورين جامه ايشان ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ جامه‌هاى سندس سبز وَ إِسْتَبْرَقٌ و ديباى ستبر وَ حُلُّوا

أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ و زيور كنند برايشان دستينه هاى سيمين وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ و آشامانند ايشان را خداوند ايشان شَراباً طَهُوراً (21) شرابى پاك.
إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً اين شما را پاداش است وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (22) و رنج كه مى‌برديد پذيرفته و پسنديده و اين پاداش سپاسدارى آن.
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) ما كه مائيم، فرو فرستاديم بر تو اين قرآن فرو فرستادنى.
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ شكيبايى كن داورى كردنى خداوند خويش را بنام او وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (24) و ازيشان نه بزه‌كار دروغ زن را فرمان بر، و نه ناسپاس ناگرويده را.
وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ و ياد كن خداوند خويش را بنام او بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (25) بامداد و شبانگاه.
وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ و از شب لختى نماز كن او را وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26) و شبهاى دراز او را پرست و ستاى.
إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ ايشان اين جهان شتابنده را دوست مى‌دارند وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا (27) و پيش خويش را روزى گران مى‌گذارند فراموش كرده.
نَحْنُ خَلَقْناهُمْ ما آفريديم ايشان را وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ و آفرينش ايشان سخت ببستيم تا آفرينش و اندامان بر جاى مى‌بود. وَ إِذا شِئْنا و اگر خواهيم بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلًا (28) ايشان را بچون ايشان جز از ايشان بدل كنيم.
إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ اين پيغام ياد كردى است فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) تا هر كه خواهد بسوى خداوند خويش راهى گيرد.
وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ و نخواهيد مگر كه اللَّه خواهد إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (30) اللَّه دانايى است راست دانش راستكار.
يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ مى‌در آرد او را كه خواهد در بخشايش خويش وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (31) و ستمكاران را ساخت عذابى درد نماى.

النوبة الثانية

اين سوره هزار و پنجاه و چهار حرفست. دويست و چهل كلمت، سى و يك آيت.
مجاهد و قتاده گفتند: اين سوره مدنى است، به مدينه فرو آمده. عطا گفت: مكّى است به مكه فرو آمده.
حسن گفت و عكرمه: يك آيه ازين سوره به مكه فرو آمد: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً و باقى به مدينه فرو آمد. قومى گفتند: از اوّل سوره تا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ به مكه فرو آمد و باقى به مدينه و درين سوره سه آيت منسوخ است: اطعام اسير المشركين منسوخ بآية السّيف. فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ معنى الصّبر منسوخ بآية السّيف. فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا منسوخ بقوله: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ. و عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على اللَّه جنّة و حريرا
قوله: هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ هذا استفهام تقرير و المعنى: الم يأت، و قيل: هَلْ هاهنا بمعنى قد، و هى كلمة توضع موضع التّقرير كما تقول لانسان قد كافاته على جناية هل وفّيتك ما تستحقّه؟، نظيره قوله: هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ. و «الْإِنْسانِ» آدم (ع). حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ اى قد أتى عليه زمان من الدّهر لم يكن له ذكر و ان كان شيئا لانّه كان ترابا و طينا اوّلا لا يذكر و لا يعرف و لا يدرى ما اسمه و لا ما يراد به ثمّ نفخ فيه الرّوح فصار مذكورا للخلق و الملائكة معروفا لهم.
روى في التّفسير: انّ آدم كان مطروحا بين مكة و الطائف جسدا لا روح فيه اربعين سنة، ثمّ من حماء مسنون اربعين سنة، ثمّ من صلصال اربعين سنة، ثمّ خلقه بعد مائة و عشرين سنة.
و روى انّ عمر سمع رجلا يقرأ هذه الآية: لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً فقال عمر: ليتها تمّت، يريد ليته بقى على ما كان. و قيل: الانسان بنو آدم، و الحين مدّة لبثه في بطن امّه تسعة اشهر الى ان صار شيئا مذكورا. و يحتمل انّ «الانسان» عامّ و حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ زمان، فترة الرّسل بعد عيسى (ع). لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً اى لم يذكروا يوحى و لا بعث اليهم رسول في تلك المدّة.
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ يعنى: اولاد آدم مِنْ نُطْفَةٍ اى منّى الرّجل و منّى المرأة «امشاج» اخلاط يعنى: ماء

الرّجل و ماء المرأة يختلطان في الرّحم فيكون منهما الولد فماء الرّجل ابيض غليظ و ماء المرأة اصفر رقيق، فايّهما علا صاحبه كان الشّبه له.
و ما كان من عصب و عظم فمن نطفة الرّجل و ما كان من لحم و دم فمن ماء المرأة. و في الخبر: «ما من مولود الّا و قد ذرّ على نطفته من تربة حفرته كلّ واحد منهما مشيج بالآخر.
و «أَمْشاجٍ» جمع مشيج، و قيل: جمع مشج يقال: مشجت الشّىء اى خلطته.
و وصف النّطفة بالامشاج و هي جمع لانّ النّطفة في معنى النّطف، كما انّ الانسان في معنى الانس، لانّهما جميعا من اسماء الاجناس. و قال ابن مسعود: الامشاج: العروق الّتى ترى في النّطفة. و قال الحسن: من نطفة مشجت بدم و هو دم الحيضة، فاذا حبلت ارتفع الحيض. و قال قتادة هى اطوار الخلق نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظما ثمّ يكسوه لحما ثمّ ينشئه خلقا آخر. و قال ابن عيسى: الامشاج الاخلاط من الطّبائع الّتى ركب عليها الحيوان من الحرارة و البرودة و الرّطوبة و اليبوسة. «نَبْتَلِيهِ» اى نختبره بالأمر و النّهى. و قيل: فيه تقديم و تأخير اى فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً، لنبتليه لانّ الابتلاء لا يقع الّا بعد تمام الخلقة، و اللَّه عزّ و جلّ يبتلى ليخرج ما علم من عبده فيراه و يريه.
إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ اى بيّنّا له سبيل الحقّ و الباطل و الهدى و الضّلالة و عرفناه طريق الخير و الشّرّ. كقوله: وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ. إِمَّا شاكِراً بتوفيقنا ايّاه وَ إِمَّا كَفُوراً بخذلاننا ايّاه، اى خلقناه شقيّا او سعيدا على ما اردناه.
و قيل: معنى الكلام الجزاء، يعنى: بيّنّا لهم الطّريق ان شكرا و كفر و الشّاكر المؤمن، شكر المنعم نعمته فعبده و الكفور: الكافر كفر المنعم نعمته فعبد غيره. و الشّكر في القرآن بمعنى الايمان كثير، و الكفران بمعنى الكفر كثير، و هو صريح في قوله تعالى: إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ الى قوله: يَرْضَهُ لَكُمْ ثمّ بيّن ما للفريقين. فقال: إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ يعنى: في جهنّم كلّ سلسلة سبعون ذراعا.
قرأ نافع و الكسائى و ابو بكر عن عاصم: «سلاسلا» و «قواريرا» قواريرا كلهنّ باثبات الالف في الوقف و بالتّنوين في الوصل. و قرأ ابن كثير: «قوارير الاولى بالالف في الوقف و لا تنوين في الوصل و سلاسل و قوارير الثّانية بلا الف و لا تنوين. و قرأ ابو عمرو و ابن عامر و حفص: سلاسلا و قوارير الاولى بالالف في الوقف و بغير تنوين في الوصل و قوارير الثّانية بغير الف و لا تنوين وَ «أَغْلالًا» جمع غلّ و هو القيد الّذى يجمع اليمين و العنق «وَ سَعِيراً» نار موقدة.
إِنَّ الْأَبْرارَ يعنى: المؤمنين الصّادقين في ايمانهم، المطيعين لربّهم، و احدهم بارّ، مثل شاهد و اشهاد و ناصر و انصار، و برّ ايضا مثل نهر و انهار «يَشْرَبُونَ» في الآخرة «مِنْ كَأْسٍ» فيه شراب، اى خمر يأخذونها «كأسا» و يردّونها اناء كانَ مِزاجُها كافُوراً اى يمزج لهم بالكافور لبرده و عذوبته و طيب عرفه. و قيل: يخلط برائحة الكافور و يختم بالمسك. و قال اهل المعانى: اراد كالكافور في بياضه و طيب ريحه و برده، لانّ الكافور لا يشرب كقوله: «حَتَّى إِذا جَعَلَهُ ناراً» اى كنار و قال ابن كيسان: طيبت بالكافور و المسك و الزّنجبيل. و قال الواسطى: لمّا اختلفت احوالهم في الدّنيا اختلف اشربتهم في الآخرة. و كأس الكافور برّدت الدّنيا في صدورهم و قوله: «عَيْناً» نصب على البدل من الكافور. و قيل: نصب على الحال، و قيل: نصب على المدح. و قيل: من عين. و قوله: «بها» الباء زيادة وصلة، اى يشربها. و قيل الباء بمعنى: من، اى يشرب منها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً اى يشقّقونها في جنانهم و منازلهم و يقودونها حيث شاؤا من قصورهم و غرفهم، كمن يكون له نهر في الدّنيا يفجرها هنا و هاهنا الى حيث يريد. و قيل: هى عين في دار النّبي (ص) تفجر الى دور الانبياء عليهم السّلام و المؤمنين، ثمّ وصف هؤلاء و ذكر حالهم في الدّنيا فقال تعالى: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ قال قتادة. يعنى: بما فرض اللَّه تعالى عليهم من الصّلاة و الزّكاة و الحجّ و غيرها من الواجبات. و قال مجاهد و عكرمة: اذ انذروا في طاعة اللَّه و فوا به. و في الخبر عن رسول اللَّه (ص) قال: «من نذر ان يطيع اللَّه فليطعه و من نذر ان يعصى اللَّه فلا يعصه»
و نهى رسول اللَّه (ص) عن النّذر و امر بالوفاء به و معنى النّذر الايجاب. وَ يَخافُونَ يَوْماً اى عقوبة يوم كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً اى فاشيا ممتدّا منتشرا و هو يوم القيامة يقال استطار الصّبح اذا امتدّ و انتشر. قال مقاتل: كان شرّه فاشيا في السّماوات فانشقّت و تناثرت الكواكب و كوّرت الشّمس و القمر و فزعة الملائكة، و في الارض نسفت الجبال و غارت المياه و تكسر كلّ شىء على الارض من جبل و بناء.

وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ اى على حبّهم ايّاه و حاجتهم اليه في حال الضّيق و الجوع و قلّة الطّعام. و قيل: على حبّ الاطعام. و قيل: على حبّ اللَّه عزّ و جلّ مسكينا فقيرا لا مال له، و يتيما صغيرا لا اب له، و اسيرا. قال مجاهد و سعيد بن جبير و عطا: هو المسجون من اهل القبلة يحبس في حقّ و قال قتادة: امر اللَّه بالاسراء ان يحسن اليهم و ان اسراءهم يومئذ لاهل الشّرك، فاخوك المسلم احقّ ان تطعمه. و قيل: الاسير: المملوك. و قيل: المرأة
لقول النّبي (ص) اتّقوا اللَّه في النّساء فانّهنّ عندكم عوان.
ابن عباس گفت: اين آيت در شأن امير المؤمنين على (ع) فرو آمد و خاندان وى، و سبب آن بود كه حسن و حسين عليهما السّلام هر دو بيمار شدند، رسول خدا (ص) بعيادت ايشان شد، با جمعى ياران، گفتند: «يا با الحسن لو نذرت على ولديك نذرا» اگر نذرى كنى بر اميد عافيت و شفاى فرزندان مگر صواب باشد. على (ع) نذر كرد كه اگر فرزندان مرا ازين بيمارى شفا آيد و عافيت بود، شكر آن را سه روز روزه دارم، تقرّبا الى اللَّه عزّ و جلّ و طلبا لمرضاته. فاطمة زهرا عليها السّلام.
همين كرد، سه روز روزه نذر بر خود واجب كرد، كنيزكى داشتند نام وى فضّه بر موافقت ايشان همين نذر كرد ان برأ سيّد اى ممّا بهما صمت للَّه ثلاثة ايّام شكرا. پس ربّ العالمين ايشان را عافيت و صحّت داد، و ايشان بوفاء نذر باز آمدند و روزه داشتند، و در خانه ايشان هيچ طعام نه كه روزه گشايند. على مرتضى (ع) از جهودى خيبرى، نام وى شمعون قرض خواست. آن جهود سه صاع جو بقرض بوى داد.
فاطمه زهرا عليها السّلام از آن جو يك صاع بآسيا دست آرد كرد و پنج قرص از آن بپخت. وقت افطار فرا پيش نهادند تا خورند. مسكينى فرا در سراى آمد آن ساعت و گفت: السّلام عليكم يا اهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم اللَّه من موائد الجنّة. سخن درويش بسمع على (ع) رسيد، على (ع) روى فرا فاطمه عليهما السّلام كرد، گفت:

فاطم ذات المجد و اليقين / يا بنة خير النّاس اجمعين
اما ترين البائس المسكين / قد قام بالباب له حنين
يشكو الى اللَّه و يستكين / يشكو الينا جائع حزين

فاطمه عليها السّلام او را جواب داد:

امرك يا بن عمّ سمع طاعة / ما بى من لوم و لا ضراعة
ارجو اذا اشبعت ذا مجاعة / الحق بالاخيار و الجماعة

و ادخل الخلد و لى شفاعة آن گه طعام كه پيش نهاده بود، جمله بدرويش دادند، و بر گرسنگى صبر كردند تا ديگر روز فاطمه عليها السّلام صاعى ديگر جو آرد كرد و از آن نان پخت.
چون شب در آمد، وقت افطار در پيش نهادند، يتيمى از اولاد مهاجران بر در بايستاد.
گفت: السّلام عليكم يا اهل بيت محمد (ص)، يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدى يوم العقبة اطعمونى اطعمكم اللَّه من موائد الجنّة. على چون سخن آن يتيم شنيد، روى فرا فاطمه كرد عليهما السّلام گفت:

فاطم بنت السّيّد الكريم / قد جاءنا اللَّه بذا اليتيم
من يرحم اليوم فهو رحيم / موعده في جنّة النّعيم

فاطمه عليها السّلام جواب داد:

انّى لاعطيه و لا ابالى / و اوثر اللَّه على عيالى
امسوا جياعا و هم اشبالى / اصغرهم يقتل في القتال.

هم چنان طعام كه در پيش بود، جمله بيتيم دادند و خود گرسنه خفتند ديگر روز آن صاع كه مانده بود، فاطمه عليها السّلام آن را آرد كرد و بنان پخت و بوقت خوردن اسيرى بر در سراى بايستاد

گفت: السّلام عليكم يا اهل بيت النّبوّة اطعمونى اطعمكم اللَّه من موائد الجنّة. آن طعام باسير دادند، سه روز بگذشت كه اهل بيت على (ع) هيچ طعام نخوردند و بر گرسنگى صبر كردند و آن ما حضر كه بود ايثار كردند، مرد درويش را و يتيم را و اسير را، تا ربّ العالمين در شأن ايشان آيت فرستاد: وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً.
قوله: إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ هذه حكاية عن عقود القلب و النّيّات، و القول هاهنا مضمر، يعنى: و يقولون في انفسهم إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ اى لطلب ثوابه و لرؤيته لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً اى مكافاة «وَ لا شُكُوراً» اى شكرا، يعنى: و لا ان يثنى به علينا. الشّكور مصدر كالعقود و الدّخول و الخروج. قال مجاهد و سعيد بن جبير: انّهم لم يتكلّموا به و لكن علم اللَّه ذلك من قلوبهم فاثنى عليهم.
إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً اى عقوبة يوما «عَبُوساً» اى ضيّقا كريها تعبس فيه الوجوه من هوله و شدّته و نسب العبوس الى اليوم كما يقال: يوم صائم و ليل نائم، و قيل: وصف اليوم بالعبوس ممّا فيه من الشّدّة. «قَمْطَرِيراً» شديدا غليظا اشدّ ما يكون من الايّام و اطوله في البلاء. سئل الحسن عن القمطرير، فقال: سبحان اللَّه ما اشدّ اسمه و هو اشدّ من اسمه و قيل: العبوس و القمطرير كلاهما من صفة وجه الانسان في ذلك اليوم العبوس بالشّفتين و القمطرير بقبض الجبهة و الحاجبين.
فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ يعنى الّذين يخافون وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً اى اعطاهم «نَضْرَةً» في وجوههم وَ «سُرُوراً» في قلوبهم.
وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا على طاعة اللَّه و اجتناب معاصيه و قيل: على ما صبروا على الفقر و الصّوم و الجوع. و في الخبر سئل رسول اللَّه (ص) عن الصّبر. فقال: «الصّبر اربعة: اوّلها الصّبر عند الصّدقة الاولى، و الصّبر على اداء الفريضة، و الصّبر على اجتناب محارم اللَّه، و الصّبر على المصائب»
قوله: جَنَّةً وَ حَرِيراً قال الحسن: ادخلهم الجنّة و البسهم الحرير. كقوله: «وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ». و قيل: حرير الجنّة اوراق الاشجار. و قيل: الحرير كناية عن لين العيش.
مُتَّكِئِينَ فِيها اى في الجنّة عَلَى الْأَرائِكِ اى على السّرور في الحجال و لا يكون اريكة الّا اذا اجتمعا. قال مقاتل: الارائك السّرور في الحجال من الدّر و الياقوت موضونة بقضبان الذّهب و الفضّة و الوان الجواهر. و قيل: الاريكة ما يتّكاء عليه لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً اى قيظا و لا شتاء. قال قتادة: علم اللَّه سبحانه انّ شدّة الحرّ يوذى و شدّة البرد يوذى. فَوَقاهُمُ اللَّهُ اذيهما جميعا.
و قال مقاتل: الزّمهرير: شيء مثل رؤس الإبر ينزل من السّماء في غاية البرد، و في الخبر عن النّبي (ص) قال: اشتكت النّار الى ربّها فقالت أكل بعضى بعضا، فنفّسى فاذن لها في كلّ عامّ بنفسين نفس في الشّتاء و نفس في الصّيف، فاشدّ ما تجدون من البرد من زمهرير جهنّم و اشدّ ما تجدون من الحرّ من حرّها.
روى عن ابن عباس قال: فبينا اهل الجنّة في الجنّة اذا رأوا ضوء كضوء الشّمس و قد اشرقت الجنان لها فيقول اهل الجنّة: يا رضوان قال ربّنا عزّ و جلّ: لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً فيقول لهم رضوان: ليست هذه بشمس و لا قمر و لكن هذه فاطمة و علىّ ضحكا ضحكا اشرقت الجنان من نور ضحكهما
و فيهما انزل اللَّه تعالى: هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ الى قوله: وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً.
وَ دانِيَةً منصوب عطفا على قوله: مُتَّكِئِينَ. و قوله: عَلَيْهِمْ ظِلالُها اى قربت اشجار الجنّة منهم حتّى صارت كالمظلّة عليهم و ان لم يكن هناك شمس وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا اى ادنيت ثمارها لهم يتمكّنون من قطافها على الحال الّتى هم عليها قياما و قعودا و مضطجعين تدنّى. اليهم. قال مجاهد: ارضى ارض الجنّة من و رق و ترابها المسك و اصول شجرها ذهب و افنانها لؤلؤ و زبرجد و ياقوت و الثّمر تحت ذلك، فمن أكل قائما لم يوذه و من أكل قاعدا لم يوذه و من أكل مضطجعا لم يوذه فذلك قوله عزّ و جلّ: وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا.
وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ اى يدير عليهم خدمهم كؤس الشّراب و هى من فضّة و قيل: اوانى بيوتهم من فضّة. وَ أَكْوابٍ جمع كوب و هو الإبريق لا عروة له، و قال مجاهد: هى الاقداح كانَتْ قَوارِيرَا قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ اى لها بياض الفضّة و صفاء القوارير، يرى ما في داخلها من خارجها و الاختيار ترك الصّرف في قوارير و من صرف الاوّل فلكونه رأس آية مرافقة للآيات الّتى تقدّمت و تأخّرت، و

من صرف الثّاني ايضا فقد اتّبع اللّفظ اللّفظ على عادة العرب كقولهم: جحر ضب خرب. قوله: قَدَّرُوها تَقْدِيراً اى جعلت الاكواب على قدر ربّهم، اى لا تزيد على مقدار شربهم و لا تنقص، اى قدّرها لهم السّقاة و الخدم الّذين يطوفون عليهم يقدّرونها، ثمّ يُسْقَوْنَ و قيل: قدّروا في انفسهم شيئا و تمنّوه فكان كما تمنّوه.
وَ يُسْقَوْنَ فِيها اى في الجنّة كَأْساً من خمر كان مِزاجُها زَنْجَبِيلًا يشوّق و يطرب و الزّنجبيل ممّا كانت العرب تستطيبه جدّا فوعدهم اللَّه تعالى: انّهم يسقون في الجنّة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنّة، و لا يشبه زنجبيل الجنّة زنجبيل الدّنيا، زنجبيل الجنّة لا مرارة فيها و لا عفوصة.
قال ابن عباس: كلّ ما ذكر اللَّه في القرآن ممّا في الجنّة و سمّاه له في الدّنيا مثل. و قيل: هو عين في الجنّة يوجد منها طعم الزّنجبيل يشربها المقرّبون صرفا و تمزج لسائر اهل الجنّة. قال ابن عيسى اذا مزج الشّراب بالزّنجبيل فاق في الالذاذ عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا اى يسقون من عين في الجنّة تسمّى سلسبيلا» اى سلسلة منقادة لهم جديدة الجرية يصرّفونها حيث شاؤا. و قيل: طيّبة الطّعم و المذاق، تقول: هذا شراب سلسل و سلسلال و سلسبيل. قال مقاتل بن حيّان: سمّيت سلسبيلا لانّها تسيل عليهم في الطّرق و في منازلهم تنبع من اصل العرش من جنّة عدن الى اهل الجنان و شراب الجنّة على برد الكافور و طعم الزّنجبيل و ريح المسك و قال الزّجاج: سمّيت سلسبيلا لانّها في غاية السّلاسة تتسلسل في الحلق و معنى قوله: «تُسَمَّى» اى توصف لانّ اكثر العلماء على انّ سلسبيلا، صفة لا اسم و في تفسير ابن المبارك معناه: سل سبيلا اليها، اى سل اللَّه اليها سبيلا، فيحتمل ان تكون العين مسمّاة بهذه الجملة و يحتمل ان يكون الكلام قد تمّ على قوله «تُسَمَّى» اى تذكر ثمّ استأنف فقال: سل سبيلا و اتّصاله في المصحف لا يمنع صحّة هذا التّأويل لكثرة امثاله.
وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ اى غلمان ينشئهم اللَّه لخدمة المؤمنين و قيل: هم الاطفال لتسميتهم ولدانا من الولادة «مُخَلَّدُونَ» اى دائمون لا يموتون و لا يهرمون و قيل: «مُخَلَّدُونَ» اى محلّون عليهم الحلىّ مشتقّ من الخلدة و هي جماعة الحلىّ. و قيل: «مُخَلَّدُونَ»، مقرّطون مستورون. إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لبياضهم و حسنهم لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً و اللّؤلؤ اذا نثر من الخيط على البساط كان احسن منه منظوما، و قيل: انّما شبّهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة و لو كانوا صفّا لشبّهوا بالمنظوم، و قيل: معناه كانّهم خلقوا من اللّؤلؤ المنثور لصفاء الوانهم و رقّة ابدانهم.
و في التّفسير: ما من انسان من اهل الجنّة الّا و يخدمه الف غلام.
وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ يعنى: الجنّة رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً و قيل: معناه وَ إِذا رَأَيْتَ ببصرك الجنّة رأيت ثمّ نعيما لا يوصف و ملكا كبيرا يدوم و لا ينقطع ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه و قال مقاتل و الكلبى: هو انّ رسول ربّ العزّة من الملائكة لا يدخل عليه الّا باذنه. و قيل: الملك الكبير قوله: لهم ما يشاءون فيها.
عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ قرأ اهل المدينة و حمزة: عاليهم ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون رفعا بالابتداء و خبره ثِيابُ سُنْدُسٍ. و قرأ الآخرون بنصب الياء و ضمّ الهاء فيكون نصبا على الحال، اى يطوف عليهم ولدان و عليهم ثياب سندس فيكون حالا للولدان و يجوز ان يكون حالا للابرار. و قيل: عالِيَهُمْ اى فوقهم ثِيابُ سُنْدُسٍ فيكون منصوبا على الظّرف و السّندس من الدّيباج و الحرير ما رقّ و الاستبرق.
ما غلظ. قرأ نافع و حفص: خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ مرفوعين، عطفا على الثّياب. و قرأهما حمزة و الكسائى: مجرورين و قرأ ابن كثير و ابو بكر: خضر بالجرّ و استبرق بالرّفع، و قرأ ابو جعفر و اهل البصرة و الشّام: على ضدّه، فالرّفع على نعت الثّياب و الجرّ على نعت السّندس وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ يجوز ان يكون صفة للابرار و ان يكون صفة للولدان، و معناه: لبسوا في الجنّة أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ قيل: يوافق اسمه اسم الفضّة في الدّنيا و لكن عينه اجل من عين الفضّة الّتى في الدّنيا، و قال في موضع آخر: «أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ». قيل: الفضّة للخدم و الذّهب للمخدوم. و قيل: الفضّة للرّجال و الذّهب للنّساء، و قيل: يجمع بينهما، و قيل: في يد كلّ واحد منهم ثلاثة اسورة واحد من فضّة و آخر من ذهب و آخر من لؤلؤ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً اى طاهرا من الاقذار و الاقذاء لم تدنّسه الايدى و لم تدسّه الا رجل كخمر الدّنيا. قال ابو قلابة و ابراهيم: يعنى انّه لا يصير بولا نجسا و لكنّه يصير رشحا في ابدانهم كريح المسك و ذلك انّهم يؤتون بالطّعام فاذا كان آخر ذلك اتوا بالشّراب الطّهور فيشربون فيطهر بطونهم و

يصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر و تضمر بطونهم و تعود شهوتهم. و قيل: يطهّرهم من كلّ اذى و من كلّ غلّ و غشّ، كقوله: «وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ» و قال جعفر: يطهّرهم به عن كلّ شيء سواه اذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الاكوان و قال بعضهم: صلّيت خلف سهل بن عبد اللَّه العتمة فقرأ قوله: وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً فجعل يحرّك فمه كانّه يمصّ شيئا فلمّا فرغ من صلوته قيل له: أ تقرأ ام تشرب؟ قال: و اللَّه لو لم اجد لذّته عند قراءته كلذّتى عند شربه ما قرأته.

إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً اى يقال لهم انّ هذا كان لكم جزاء باعمالكم وَ كانَ سَعْيُكُمْ اى عملكم في الدّنيا بطاعة اللَّه مَشْكُوراً محمودا يثنى به عليكم و قيل: عملكم مثاب عليه باكثر منه من قولهم دابّة شكور اذا اظهرت من السّمن فوق ما تعطى من العلف، فالعمل المشكور ان يكون الثّواب عليه كثيرا.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا اى فرقنا انزاله فانزلناه آية بعد آية في سنين كثيرة.

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ اى ارض بقضائه و احبس نفسك على حدّ الشّريعة على ما امرت به من الاحكام وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً. الآثم: الفاجر، و الكفور: المبالغ في الكفر «او» هاهنا بمعنى الواو، كانّه قال: و لا تطع منهم آثما و لا كفورا. قال قتادة: اراد بالآثم الكفور ابا جهل، و ذلك انّه لما فرض على النّبي (ص) و هو يومئذ بمكّة نهاه ابو جهل عنها و قال لئن رأيت محمدا يصلّى لاطانّ على عنقه فانزل اللَّه هذه الآية. و قال مقاتل: اراد بالآثم عتبة بن ربيعة، قال للنّبى (ص): ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النّساء فقد علمت قريش انّى من اجملها بناتا فانا ازوّجك ابنتى و اسوقها اليك بغير مهر، فارجع عن هذا الامر! و قوله: «أَوْ كَفُوراً» يعنى: الوليد بن المغيرة، قال للنّبى (ص): يا محمد ان كنت صنعت ما صنعت من اجل المال، فقد علمت قريش انّى من اكثرهم مالا، فانا اعطيك من المال حتّى ترضى فارجع عن هذا الأمر فانزل اللَّه عزّ و جلّ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً.

وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا بُكْرَةً اى صلاة الفجر و أَصِيلًا صلاة الظّهر و العصر.

وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ صلاة العشائين وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا اى التّطوّع بصلاة اللّيل، و قيل: المراد به الادامة على ذكر اللَّه في الاوقات كلّها.

إِنَّ هؤُلاءِ يعنى: كفّار مكة يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ اى الدّار العاجلة و هي الدّنيا وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يعنى: امامهم و قدّامهم، كقوله: «وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ» «يَوْماً ثَقِيلًا» اى يتركون الاستعداد ليوم ثقيل شديد عقوبته على الكافرين و هو يوم القيامة.

نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ اى خلقهم، يقال: اسر الرّجل احسن الاسر، اى خلق احسن الخلق و قيل: احكمنا خلقهم و مفاصلهم و اوصالهم بعضا الى بعض بالعروق و العصب و قيل: معناه حفظ عليهم مخارج حاجاتهم يمسكها متى شاء و يرسلها متى شاء. وَ إِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلًا اى اذا شئنا اهلكناهم و جئنا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم.

إِنَّ هذِهِ اى هذه السّورة و هذه الآيات تذكرة، اى عظة و تذكير للخلق و تبيين ما هو خير لكم فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا اى الى ثواب ربّه بطاعته و ايمانه و توبته و اتّباع رسله. «سَبِيلًا» اى وسيلة، ثمّ اخبر انّ ذلك ليس بموكول الى مشيّتهم فانّ المدار فيه على المشيّة القديمة فقال: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ اى لستم تشاءون الّا بمشيّة اللَّه انّ الامر اليه لا اليكم. قرأ ابن كثير و ابن عامر و ابو عمرو: يشاءون بالياء و قرأ الباقون بالتّاء إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً عالما بالمهتدى و الضّالّ «حَكِيماً» فيما شاء بمن شاء.

يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ اى في جنّته و هو المؤمنون المطيعون، و قيل: يوفّق من يشاء لطاعته في الدّنيا و يدخل الجنّة من يشاء منهم في الآخرة. و قيل: «فِي رَحْمَتِهِ» اى في دينه. وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً اى و يعذّب الظّالمين الكافرين عذابا وجيعا.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اسم جبّار توحّد في آزاله بوصف جبروته و تفرّد في آباده بنعت ملكوته. فازله ابده، و ابده ازله. جبروته ملكوته، و ملكوته جبروته. احدىّ الوصف، صمدىّ الذّات، سرمدىّ الصّفات، لا يشبهه كفو في ذاته و صفاته. و لا يستفزّه لهو في اثبات مصنوعاته و لا يعتريه سهو في علمه و حكمته و لا يعترضه لغو في قوله و كلمته فهو حكيم لا يلهو و عليم لا يسهو. و كريم

يثبت و يمحوا، فالصّدق قوله، و الخلق خلقه و الملك ملكه.
بنام او که عقلها خیره در جلال و عظمت او، بنام او که خردها سراسیمه در عالم مشیّت بی علّت او، بنام او که برهان کبریاء او هم کبریاء او، دلیل هستی او هم هستی او. بنام او که عبارت از مدح و ثناء او بدستوری او، یاد داشت و یاد کرد او بفرمان او. بنام او که طلب او بکشش او و یافت او بعنایت او. کدام تن بینی نه گداخته قهر او؟ و کدام دل بینی نه نواخته لطف او؟ کدام جانست نه در مخلب باز عزّت او؟ کدام سرست نه سرمست شراب محبّت او، کدام چشم است نه منتظر دیدار او. کدام گوش است نه در آرزوی گفتار او. رو بزاویه درویشان گذری کن تا بینی سوز طلب او، بکوی خراباتیان شو تا بینی درد نایافت او. در کلیسای ترسایان نشاط جست و جوی او، در کنشت جهودان آرزوی یافت او، در آتشگاه گبران درد واماندگی از او.

دل داده بسی بینم و دلدار یکی جوینده یار بی عدد، یار یکی.

الهی همه عالم ترا میخواهند. کار آن دارد که تا تو کرا خواهی بناز کسی که تو او را خواهی که اگر برگردد ز تو او را در راهی. قوله تعالی: هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ مفسّران گفتند: انسان اینجا آدم است و حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ اشارتست بآن روزگار که جسدی بود بیروح میان مکه و طایف افکنده چهل سال، اگر کسی گوید: چه حکمتست در آن که آدم را چهل سال میان مکه و طایف چنان بگذاشت و در آفرینش وی مهلت افکند؟ جواب آنست که: ظاهر آدم از گل بود و در گل مهلت نمی‌بایست، امّا در دل مهلت می‌بایست نه مهلت قدرت میگویم که مهلت حشمت میگویم. آدم نه چون دیگر مخلوقات بود که آفرینش ایشان به کن فیکون تمام شد. آدم در آفرینش اصل بود و دیگر مخلوقات تبع وی بود، هر چه آفرید از بهر آدم آفرید و آدم را از بهر خود آفرید «خلقتك فردا لفرد».
در نهاد آدم دلی می‌باید که مرا شناسد، زبانی می‌باید که مرا ستاید، دیده‌ای می‌باید که مرا بیند، دستی می‌باید که کاس وصل گیرد، قدمی می‌باید که در راه ما رود. اگر بلحظتی در وجود آرم قدرت خود آشکارا کرده باشم، و اگر سالها در میان آرم حشمت و بزرگی وی پیدا کرده باشم، و ما حشمت دوستان خود آشکارا کردن دوسترا ز آن داریم که قدرت خود نمودن، زهی دولت و کرامت که از درگاه عزّت روی به آدم نهاد که او را بصد هزار ناز و اعزاز در راه آورد و طراز راز «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ» بر کسوت دولت او کشید. و خال اقبال «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» بر رخسار جمال صفوت او زد، و خلعت رفعت «لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» در وی پوشید و بمقامیش رسانید که در صف صفوت بر بساط شهود او را شراب محبّت داد. وز مناط ثریّا تا منقطع ثری امین حشمت اویست و ملائکه ملکوت را سجود او فرمود و آن گه با اینهمه کرامت که با وی کرد حشمت و رتبت و منزلت وی پدید نیامد، تا خطاب «وَ عَصى آدَمُ» درو پیوست آن گه حشمت وی پیدا شد. زیرا که نواخت در وقت موافقت دلیل کرامت نبود، نواخت در وقت مخالفت دلیل عزّ و کرامت بود. آدم چون بر تخت جمال و کمال بود، تاج اقبال بر سر و حلّه کرامت در بر، چه عجب بود گر ملك و فلك او را خدمت کنند؟ عجب آن باشد که در وهده زلّت افتد و رقم «وَ عَصى آدَمُ» بر وی کشند و آن گه با عصیان و مخالفت تاج «ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ» بر سر خود بیند! مردی که عیال دارد و با وی در صحبت است، او نداند که عیال خود را دوست میدارد، زیرا که آن محبّت پوشیده نعمت و صحبت است باش تا فراق در میان افتد، آن گه دوستی پدید آید. آدم دوست بود، لکن دوستی وی پوشیده نعمت بهشت بود، زیرا که نه هر کجا نعمت بود آنجا دوستی بود. همه روم پر از نعمت زر و سیم است و آنجا ذرّه‌ای محبّت نه پس چون حجاب بهشت از پیش آدم برخاست، حقیقت محبّت آشکارا گشت.
ابلیس آن گه که ابلیس بود، کس ندانست که ابلیس است و نه نیز خود دانست، عابدی و ساجدی می‌نمود، کمر خدمت بسته و چهره بآب موافقت شسته چون پایش بلغزید، پدید آمد که نه دوست است و نه بنده و آدم صفی دوست بود، لکن سرّ دوستی درستر نعمت بود، چون پایش بلغزید پدید آمد که هم دوست است و هم بنده.
إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً براستی که نیکان و نیك مردان فردا در بهشت شراب می‌آشامند از جام لطف، شرابی برنگ کافور، ببوی مشك، شرابی براندازه بایسته، نه از قدر بایست

چیزی کاسته و نه افزونی بسر آمده کاسته و دربایسته، هر دو عیب است و بهشت از عیب رسته.
عَیْناً یَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ یُفَجِّرُونَها تَفْجِیراً چشمه‌ای از بوم بهشت روان و فرمان بهشتی بدو روان، می‌رانند آن را چنان که میخواهند آنجا که خواهند در بالا و در نشیب، بر قصور و غرف، بر فرش و بساط، بر سندس و استبرق روان، دریابنده و رونده و بیجان، نه جامه ازو تر نه او را بر هیچ کدر گذر، چشمها بر هم گشاده، کافور در زنجبیل و زنجبیل در کافور، این از برودت رسته، و آن از حرارت دور هر یکی بر حدّ اعتدال بداشته، نه مصنوع خلق و نه از خلق دریغ داشته شراب بی کدر شارب بی سکر، ساقی دیده ور شراب انس در جام قدس، در مجلس وجود، بر بساط شهود، از دست دوست در عین عیان، بی هیچ زحمت در میان. ای جوانمرد شراب آن شرابست که دست غیب در جام دل ریزد، دیده جان نوش کند:

و اسکر القوم دور کاس و کان سکری من المدیر.

قومی را شراب مست کرد، و مرا دیدار ساقی لا جرم ایشان در آن مستی فانی شدند و من درین مستی باقی.
بزرگی را بخواب نمودند که: معروف کرخی گرد عرش طواف میکرد و ربّ العزّة فریشتگان را میگفت: او را شناسید؟ گفتند: نه گفت: معروف کرخی است، بمهر ما مست شده، تا دیده او بر ما نیاید هشیار نگردد:

آن را که بدوستی ورا مست کنند عالم همه در همّت وی پست کنند
در دوستیش نیستیی هست کنند آن گه بشراب وصل سرمست کنند

شراب دو است: یکی امروز، یکی فردا: امروز شراب ایناس و فردا شراب کاس امروز شراب از منبع لطف روان، فردا شراب طهور از کف رحمن.
سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً هر کرا امروز شراب محبّت نیست، فردا او را شراب طهور نیست امروز شراب محبّت از کاس معرفت میآشامند و فردا شراب طهور در حضرت ملك غفور می‌نوشند، امروز شراب محبّت در بهشت عرفان، و فردا شراب طهور در بهشت رضوان. بهشت عرفان امروز دل عارفانست، دیوارش ایمان و اسلام و زمینش اخلاص و معرفت، اشجار تسبیح و تهلیل، انهار تقوی و توکّل، دور و قصور از علم و زهد، غرفه و منظر از صدق و یقین، رضوانش رضا بقضا هر کرا امروز فردوس دل او آراسته بطاعت و عبادت بود، فردا او را فردوس رضوان بود آن فردوس که دیوار او از سیم و زر، زمین او از یاقوت و زبرجد، تربت از مشك و عنبر، انهار آب و شیر و می و عسل، شراب تسنیم و رحیق و سلسبیل، طعام لحم طیر بر مائده خلد، خدمتکاران ولدان و غلمان غمگسار حورا و عینا، رفیقان حبیب و خلیل، حریفان شهداء و صالحین، صدّیق و فاروق و ذو النّورین و مرتضی نشستگاه مساکن طیّبه، تکیه‌گاه سرر مرفوعه، تماشاگاه «مَقْعَدِ صِدْقٍ» و حظیره قدس، نظاره گاه جلال و جمال حقّ فردا همه مؤمنان حقّ را به بینند، امّا هر یکی بر قدر شناخت خویش بیند انّ اللَّه یتجلّی للمؤمنین عامّة و لابی بکر خاصّة. چون کس را معرفت بو بکر نبود، کس را با او در دیدار شرکت نبود.
پیر طریقت گفت: «در دیدار بانبازی چه لذّت بود؟ مجلسی باید از زحمت اغیار خالی و دوست متجلّی و نگرنده در دیده فانی، آن چشم که درو نگرد هرگز فرا کرده نبود، آن دیده که او را دید بر آن دیده تاش نبود، خوانده او هرگز بدبخت نبود، نزدیك کرده او را در دو گیتی جای نبود. مصحوب او را ببهشت حاجت نبود.
مست او را جز ازو ساقی نبود وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً.

77- سورة المرسلات- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً (1) ببادهاى فرو گشاده پياپى پيوسته.
فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً (2) خاصّه آن باد سخت كشتى شكن.
وَ النَّاشِراتِ نَشْراً (3) و بفريشتگان آن كراسه گشايندگان خواندن را.
فَالْفارِقاتِ فَرْقاً (4) خاصّه ايشان كه پيغام خداى بر پيغامبران خداى مى‌افكنند ميان حقّ و باطل.
فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً (5) و خاصّه آن فريشتگان كه قرآن مى‌افكنند بر دل و گوش پيغامبران.
عُذْراً أَوْ نُذْراً (6) عذر باز نمودن را و آگاه كردن را.
إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ (7) كه آنچه شما را مى‌ترس دهند، براستى كه بودنى است.
فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) آن گاه كه ستارگان روشنايى آن بسترند.
وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ (9) و آن گه كه آسمان بگشايند و بشكافند.
وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ (10) و آن گه كه كوه‌ها از بيخ بركنند و برانند.
وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) و آن گه كه پيغمبران را بر هنگامى حاضر كنند.
لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) و چه روز را و هنگام را حاضر كنند.
لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) روز داورى بر گشادن را.
وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ (14) و چه چيز ترا دانا كرد كه روز داورى برگشادن چه روزست؟
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) ويل آن روز هر دروغ زن گيران را بآن روز.
أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) نه پيشينيان را و پدران ايشان را تباه و نيست كرديم و ميرانيديم؟
ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) و آن گه پسينان را بمرگ پس ايشان مى‌بريم.
كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) هم چنان كنيم با اين بدان پس ايشان مى‌بريم.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (20) نه شما را از آبى ننگين و خوار آفريديم؟
فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ (21) آن آب را آرام داديم در آرامگاهى نهفت.
إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) تا باندازه‌اى دانسته و هنگامى نامزد كرده.
«فَقَدَرْنا» اندازه اندازه نهاديم فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (23) نيك مقدّر كه مائيم.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً (25) زمين را نهان دارنده نكرديم، تا مى‌پوشد.
أَحْياءً وَ أَمْواتاً (26) زندگان را و مردگان را.
وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ و نه در آن كوه‌هاى بلند گران آفريديم.
وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً (27) و نه شما را آبى داديم خوش گوارنده آشاميدنى.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) رويد بآنچه مى دروغ شمرديد.
انْطَلِقُوا رويد هين إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (30) بسايه سه شاخ.
لا ظَلِيلٍ نه باز پوشنده و نه خنك وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) و نه باز دارنده تف و زبانه آتش.
إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) مى‌اندازد آن زبانه آتش هر برزه‌اى چون كوشكى.
كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (33) گويى كه شتران سياه‌اند.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (35) آن آن روزست كه هيچكس سخن نگويد.
وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) و دستورى ندهند ايشان را تا جرم خويش بحجّت بپوشند و عذر دهند.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37) ويل آن روز دروغ زن گيران را.

هذا يَوْمُ الْفَصْلِ ایشان را گویند این روز داوری برگشادن است.
جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ (38) شما را با هم آوردیم و ایشان را كه پیش از شما بودند.
فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39) اگر شما را دستانى است؟ بسازيد، يا سازى توانيد؟ با من پيش آريد!
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40) ویل آن روز دروغ زن گیران را.
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ (41) پرهيزگاران در سايه‌هااند پاى چشمه‌ها.
وَ فَواكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) و ميوه‌ها از هر چه آرزو كنند.
كُلُوا وَ اشْرَبُوا ميخوريد و ميآشاميد هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) گوارنده باد و نوش بآن كردار نيكو كه در دنيا مى‌كرديد.
إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) ما پاداش چنين دهيم نيكوكاران را
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45) ویل آن روز بدروغ زن گیران.
كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا ميخوريد و برخوردار باشيد روزگارى اندك إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46) كه شما بد كردارانيد.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47) ویل آن روز بدروغ زن گیران
وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا و چون ايشان را گويند: نماز كنيد لا يَرْكَعُونَ نماز نكنند.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) ویل آن روز دروغ زن گیران را.
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50) بكدام سخن پس اين قرآن كه بآن نميگروند بخواهند گرويد؟
النوبة الثانية
اين سوره را دو نام است، سورة المرسلات و سورة العرف. پنجاه آيتست صد و هشتاد و يك كلمت، هشتصد و شانزده حرف جمله به مكه فرو آمد و در مكّيات شمرند. عبد اللَّه مسعود گفت: من با رسول خدا (ص) بودم، ليلة الجنّ كه اين سوره بوى فرو آمد ابن عباس گفت: همه سوره مكّى است، مگر يك آيت كه به مدينه فرو آمد: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ. درين سوره نه ناسخ است و نه منسوخ. و در فضيلت اين سوره ابى بن كعب روايت كند از مصطفى (ص) گفت: هر كه اين سوره برخواند نام او در ديوان مؤمنان نويسند و گويند: اين از مشركان نيست. در روزگار خلافت عمر مردى بيامد از اهل عراق نام او صبيغ و از عمر ذاريات و مرسلات پرسيد.
صبيغ عادت داشت كه پيوسته ازين معضلات آيات پرسيدى، يعنى كه تا مردم در آن فرو مانند. عمر او را درّه زد و گفت: لو وجدتك محلوقا لضربت الّذى فيه عيناك.
اگر من ترا سر سترده يافتمى ترا گردن زدمى. عمر اين سخن از بهر آن گفت كه از رسول خدا (ص) شنيده بود در صفت خوارج كه: «سيماهم التّلحيق»، گفت: در امّت من قومى خوارج برون آيند نشان ايشان آنست كه ميان سر سترده دارند. پس عمر نامه نبشت به ابو موسى اشعرى و كان اميرا على العراق كه يك سال اين صبيغ را مهجور داريد، با وى منشينيد و سخن مگوييد. پس از يك سال صبيغ توبه كرد و عذر خواست و عمر توبه وى و عذر وى قبول كرد شافعى گفت: حكمى في اهل الكلام كحكم عمر في صبيغ.
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً سخن متّصل است و منتظم تا: فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً، و مراد از همه فريشتگانست بقول بعضى مفسّران وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً يعنى: الملائكة ترسل بالمعروف و طريق البرّ و محاسن الافعال و مكارم الاخلاق، كقوله عزّ و جلّ: وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ. و العرف: بمعنى المعروف و هو المصدر و يسمّى الشّيء الحسن عرفا كما يسمّى الشيء القبيح: نكرا، اى منكرا.
فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً يعنى: ملائكة العذاب يعصفون بارواح الكفّار «عَصْفاً» اى يسرعون بها.
وَ النَّاشِراتِ نَشْراً يعنى: الملائكة تنشر صحائف الوحى على الانبياء و السّفرة تنشر المصاحف في السّماء من قوله: «كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً».
فَالْفارِقاتِ فَرْقاً يعنى: الملائكة تفرق بالوحى بين الحلال و الحرام.
فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً يعنى: الملائكة تلقى الوحى الى الانبياء كقوله: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» الالقاء: الإبلاغ و الاعلام. قال اللَّه تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا و الذّكر هاهنا القرآن. و قال

بعض المفسّرين: المراد بالكلّ الرّياح. قالوا: وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً يعنى: الرّياح ترسل متتابعة كعرف الدّيك و كعرف الفرس يتلوا بعضها بعضا لا يخلو الجوّ من ريح قطّ و الّا كرب الخلق من عاصف او رخاء او نسيم.
فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً هى الرّياح الشّديدات الهبوب.
وَ النَّاشِراتِ نَشْراً هى الرّياح اللّيّنة، و قيل: هى الرّياح الّتى يرسلها اللَّه نشرا بين يدى رحمته، و قيل: هى الرّياح الّتى تنشر السّحاب و تأتى بالمطر.
فَالْفارِقاتِ فَرْقاً هى الرّياح تفرّق السّحاب فتجعله قطعا و تذهب به.
فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً هى الرّياح على معنى انّه يتّعظ بها ذوو الأبصار و يحتمل انّ المرسلات عرفا هى لسور المنزلة و الآيات و كذا: فَالْفارِقاتِ فَرْقاً آيات القرآن تفرق بين الحقّ و الباطل.
عُذْراً أَوْ نُذْراً اى اعذارا و انذارا. تأويله ارسل اللَّه الملائكة الى الانبياء لاجل الاعذار و الانذار اعذارا من اللَّه الى خلقه لئلّا يكون لاحد حجّة فيقول: لم يأتنى رسول اللَّه (ص) و انذارا من اللَّه لهم من عذابه و انتصبا على المفعول له. قرأ ابو عمرو و حمزة و الكسائى و حفص: «عُذْراً أَوْ نُذْراً». بالتّخفيف ساكنة الذّال. قالوا: لانّهما في موضع.
مصدرين و هما الاعذار و الانذار و ليسا بجمع فيثقلا. و قرأ روح عن يعقوب و الوليد عن اهل الشام: بالتّثقيل و التّحريك فيهما. و الباقون بتخفيف الاولى و تثقيل الثّانية و هما لغتان. عن ابن عباس في قوله عزّ و جلّ عُذْراً أَوْ نُذْراً قال: يقول اللَّه عزّ و جلّ يا ابن آدم انّما أمرّضكم لا ذكركم و امحّص به ذنوبكم و اكفّر به خطاياكم و انا ربّكم اعلم انّ ذلك المرض يشتدّ عليكم و انا في ذلك معتذر اليكم.
إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ هذا موقع الاقسام الاربعة، اى ما وعدتم من البعث و الحساب لكائن عن قريب ثمّ بيّن وقت وقوعه فقال: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ اى ذهب ضوؤها و محى نورها. و قيل: محيت آثارها كما يمحى الكتاب.
وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ اى صدعت و شقّقت و وقعت فيها الفروج الّتى نفاها بقولها و مالها من فروج. و قيل: فتحت.
وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ حرّكت و قلعت من اماكنها و اذهبت بسرعة حتّى لا يبقى لها اثر، يقال: انتسفت الشّىء اذا اخذته بسرعة.
وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ قرأ اهل البصرة: وقّتت بالواو و قرأ ابو جعفر: بالواو و تخفيف القاف و قرأ الآخرون بالالف و تشديد القاف و هما لغتان و العرب تبدل الالف من الواو و الواو من الالف. يقول وسادة و اسادة و كتاب مورّخ و مارّخ و قوس مؤتّر و مأتّر و معنى اقّتت جمعت لميقات يوم معلوم و هو يوم القيامة ليشهدوا على الامم. و قيل: جعل يوم الفصل لهم وقتا كما قال: انّ يوم الفصل ميقاتهم اجمعين، و قيل: ارسلت لاوقات معلومة، علم اللَّه سبحانه، فارسلهم لاوقاتهم علم ما علمه و اختاره.
لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ هذه كلمة تعجيب و تعظيم، يعجّب العباد من ذلك اليوم. و معنى «أُجِّلَتْ» وقّتت، كقوله، عزّ و جلّ: وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا ثمّ اجاب نفسه فقال: لِيَوْمِ الْفَصْلِ. قال ابن عباس: يوم يفصل الرّحمن بين الخلائق و معنى «الْفَصْلِ»: الحكم. و الفيصل: الحاكم، اى يحكم بين المحسن و المسىء و بين الرّسل و مكذّبيها. و قيل: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ اى لاىّ يوم اخّر الرّسل و ضرب الاجل لجمعهم لِيَوْمِ الْفَصْلِ اى ليوم القضاء بين الخلق. ثمّ قال على جهة التّهويل و التّعظيم لشأن ذلك اليوم.
وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ من اين تعلم كنهه و لم تعهد مثله.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هذه الآية تتكرّر في هذه السّورة عشر مرّات و فيها ثلاثة اقوال: احدها انّ القرآن عربىّ و من عادتهم التّكرار و الاطناب كما في عادتهم الاختصار و الايجاز. و الثّاني انّ كلّ واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الاولى فلا يكون مستهجنا و لو لم يكرّر كان متوعّدا على بعض دون بعض، الثّالث انّ بسط الكلام في التّرغيب و التّرهيب ادعى الى ادراك البغية من الايجاز و قد يجد كلّ احد في نفسه من تأثير التّكرار بالاخفاء به ثمّ بعد بدا ايجاب الويل في الآخرة لمن كذّب بها بذكر من اهلك من امم الانبياء الاوّلين كقوم نوح و عاد و ثمود. فقال: أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ الم نمتهم و نستأصلهم بالعقوبة، استفهام في معنى التّقرير.
ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ اى نلحق المتأخّرين الّذين اهلكوا من بعدهم بهم كقوم ابراهيم و قوم لوط و اصحاب

مدين و آل فرعون و ملائه ثمّ توعّد المجرمين من امّة محمد (ص) فقال: كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ اى مثل الّذى فعلنا بهم نفعل بالمكذّبين من قومك.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اى لمن كذّب بالآخرة بعد أن احتجّ عليه في هذه الآية باهلاك الامّة بعد الامّة و انّهم على اثرهم في الهلاك ان اقاموا على الاشراك و الاشارة بقوله: «يومئذ» الى وقت اهلاكهم ثمّ احتجّ عليهم في الآية الأخرى بقوله: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ اى نطفة ضعيفة. الميم في المهين اصليّة و مهانتها قلّتها و خسّتها. و قال فرعون لموسى. هو مهين، اى قليل فقير و كلّ شىء ابتذلته فلم تصنه فقد امتهنته و قالت عائشة: كان رسول اللَّه (ص) في مهنة اهله.
فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ يعنى الرّحم يستقرّ فيه الماء و يتمكّن. و قيل: يتمكّن فيه الولد.
إِلى‏ قَدَرٍ مَعْلُومٍ يعنى: الى وقت خروج الولد و بلوغ حدّ الكمال. و قيل: إِلى‏ قَدَرٍ مَعْلُومٍ اربعين يوما نطفة، و اربعين يوما علقة كقوله: «و نقرّ في الارحام ما نشاء الى اجل مسمّى خلقاً من بعد خلق».
فَقَدَرْنا قرأ اهل المدينة و الكسائى: فقدّرنا بالتّشديد من التّقدير و قرأ الآخرون بالتّخفيف من القدرة لقوله: فَنِعْمَ الْقادِرُونَ. و قيل: معناهما واحد فنعم القادرون، اى فنعم المقدّرون يعنى: تقدير الولد نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاما و قيل: «فَقَدَرْنا» من القدرة، اى قدرنا على خلقكم حالا بعد حال و صورة بعد صورة.
و قيل: «فَقَدَرْنا» «فَنِعْمَ الْقادِرُونَ» اى فملكنا فنعم المالكون ثمّ احتجّ عليهم في الثّالثة بقوله: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً اى كنّا و غطاء تضمّ الاحياء على ظهورها و الاموات في بطونها. يقال: كفت الشّى‏ء. يكفته اذا ضمّه و جمعه. و في الحديث عن رسول اللَّه (ص): «امرت ان اسجد على سبعة اعضاء و لا اكفت ثوبا و لا شعرا»
و شهد الشّعبى جنازة فسئل عن قوله: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وَ أَمْواتاً فاشار الى البيوت و قال: هذه كفات الاحياء، ثمّ اشار الى القبور، و قال: هذه كفات الاموات. و في الحديث: «ضمّوا فواشيكم و اكفتوا صبيانكم»
اى ضمّوهم اليكم و اجيفوا الأبواب و اطفئوا المصابيح فانّ للشّيطان خطفة و انتشارا فعلى هذا القول تقدير الآية: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً للخلق أَحْياءً وَ أَمْواتاً فيكون الاحياء و الاموات حالين للخلق. معنى آنست كه: نه ما اين زمين نهان دارنده خلق كرديم، همه را مى‏پوشد، زندگان را و مردگان را. زندگان را مادر است، و مردگان را چادر است، و روا باشد كه احياء و اموات نعت زمين نهند. احياء زمين مأهول است مزروع كه در آن مردم بود و نباتات و درخت، و اموات زمين موات است غيران و بيابان از خلق تهى و از نباتات و درخت خالى. ميگويد، جلّ جلاله: ما اين زمين را نهان دارنده نكرديم و آن را پاره پاره زنده و مرده نكرديم.
وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ اى جبالا ثوابت طوالا. و رجل شامخ اى متطاول متكبّر، قال الشّاعر:
ايّها الشّامخ الّذى لا يرام نحن من طينة عليك السّلام.

ولدى الموت تستوى الاقدام وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً اى جعلناه سقيا لكم و قيل، مكناكم من شربه و سقيه دوابكم و مزارعكم. قال ابن عباس: اصول انهار الارض اربعة: سيحان و الفرات و النّيل و جيحان، فسيحان دجله و جيحان نهر بلخ، و هى من الجنّة و تنبع في الارض من تحت صخرة عند بيت المقدس. و معنى الفرات: اعذب العذوبة ضدّ الاجاج و كلّ عذب من الماء الفرات.
«وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بما وعد اللَّه فيها و اخبر عن قدرته عليها. قال اللَّه تعالى: مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى‏ و في جميع ما ذكر في الآية دليل على انّه قادر عليم و صانع حكيم، لم يخلق النّاس عبثا و لم يتركهم سدى و هو كما يبدى يعيد. قوله: «انْطَلِقُوا» القول هاهنا مضمر، اى تقول لهم الخزنة: يا معشر المشركين انطلقوا الى ظل ذى ثلث شعب ما كنتم به تكذبون اى امضوا الى النّار الّتى كنتم تكذّبون من اخبركم بها انْطَلِقُوا إِلى‏ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ هذا الظّلّ هو اليحموم دخان جهنّم يطبق على الخلق. ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ شعبة عن يمينهم و شعبة عن يسارهم و شعبة من فوقهم، فيحيط بهم كقوله: «أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها». و قيل: «ثَلاثِ شُعَبٍ» شعبة من النّار و شعبة من الدّخان و شعبة من الزّمهرير. و قيل: يخرج عنق من النّار فتنشعب ثلاث شعب امّا النّور فيقف على رؤس المؤمنين و

الدّخان يقف على رؤس المنافقين و اللّهب الصّافى يقف على رؤس الكافرين ثمّ وصف ذلك ظلّ فقال: «لا ظَلِيلٍ» اى ليس فيه برد و لا راحة وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ اى و لا يدفع عنهم شيئا من حرّ جهنّم.
«إِنَّها» يعنى: النّار «تَرْمِي بِشَرَرٍ» هى ما يتطاير من النّار واحدتها شررة «كَالْقَصْرِ» يعنى: كالبناء العظيم من هذه القصور المبنيّة و الحصون العظيمة. و قال عبد الرّحمن بن عابس: سألت ابن عباس عن قوله: إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ قال: هى الخشب العظام المقطّعة و كنّا نعمل الى الخشب فنقطعها ثلاثة اذرع و فوق ذلك و دونه ندخرها للشّتاء فكنّا نسمّيها القصر و قال سعيد بن جبير و الضحاك: هى اصول النّخل و الشّجر العظام واحدتها قصرة مثل تمرة و تمر و جمرة و جمر.
كَأَنَّهُ جِمالَتٌ و قرأ حمزة و الكسائى و حفص: جمالة على جمع جمل مثل حجر و حجارة. و قرأ يعقوب بضمّ الجيم بلا الف اراد الاشياء العظام المجموعة المجملة و قرأ الآخرون: جمالات بالالف و كسر الجيم على جمع الجمال و هي جمع الجمع. و قيل: جمع جمل كرجالات جمع رجل قوله: «صفر» اى سود، و العرب يسمّى السّود من الإبل صفرا لانّه تعلو سوادها صفرة كما قيل لبيض: الظّباء ادم لانّ بياضها تعلوه كدرة. و في الخبر: انّ شرر نار جهنّم سود كالقير. شبّه الشّرر بالقصر و بالجمال في الكبر و في الكثرة و في اللّون.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بما ذكرناه ثمّ يقال لهم ثانيا.
هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ يوم القيامة يوم ممتدّ فيه حالات و مواقف فيمكنون من الكلام في بعضها و ذلك في قوله: «عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» و يمنعون الكلام في بعضها لقوله: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ و اضافته الى الفعل يدلّ على انّ المراد منه زمان او ساعة كقولك: آتيك يوم يقدم زيد و انّما يقدم في ساعة. و قيل «لا يَنْطِقُونَ» اى لا يجدون حجّة يحتجون بها.
وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ اى ليس لهم عذر فيؤذن لهم في الاعتذار و لو كان لهم عذر لم يمنعوا. قال الجنيد: اى عذر لمن اعرض عن منعمه و كفر اياديه و نعمه. و قيل: الفاء في قوله: «فَيَعْتَذِرُونَ» ليست للجواب انّما هي عطف على الجحد في قوله: «لا يَنْطِقُونَ» و التّقدير هذا يوم لا ينطقون و لا يعتذرون.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بحجج اللّه ثمّ يقال لهم ثالثا: هذا يَوْمُ الْفَصْلِ اى هذا يوم الجزاء و يوم يفصل بين اهل الجنّة و النّار فيبعث فريق الى الجنّة و فريق الى النّار، جمعناكم فيه و الاوّلين من الامم الماضية.
فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ اى ان كانت لكم حيلة الى التّخلص من حكمى فاحتالوا لانفسكم و تخلّصوا من حكمى لو قدرتم، يعني: ان قدرتم على ما كنتم تفعلونه قبل من العناد لرسلى و التّكذيب بآياتى و ترك الاصغاء الى قولى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً الآية فافعلوا ثمّ قال: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بهذه الآية و مضمونها و معناها.
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ اى ظلال اشجار الجنّة و عيون تفجر منها انهار الجنّة.
وَ فَواكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ لذيذة مشتهاة يقال لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً لا يشوبه مكروه و لا ينقطع بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في الدّنيا بطاعتى.
إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ اى نثيب الّذين احسنوا في تصديقهم رسولى.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بما ذكرنا ثمّ خاطب في عصر النّبي (ص) من المشركين مبالغة في زجرهم و انّهم في ايثارهم العاجلة الفانية على الآجلة الباقية من جملة المجرمين الّذين قال فيهم عند مفتتح هذه الآى كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ فرجع آخر الكلام الى اوّله فقال: كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ اى عيشوا في الدّنيا متمتّعين مسرورين ايّاما قلائل إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ و عاقبة المجرمين النّار.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بما اعددناه للكفّار من العذاب الاليم.
وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ كانوا في الجاهليّة يسجدون للاصنام و لا يركعون لها فصار الرّكوع من اعلام صلوة المسلمين للّه عزّ و جلّ و قال مقاتل: نزلت هذه الآية في بنى ثقيف حين امرهم رسول اللّه (ص) بالصّلاة فقالوا: لا ننحنى فانّه مسبّة علينا. فقال رسول اللّه (ص): «لا خير في دين ليس فيه ركوع و لا سجود».
و قال ابن عباس: هذا في القيامة، يقال لهم: «اركعوا» فلا يستطيعون كما يدعون الى السّجود فلا يستطيعون.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بالصّلاة و وجوبها.

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ فبایّ کتاب، و بایّ خطاب، و بایّ کلام بعد القرآن یصدّقون و قد أبوا الایمان بالقرآن مع کونه معجزا قاطعا لاعذارهم و اللَّه اعلم بالمراد.
النوبة الثالثة
قوله تعالی: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بسم اللَّه کلمة من ذکرها نال في الدّنیا و العقبی بهجته و من عرفها بذل في طلبه مهجته. کلمة اذا استولت علی قلب عطّلته عن کلّ شغل و اذا واظب علی ذکرها عبد آمنته من کلّ هول. بنام او که بر پادشاهان پادشاه است و پادشاهی وی نه بحشم و سپاهست، دوربین و نزدیك دان و از نهان آگاهست. بینا بهر چیز، دانا بهر کار، و آگاه بهر گاه است؟ چه بانگ بلند او را، چه سرّ دل چه روز روشن، چه شب سیاهست. بنام او که از لطف اوست که بمشتاق خود مشتاق است، و از نیك خدایی اوست کش بار هی خود عهد و میثاق است:
آب و گل را زهره مهر تو کی بودی اگر هم بلطف خود نکردی در ازلشان اختیار؟!

اگر نه بلطف او بودی، که یارستی که ذکر او بخواب اندر بدیدن ؟ ور نه عنایت او بودی، کرا بودی بحضرت او رسیدن؟
پیر طریقت گفت در مناجات خویش: «الهی کدام زبان بستایش تو رسد؟ کدام خرد صفت تو برتابد؟ کدام شکر با نیکو کاری تو برابر آید؟ کدام بنده بگزارد عبادت تو رسد؟ الهی از ما هر کرا بینی همه معیوب بینی، هر کردار که بینی همه با تقصیر بینی، با این همه نه باران برّ می باز ایستد، نه جز گل کرم می‌روید. چون با دشمن با سخط بچندین برّی، پس سود پسندیدگان را چه اندازه و آئین محبّان را چه پایان؟
مقام عارفان را چه حدّ؟ و شادی دوستان را چه کران؟
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً ربّ العالمین جلّ جلاله و تقدّست اسماؤه و تعالت صفاته درین آیات خود را بتوانایی و دانایی و مهربانی بخلق تعریف میکند و منتهای خود در کفایت خود بر ایشان می‌پیدا کند. حجّت خود بر دشمن آشکارا می‌کند و دوستان را نیك خدایی خود بیان میکند، تا نه دوست را ریبت ماند، نه دشمن را معذرت.
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً اللَّه تعالی و تقدّس سوگند یاد میکند بچهار باد مختلف بطبعهای مختلف، از مخارج مختلف: یکی مرسلات، دیگر عاصفات، سوم ناشرات، چهارم فارقات. یکی گرم و نرم فصل بهار را، سبز گردانیدن باغها را، نشاط دادن درختان را، آراستن دشت و کوه را، آشکارا کردن نهانیهای زمین را، پیدا کردن قدرت و توانایی خود را. دیگر عاصفات، بطبع گرم و خشك، فصل تابستان را، زمین خشك گردانیدن را، میوه پختن و غلّه رسانیدن را، عاهت و آفت زمین سوختن را رنگها بنبات و میوه سپردن را، عزّت و قدرت خود آشکار کردن را. سوم ناشرات است سرد و نرم، فصل خریف را، سموم از هوا شستن را، و طبع زمستانی برفق با تابستان آمیختن را، و طبع تابستان بلطف با طبع زمستان پیوستن را. چهارم فارقاتست، بطبع سرد و خشك فصل زمستان را، دهان زمین باز گشادن را، و عفونت از خاك بر گرفتن را، و خزائن درختان مهر کردن را، و تف از پوست آدمی بباطن او گردانیدن را، قدرت و عزّت خود با خلق نمودن را. این چهار باد است جهان، از چهار روی جهان، در یك سرای نهان. فرو میگشاید جوق جوق، می‌فزاید موج موج، نه پیدا که از کجا در رسید، چون فرو نشست «3» برسید، نرم تر از آب، گرم تر از آتش، سخت تر از سنگ، بی لون و بی بوی و بی درنگ، برخاسته مکتوم و آرمیده معدوم.
و از این عجب تر آن دو باد است که از بینی و لب خیزد، گاه سرد و گاه گرم.
بر اندازه میراند، گرم سرد میگرداند، و سرد گرم، تر خشك میکند و خشك تر، نرم سخت میسازد و سخت نرم، عزّت خود آشکارا میکند و قدرت خود مینماید. مؤمنان و موحّدان که در ازل ایشان را رقم سعادت کشیده‌اند، و در سرای محبّت ایشان را بار داده‌اند، و حیات طیّبه تحفه روزگار ایشان گردانیده‌اند که: «فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً» چون درین آیات و رایات قدرت تأمّل کنند و عجائب حکمت و لطائف نعمت بینند، بهار توحید از دلهای ایشان سر بر زند، درخت معرفت ببار آید، سایه انس افکند،

چشمه حکمت گشاید، نرگس خلوت روید، یاسمن شوق بر دهد. اینست که ربّ العالمین گفت: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ، اليوم في ظلال التّوحيد، و غدا في ظلال حسن المزيد اليوم في ظلال المعارف، و غدا في ظلال اللّطائف، اليوم في ظلال التّعريف و غدا في ظلال التّشريف، يقال لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اليوم يشربون على ذكره و غدا يشربون على شهوده، اليوم يشربون على محبّته و غدا يشربون على مشاهدته. بجلال عزّ بار خدا که در خاصگیان او دل هست که در روزی سیصد و شصت بار از آن دل چنین بهاری با حضرت برند که بویی از آن دل بآفرینش ندهد و لهذا
يقول الحقّ جلّ جلاله: اوليائى في قبابى لا يعرفهم غيرى
یکی از ایشان شیخ بسطام است، قدّس روحه. شبی در مناجات بود، جهانی دید آرمیده مهتاب روشن می‌تافت و ستارگان می‌رخشیدند، سکونی و آرامی در عالم افتاده نه از کس آوازی، نه از هیچ گوشه رازی و نیازی، با خود گفت: دریغا در گاهی بدین بزرگواری و چنین خالی؟ از غیب ندایی شنید که: ای بایزید تو پنداری که خالی است، پرده از گوشت برگرفتند، گوش فرا دار تا ناله سوختگان و زارندگان شنوی. بو یزید گفت: چهار گوشه عالم پیش من نهادند و از هر گوشه‌ای ناله‌ای شنیدم، از هر زاویه‌ای سوزی و نیازی و از هر طرفی دردی و گدازی، همه جهان ناله اوّاهان گرفته و از زمین تا بآسمان یا ربها روان گشته. بو یزید خود را در جنب ایشان ناچیز دید، چون قطره‌ای در دریایی یا ذرّه‌ای در هوایی. زبان حسرت و حیرت بگشاد، گفت: خداوندا در دریای شوق تو بسی غرق شدگانند، در بادیه ارادت تو بسی متحیّرانند، بر درگاه جلال تو بسی کشتگان‌اند، بر امید وصال تو بسی دلشدگانند، نه هیچ طالب را آرام و نه هیچ قاصد را رسیدن بکام. پیر طریقت اینجا سخنی نغز گفته، بزبان انکسار، بنعت افتقار، لایق حال.
میگوید: الهی این سوز ما امروز درد آمیزست، نه طاقت بسر بردن نه جای گریز است. الهی این چه تیغ است که چنین تیزست؟ نه جای آرام و نه روی پرهیزست! الهی هر کس بر چیزی و من ندانم بر چه‌ام؟! بیمم آنست که کی پدید آید که من کیم! الهی کان حسرت است این تن من، مایه درد و غم است این دل من، می‌نیارم گفت کین همه چرا بهره من، نه دست رسد مرا بر معدن چاره من.